مكتبة

مجموعة مؤلفين

مكتبة 856

ألبير كامو

العبثية - الوجودية - الانتحار

ترجمة وتقديم: عقبة زيدان

دراسات أدبية

دار نينوى

ألبير كامو

العبثية، الوجودية، الانتحار

مكتبة | 856
سُر مَن قرأ

عنوان الكتـاب: ألبير كامو - العبثية، الوجودية، الانتحار
اسـم المؤلـف: مجموعة مؤلفين
ترجمة وتقديم: عقبة زيدان
الموضـوع: دراسات أدبية
عدد الصفحات: 246 ص
القيـاس: 14.5 × 21.5 سم
الطبعـة الأولى: 500 /كانون الثاني 2021 م - 1442 هـ
ISBN: 978-9933-38-278-0

© جميع الحقوق محفوظة لدار نينوى
Copyright ninawa

مكتبة
t.me/t_pdf

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

25 6 2022

ألبير كامو

العبثية، الوجودية، الانتحار

مكتبة | 856
سُر مَن قرأ

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

ترجمة وتقديم:
عقبة زيدان

مكتبة
t.me/t_pdf

الفهرس

مقدمة ٧
عن السعادة واليأس وفن الوعي - ماريا بويوفا ٢٧
مواجهة التاريخ - لماذا نحب كامو؟ - آدم جوبنيك ٣٣
السعادة المأساوية - جون ويتمان ٤٩
البابا والنبي - ليزلي فيدلر ٥٥
الوجودية العبثية - لورا ماغواير ٦٥
معنى الحياة - سكوتي هندريكس ٦٩
الوجودية والعبودية - أوستن كلاين ٧٣
محادثة أعيد بناؤها - كيفن بيرغر ٧٥
العبث قد يكون ملكاً - جيمي لومباردي ٨٧
هل يجب أن أقتل نفسي؟ - إريك فان آكين ٩١
الشعور والعبث -- توماس بولزلر ٩٥
التأقلم مع عبثية الحياة - جاك مادن ١١٥
الفلسفة الانتحارية - جيفري ميلر ١١٩
مفارقة العبث - سان نجوين ١٣١
قراءة العبث - ريتشارد فوغل - برنارد سيل ١٣٧
المعنى وسط العبث - ميغان إي فون هاسل ١٤١
الحقيقة والعبث - ريبيكا لونغ ١٦٩

استراتيجيات كامو - ستيفن سمول ١٧٥
مشكلة فلسفية خطيرة - جيا تشي تان ١٨١
الهروب من الوجود - دانيال ميسلر ١٨٥
العالم في عيني كامو - لارا مارلو ١٩٣
البراءة في عالم عبثي - روبرت سي. سولومون ١٩٩
كامو صوت العقل - آدم سيتسر ٢٠١
حدود العبث - روبرت زاريتسكي ٢١٧
الحياة بعد الموت - دهانانجاي خديلكار ٢٢٧
من العبث إلى الثورة - جون فولي ٢٣١
فرانز كافكا وألبير كامو - جون ساذرلاند ٢٤٣

مقدمة

بغض النظر عن الآراء المتناقضة حول ما إذا كان ألبير كامو وجودياً، أو عبثياً، أو لا هذا ولا ذاك؛ فما يهم في قراءة أي كاتب - بحجم كامو وتعددية أفكاره وعمق تفكيره وهوسه بالتغيير - أن نتجه مباشرة إلى تلك الآراء التي تصب في مصلحة الإنسان، في خانة ارتقائه إلى حالة من الإنسانية، تناقض الحالة التي يعيشها العالم الآن.

كامو كان أكثر أبناء عصره تطلعاً نحو التغيير، وكان أكثرهم رؤية لما ستغدو عليه الأمور في المستقبل. كان يرى كيف يقتل البشر بعضهم، كيف كان رجال أوروبا الحمقى، يبقرون بطن الديمقراطية، ويقتلون كل ما يمكن أن يصب في مصلحة الإنسان. كانت أوروبا حينها تنوء تحت وطأة هتلر وتشرشل وفرانكو وستالين وموسوليني وفيليب بيتان (طبعاً مع اختلاف درجة الحماقة)، وغيرهم من الحمقى. وفي عالم يحكمه هؤلاء المهرجين المجانين، ماذا يمكن أن تفعل إذا كنتَ ألبير كامو؟ هل عليك أن توافق على ما يجري من قتل في العالم الأوروبي؟ وهل ستوافق على أن تكون ابناً للقارة التي تحتل دولاً في آسيا وأفريقيا، وتقوم جيوشها بإلقاء المواد الحارقة عليهم؟ أم عليك أن تكون إنسانياً، «عبقرياً شجاعاً» من طراز ألبير كامو وميغيل دو أونامونو (وليس من طراز المفكرين الأيديولوجيين)؟

في كتابه «عبقري شجاع» يطلق شون ب. كارول على كامو وأمثاله، لقب «مخلوقات رائعة». وهو - وإن كان معجباً بكامو - إلا أنه درس بشكل حيادي موهبة كامو النادرة في الفلسفة والأدب.

بصفته روائياً وكاتباً مسرحياً وأخلاقياً ومنظراً سياسياً، أصبح ألبير كامو بعد الحرب العالمية الثانية المتحدث باسم جيله ومرشد الجيل التالي، ليس فقط في فرنسا، وإنما أيضاً في أوروبا والعالم. تعكس كتاباته، التي تناولت بشكل رئيسي عزلة الإنسان في عالم غريب، وابتعاد الفرد عن نفسه، ومشكلة الشر، والنهاية الحتمية للإنسان، انعزالاً وخيبة أمل مفكر ما بعد الحرب. يتم تذكره، مع سارتر، كرائد للرواية الوجودية. على الرغم من أنه فهم عدمية العديد من معاصريه، فقد جادل كامو أيضاً بضرورة الدفاع عن قيم مثل الحقيقة والعدالة. في أعماله الأخيرة، رسم الخطوط العريضة للإنسانية الليبرالية التي رفضت الجوانب العقائدية للمسيحية والماركسية.

ولد ألبير كامو في ٧ نوفمبر ١٩١٣، في موندوفي، الجزائر، لوالدين هما: لوسيان كامو وهيلين سينتيس. كان والدا لوسيان مهاجرين فرنسيين يسعيان لحياة أفضل في المستعمرات. عندما ولد ألبير، كان لوسيان يعمل في مصنع الخمر. على عكس لوسيان، لم تكن هيلين فرنسية. انتقلت عائلتها إلى الجزائر من جزيرة مينوركا الإسبانية. عانت من فقدان السمع ومن إعاقة في الكلام. كانت هيلين أميّة.

توفي والده، لوسيان، في عام ١٩١٤، خلال معركة المارن في الحرب العالمية الأولى. كان لوسيان عضواً في فوج زواف الأول. كانت الحرب حاضرة بقوة في أدب كامو كله.

كافحت والدة كامو لتربية ابنيها لوحدها، وكانت العائلة تعيش في فقر مدقع. هي أرملة وصماء تقريباً، ولذلك فقد كان احتمال أن تحقق دخلاً معقولاً لها ولديها، هو احتمال ضئيل. انتقلت العائلة إلى شارع دي ليون، في منطقة بيلكور بالجزائر العاصمة. كانت بيلكور مكاناً مزدحماً تقريباً في العالم

الثالث. أُجبرت الأسرة على الانتقال إلى تلك المنطقة، كي تتمكن الجدة من تربية ألبير وشقيقه الأكبر. كانت جدة ألبير تحتضر بسبب سرطان الكبد. مثلت عائلة كامو أنموذجاً حقيقياً للبؤس الإنساني.

وفقاً لكامو، فقد كانت والدته غارقة في حزن دائم. هرباً من هذه الحياة المنزلية، دفن كامو نفسه في الدراسات والمشاركة في الفرق الرياضية المحلية. وميز نفسه في الرياضة كقائد ومنافس. في الأكاديمية، برع كامو أيضاً. عندما دخل كامو مدارس بيلكورت المحلية، لاحظ مدرب يدعى لويس جيرمان ذكاء ألبير الشاب. قام المعلم بتدريس ألبير وساعده على اجتياز امتحانات القبول بالمدرسة في عام ١٩٢٣.

كانت دراسة كامو خطوة مهمة للخروج من الفقر، وتم قبوله في قسم الفلسفة بجامعة الجزائر. في عام ١٩٣٠، توقف عن الدراسة بسبب السل الشديد. نتيجة لهذا المرض، قام كامو بتقليص ساعات دراسته، وكان يحضر محاضرات في جامعة الجزائر من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٥، ولم يفقد أبداً حماسه للتعلم.

الشيوعية والاشتراكية

بين عامي ١٩٣١ و١٩٣٥، عمل كامو في سلسلة من الوظائف ذات الأجر المنخفض. وتزوج أيضاً خلال هذه الفترة، وانتهى زواجه بالطلاق. أراد كامو أن يكون مدرساً، لكنه لم يتمكن من اجتياز الفحص الطبي بسبب مرض السل.

بينما كان طالباً في الجامعة، انضم كامو إلى الحزب الشيوعي وغادره. وفقاً للسيرة الذاتية، انضم كامو إلى الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٤، في المقام الأول

باعتباره معادياً للفاشية. الحرب الأهلية الإسبانية أثرت بشكل كبير على كامو وكثيرين غيره. استمرت علاقته العاصفة مع الحزب الشيوعي طوال حياته. لم تعجب «الماركسية اللينينية» كامو، حتى وهو طالب. كان اهتمامه الحقيقي بمحنة الطبقة العاملة والفقراء في الجزائر وأماكن أخرى.

أضاف الزواج إلى حياة كامو تعقيداً إضافياً. في عام ١٩٣٤، تزوج من سيمون هاي. كانت سيمون من الطبقة العليا في الجزائر. وكانت مدمنة على المخدرات. انتهى زواج كامو عندما علم أن سيمون كانت تمارس الجنس مع طبيب مقابل تزويدها بالعقاقير.

بقي كامو اشتراكياً طوال حياته. أسس مسرح العمال في عام ١٩٣٥. وكان مسرح العمال يهدف إلى تقديم مسرحيات اشتراكية للسكان العاملين في الجزائر العاصمة. كان كامو يأمل في تثقيف العمال، وفقاً لمعتقداته الخاصة. في عام ١٩٣٦، تم تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري بهدف واضح لاستقلال الجزائر وحكومة تمثل اهتمامات المسلمين. رداً على اتفاقية التحكيم الدائمة، انضم كامو إلى أنشطة «حزب الشعب الجزائري» - وهو حزب اعتبره أكثر توجهاً نحو «الناس». سرعان ما أعلن الحزب الشيوعي الجزائري عن أن «حزب الشعب الجزائري» هو منظمة فاشية، مع أنها لم تكن كذلك. وضع كامو أمام «المحاكمة» من قبل الحزب الشيوعي الجزائري، وطُرد من قبل جماعة «التروتسكيين». أسفرت هذه التجربة عن تحول كامو إلى معاداة الشيوعية لسنوات عديدة.

بين عامي ١٩٣٧ و١٩٣٩، كتب كامو كتاباً عن الجزائر-الجمهورية، ورقة اشتراكية. كمراسل، قام بتجميع سرد مفصل لحياة الفقراء العرب في

منطقة القبائل. نشر لاحقاً مجموعة من المقالات حول الظروف الصعبة والتمييز العرقي الذي يواجهه العرب.

تزوج كامو مرة أخرى في عام ١٩٤٠، من فرانسين فور، وهي مدرّسة للرياضيات من وهران. وفي العام نفسه، غادر كامو الجزائر متوجهاً إلى باريس، على أمل أن يثبت وجوده كمراسل في الصحافة اليسارية. لسوء الحظ، غزا الجيش الألماني فرنسا، وعاد كامو إلى شمال أفريقيا. تزوج من جديد في أفريقيا، ووجد وظيفة في وهران. صدر حكم بحق كامو، وينص الحكم على اعتباره «تهديداً للأمن القومي»، ونُصح بمغادرة الجزائر في مارس ١٩٤٠. أدت القوة الصاعدة لليمين السياسي في كل من فرنسا والجزائر إلى إساءة معاملة العديد من اليساريين وجماعات السلام. كان كامو مسالماً وكتب صراحة عن ضرورة تجنب الحرب في أوروبا. وقد ترك غزو فرنسا انطباعاً رهيباً لديه.

مرة أخرى، سافر كامو إلى باريس. وصل قبل فترة وجيزة من سيطرة الجيش الألماني على باريس ومعظم شمال فرنسا. وجد أن الجيش الفرنسي ليس سوى بقايا مقاتلين بلا معنويات، والأسوأ من ذلك، تم وضع الجنود بشكل غير صحيح حيث لا يمكنهم الدفاع عن المدينة. يجد كامو نفسه يشعر بالعزلة أو الابتعاد عما اعتقد أنها بلده. كتب كامو:

«باريس ماتت. الخطر في كل مكان. أذهب إلى المنزل وأنتظر إشارة التنبيه أو أي شيء. يتم توقيفي باستمرار في الشارع ويسألونني عن هويتي».

كان يُنظر إلى كامو على أنه «قدم سوداء» pied-noir (تسمية تطلق على المستوطنين الأوروبيين الذين سكنوا أو ولدوا في الجزائر إبان الاحتلال

الفرنسي للجزائر ١٨٣٠- ١٩٦٢). بشرته مصبوغة بالشمس أو لونها بني فاتح. لهجته ليست فرنسية خالصة. مهما كان الأمر، بالنسبة إلى «القوى» التي تحكم باريس، فإن كامو مشتبه فيه. بالتأكيد إنه في تفكيرهم ليس باريسياً. يبقى في باريس لفترة وجيزة قبل أن يتم نقل جميع موظفي صحيفة «مساء باريس» Paris-Soir، الصحيفة التي وجد فيها العمل، إلى مدينة بوردو الساحلية الغربية لتجنب النازيين.

خلال عام ١٩٤٠ أنتج بعض أعظم مقالاته وروایاته. في أقل من عام، كتب كامو أو أكمل مسودات «الغريب» و«أسطورة سيزيف» و«الطاعون». وسرعان ما وصل الجيش الألماني إلى باريس، مما أجبر كامو والعديد من الأشخاص الآخرين على الفرار من فرنسا فيشي. في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٢، نزل الحلفاء في شمال أفريقيا، مما أعطى كامو بعض الأمل في انتهاء الحرب. سافر كامو إلى سان إيتيني بوسط فرنسا. خلال فصل الشتاء، تفاقمت أعراض مرض السل وجعلت مزاجه قاتماً.

المقاومة

في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٣، انضم كامو إلى خلية مقاومة سرية تُعرف باسم «المقاومة» «Combat» - وهو أيضاً اسم صحيفة المنظمة. تم تأسيس Combat في عام ١٩٤٢. كما هو الحال مع معظم النشطاء، تبنى كامو اسماً مزوراً، «بوشارد»، وحمل أوراقاً مزيفة للسفر داخل المدن المحتلة. ساعد كامو في تهريب نسخ من صحيفة Combat إلى الجمهور. تمت طباعة Combat في ليون ووزعت في باريس، وكانت تحمل أخبار الحرب.

أصبح كامو رئيس تحرير Combat في عام ١٩٤٣، وبقي يحررها لمدة أربع سنوات. ودائماً كان يدعو محرريه إلى التصرف وفقاً لمبادئ أخلاقية صارمة. خلال هذه الفترة، قام كامو بإضفاء الطابع الرسمي على فلسفته بأن الحياة البشرية كانت مقدسة، بغض النظر عن مدى القناعة بالوجود الذي لا يمكن تفسيره. انتقلت الصحيفة إلى باريس في صيف عام ١٩٤٤، بعد تحرير المدينة. كتب كامو افتتاحية الطبعة الأولى لباريس:

«باريس مشتعلة تحت وابل من الرصاص في ليلة من ليالي أغسطس. في هذا المكان المفعم بالماء والحجر، حيث يتحدث هذا النهر بكثافة مع التاريخ، يتم بناء حواجز الحرية مرة أخرى. مرة أخرى، يجب شراء العدالة بدم الرجال. لا يمكن تصور أن الرجال الذين قاتلوا لمدة أربع سنوات في صمت وفي أيام القصف الكامل وإطلاق النار، سيوافقون على رؤية قوات القمع والظلم تعود بأي شكل من الأشكال».

صداقة سارتر وعداوته

جمعت الحرب العالمية الثانية بين جان بول سارتر وألبير كامو. أدت السياسة في النهاية إلى انفصالهما الأبدي. حتى صداقتهما مع سيمون دي بوفوار لم تكن كافية لإبقاء الرجلين متحدين في أعقاب صعود الشيوعية السوفييتية. بعد وفاة كامو فقط، امتدح سارتر صديقه السابق مرة أخرى.

خلال منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، سيجتمع هذا الثلاثي من المثقفين الفرنسيين في «كافيه دو فلور» Café de Flores في بوليفار سان جيرمين Boulevard St. Germain، المعروف باسم «الضفة اليسرى»

«The Left Bank». لقد تقاسموا المعتقدات المشتركة: الكون متوحش، وبصرف النظر عن العقل، ليس هناك ألوهية، والحرية تتغلب على اليأس. اعتنق سارتر وكامو في وقت مبكر التضامن (الإنساني) كقيمة عليا في الحياة. فيما بعد، ويرجع ذلك جزئياً إلى رفض كامو الأساليب السوفييتية، صرح سارتر بأن كامو تخلى عن التضامن.

ليست العقائد الاشتراكية والوجودية غير صحيحة بالضرورة، ولكن رؤية كامو كانت مختلفة عن وجهة نظر المثقفين الفرنسيين الآخرين. وكانت تحيزات كامو متجذرة في الفقر والمعاناة.

بعد الحرب، قام كامو بجولة في الولايات المتحدة. وجد أن الوجودية الفرنسية، كما روج لها جان بول سارتر، أسيء فهمها على نطاق واسع كفلسفة نابعة من اليأس. قال كامو إن الحياة كانت عبثية - تتحدى التفسير المنطقي، وفي النهاية غير عقلانية. ومع ذلك، يعتبر كامو الحياة قيمة وتستحق الدفاع عنها. وبينما اعتقد الجمهور الأمريكي أن الوجودية كانت خالية من الأخلاق، فإن تجارب كامو في الجزائر وفرنسا أدت إلى نظام أخلاقي قوي.

في عام ١٩٤٤، في سن الحادية والثلاثين، كان كامو الصوت الرئيسي للتغيير الاجتماعي. كان لا ينتمي إلى أي حزب سياسي وكان مستقلاً تماماً. أدى رفضه للماركسية إلى هجوم متكرر عليه من الشيوعيين في فرنسا وبلدان أخرى. وقام كامو بمحاولة تشكيل حزب اشتراكي خاص به. ولكن لم ينضج هذا الحزب السياسي أبداً.

وقع كامو ضحية المرض في عام ١٩٤٩، فقد أصيب بانتكاسة وهاجمه السل بقوة. وظل لمدة عامين في عزلة، ولكنه استمر في الكتابة ونشر مقالات

سياسية. استعاد كامو عام ١٩٥١ صحته، ونشر «المتمرد» The Rebel، وهي مجموعة من أفكاره حول التمرد الميتافيزيقي والتاريخي والفني. أغضب الكتاب كثيراً من الفلاسفة والمفكرين، لدرجة أنه تعرض للنبذ من قبل العديد من المثقفين الفرنسيين. وكان هذا هو العمل المفصلي الذي أدى إلى انفصال كامو عن سارتر.

كامو الناشط

خلال خمسينيات القرن العشرين، تولى كامو دور المحامي المتفرغ لحقوق الإنسان. لقد فعل هذا على الرغم من انفصاله عن النخبة المثقفة الفرنسية، والتي تركت كامو معزولاً بطريقة ما. وجد نفسه بمفرده، على الرغم من أنه يكتب في كثير من الأحيان عن نفس الظلم الذي تعرض له سارتر وآخرون.

شعر كامو بالاشمئزاز من فوز فرانكو في إسبانيا، فاستقال من اليونسكو في عام ١٩٥٢ عندما قبلت إسبانيا في المنظمة. لا يمكن أن ينتمي كامو إلى أي منظمة تسمح بعضوية الدولة الفاشية.

في عام ١٩٥٣، كتب كامو دعماً لعمال برلين الشرقية الذين قاموا بالإضراب. بينما تجاهل اليساريون الآخرون خطايا دول الاتحاد السوفييتي. صدم كامو عندما استخدمت الدولة السوفييتية الدبابات لقمع المظاهرات. أثبت الحزب الشيوعي مرة أخرى أنه كان قامعاً بطبيعته. كتب كامو عن الأحداث:

«عندما يقترب عامل، في مكان ما من العالم، من دبابة بقبضتي يديه العاريتين ويصرخ بأنه ليس عبداً، فماذا نكون إذا بقينا غير مبالين؟».

كانت الأحداث التي وقعت في الخمسينيات اختباراً حقيقياً لعاطفة كامو العميقة. وجد نفسه مكرساً لحقوق الإنسان، وهو يكافح ضد الاستعمار الفرنسي. في يوليو ١٩٥٣، فتحت الشرطة النار على المسلمين المحتجين في باريس. أصيب العديد منهم، وقُتل العديد منهم أيضاً على أيدي الشرطة الفرنسية. كان الكثير من المسلمين في باريس جزائريين، وهم يعيشون على أمل التوصل إلى حل سلمي للهيمنة الاستعمارية. أراد معظمهم، كما فعل كامو، استقلالاً أكبر لوطنهم. أحداث مثل إطلاق النار من قبل الشرطة، عملت فقط على عزل المسلمين ومنح سلطة أكبر للمتطرفين.

في وقت لاحق، كما هو الحال مع العديد من اليساريين الآخرين، وجد كامو نفسه متحيزاً لـ«اليمين» عندما بدأ الاتحاد السوفييتي في استخدام القوة للسيطرة على الدول الأخرى. في عام ١٩٥٦ احتج كامو وآخرون على الأعمال السوفييتية في المجر.

بقي وفياً لمعارضته عقوبة الإعدام مدى الحياة، ودافع كامو عن الزوجين الأمريكيين السيئي السمعة، روزنبرغ، ليس لأنهما كانا يساريين، وإنما بسبب عقوبة الإعدام التي فرضتها محكمة أمريكية. كان كامو قلقاً بالفعل من أن الزوجين ربما يكونان قد نشرا أسلحة نووية - وهي تقنية وجدها كامو مقلقة للغاية. في تعليق على استخدام الولايات المتحدة للأسلحة النووية، كتب كامو:

«وصلت الحضارة الآلية لتوها إلى أعلى درجة من الوحشية. هناك بعض العهر في الاحتفال بالاكتشاف الذي يؤدي إلى أعظم دمار عرفه الإنسان منذ قرون».

تطهير فيشي

بعد الحرب العالمية الثانية، كانت هناك دعوة كبيرة من أجل «العدالة» في معظم أنحاء أوروبا. خلال عملية التطهير، تمت محاكمة الخونة وقادة فيشي وإعدامهم بتهمة ارتكاب جرائم ضد الشعب الفرنسي.

كصحفي وبدافع الفضول، حضر كامو محاكمة المارشال بيتان. أراد أن يعرف كيف أصبح هذا الرجل العظيم عدو الشعب الفرنسي. فوجئ الكثيرون عندما حكم على بيتان بالإعدام. لقد تحول بطل الحرب العالمية الأولى، الذي يتجاوز عمره الآن ٨٠ عاماً، من أيقونة فرنسية إلى تجسيد للخيانة. كان كامو وآخرون يشعرون بالارتياح عندما تم العفو عن بيتان من قبل شارل ديغول، الذي أراد الوحدة بعد الحرب.

طمحت غالبية الشعب الفرنسي، حتى أولئك الذين قاتلوا في المقاومة، في أن يتم نسيان الحرب. ورغم أن ديغول قاد القوات الفرنسية، إلا أنه أراد إعادة بناء فرنسا أكثر مما أراد الانتقام. نتيجة لذلك، لم تستمر حكومة ديغول في التطهير مع أنه كان من المفترض أن يتم ذلك. بمجرد حدوث بعض المحاكمات وعمليات الإعدام الرئيسية، اعتقد ديغول بشكل صحيح أن الجمهور سيكون راضياً - ولن تتم إراقة المزيد من الدم الفرنسي بسبب الحرب.

أصر كامو على العدالة وعلى إنزال عقوبات صارمة. لأول مرة في حياته، تساءل عما إذا كانت عقوبة الإعدام عقوبة معقولة. حضر كامو محاكمة رجل خائن، واعترف بأن الموت بدا جيداً ومقبولاً تماماً بالنسبة إلى الخائن. ومع ذلك، قاوم كامو عقوبة الإعدام ووقف في تضاد مع مشاعره.

«في كل رجل مذنب، هناك بعض البراءة. وهذا يجعل كل إدانة مطلقة مثيرة للاشمئزاز».

الصحافة

بعد الحرب، واصل كامو العمل في صحيفة «المقاومة» Combat. بالنسبة إلى ألبير كامو، كان «الصحفي» هو الوصف الوظيفي المرموق مثل وصف «الروائي» أو «الكاتب المسرحي». كانت الكلمات التي كتبها عبارة عن لوحات مطبوعة. أدرك كامو أن الصحف كانت أكثر نفوذاً بكثير من معظم أشكال الكتابة الأخرى – وذلك بفضل اتساع رقعة جمهورها.

في عام ١٩٤٧، تمت خصخصة Combat، مما يعني أنها تعمل من أجل الربح. لم يؤثر هذا التغيير على المحتوى؛ أحد أسباب خصخصة الصحيفة هو شعبيتها. مع مرور الوقت، تغير المحتوى وتغيرت سياسة التحرير. ومع ذلك، لم تتغير المثل العليا الصحفية لكامو. لقد اعتقد دائماً أن الأخبار يجب أن تكون ما يجب أن يعرفه الناس ويحتاجون إلى معرفته، وليس ما يريدون قراءته. في تعليق على الصحافة، في عام ١٩٥٧، كتب كامو:

«هذه الصحافة، التي كنا نأمل أن تكون فخورة ومكرمة، ما زالت على حالها اليوم في هذا البلد التعيس».

الاضطرابات الجزائرية

بدأ الوضع الجزائري في التدهور بسرعة أكبر في ١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤، عندما هاجم أعضاء جبهة التحرير الوطنية أماكن مختلفة في الجزائر، بما في ذلك الثكنات العسكرية ومكاتب الشرطة وغيرها من رموز

الاحتلال الفرنسي. على عكس كثير من المفكرين من ذوي الميول اليسارية، كان كامو في وضع فريد من حيث كونه مولوداً في مستعمرة. لقد اعتبر نفسه جزائري الأصل. قال كامو: «من السهل أن تكون معادياً للاستعمار في بيسترو ومرسيليا أو باريس».

بدأ كامو الكتابة في جريدة l'Express اليومية في عام ١٩٥٥. شملت كتاباته تغطية للحرب الجزائرية. تم جمع مقالاته عن الجزائر في وقت لاحق:

«من الذي انقلب على جميع مشاريع الإصلاح لمدة ثلاثين عاماً، إن لم يكن برلماناً ينتخبه الفرنسيون؟ من أغلق أذنيه أمام صرخات البؤس العربي... إن لم يكن الغالبية العظمى من الصحافة الفرنسية؟ ومن، إن لم يكن فرنسا، بضميرها المثير للاشمئزاز، انتظر حتى تنزف الجزائر لكي تدرك أخيراً أنها موجودة؟».

في شباط/ فبراير ١٩٥٦، أجبرت المظاهرات الحاشدة التي نظمتها «قدم سوداء» pied noirs في فرنسا رداً على الاضطرابات في الجزائر. تمركز ٤٠٠٠٠٠ جندي فرنسي في الجزائر. تفاقمت هجمات جبهة التحرير الوطني مع وصول القوات الفرنسية. لسوء الحظ، لكن بشكل متوقع، ردّ الفرنسيون بالتعذيب والقتل الجماعي وحملات عنيفة ضد المسلمين.

توسل كامو علناً من أجل هدنة «مدنية» في الجزائر، حيث طلب من الطرفين «تجنيب السكان المدنيين» العنف. آخر مقال كتبه كامو، «الجزائر ١٩٥٨»، دعم «اتحاد الشعوب» في الجزائر. بموجب خطة كامو، يتقاسم المسلمون والنواب السلطة في الحكومة، وستصبح الجزائر كومنولث مستقلاً. لقد أصبح مقتنعاً أيضاً بأن الشيوعيين كانوا وراء الكثير من

الاضطرابات. ألقى كامو باللوم على الاتحاد السوفييتي والدول العربية لتشجيع المتطرفين المسلمين.

جائزة نوبل

نُشر «السقوط» The Fall في عام ١٩٥٦. تم استقبال الكتاب بشكل جيد، مما أدى إلى عودة كامو إلى الأوساط الفكرية. في العام التالي، حصل على جائزة نوبل للآداب. وبينما اجتذبت The Fall اهتماماً واضحاً، استشهدت لجنة نوبل بمقال كامو «أفكار حول المقصلة» Réflexions Sur la Guillotine كعمل مؤثر في حقوق الإنسان.

عندما حصل كامو على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٥٧، كان ثاني أصغر من حصل على هذه الجائزة على الإطلاق. أثناء وجوده في السويد لتسلم الجائزة، ذهب كامو وقابل الطلاب في جامعة ستوكهولم. طالب عربي اتهم كامو بعدم الاهتمام بالعرب في الجزائر. رد كامو:

«علي أن أندد بالإرهاب الأعمى في شوارع الجزائر، والذي قد يضرب أمي أو عائلتي ذات يوم. أنا أؤمن بالعدالة، لكنني سأدافع عن والدتي أمام العدالة».

تعليقاته صدمت اليسار. بالسرعة نفسها التي أعادته بها «السقوط» إلى الواجهة الإعلامية والنقدية، عزلت هذه التعليقات كامو مرة أخرى عن الأوساط الفكرية. الأسرة قبل العدالة؟ المخاوف الخاصة أثمن من الصالح العام؟ هذه الأفكار تتعارض مع العقيدة الاشتراكية التقليدية. كان كامو يعلم أن معظم الناس سيدافعون عن العائلة قبل البلد، لكنه تجرأ على التصريح علناً بأن العلاقات الإنسانية حلت محل النظريات السياسية.

عمل كامو على مساعدة العرب، مما أنقذ الكثير من عقوبة الإعدام. وقال في وقت لاحق إن كلمة «الأم» في تعليقاته كان المقصود منها أن ترمز إلى الموت الغامض. ومع ذلك، فشل اليساريون في فهم ذلك. ما زال يتمسك بالاعتقاد بأنه في بعض الأحيان يجب أن تكون الثورة عنيفة.

في مايو ١٩٥٨، أدى الانقلاب في الجزائر، بقيادة الفرنسيين اليمينيين، إلى إنهاء الاضطرابات المدنية مؤقتاً. وعدت فرنسا بتقرير المصير، مع الإصرار على أن تقرير المصير هذا، يعني استمرار الحكم الفرنسي. كان كامو يعتزم القيام بحملة ضد الاستقلال عن فرنسا... لا يمكن أن يتخيل الجزائر مستقلة عن فرنسا.

قبل وفاته، كان كامو يخطط لمجموعة أخرى تتألف من ثلاثة أعمال. كان موضوعه الجديد هو «الحب».

توفي كامو في ذروة حياته المهنية ككاتب، في حادث سيارة غريب بالقرب من سينس، فرنسا، في ٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٠. ومن الغريب أن كامو قال ذات مرة إنه لن يكون هناك موت أقل معنى من الموت في حادث سيارة. كان من بين أوراقه رواية «الرجل الأول»، وهي سرد روائي لتاريخ عائلته. نشرت هذه الرواية في عام ١٩٩٥، مما أدى إلى تجدد الاهتمام بكامو وأعماله.

ما يميز كامو عن العديد من الوجوديين والفلاسفة الحديثين عموماً هو قبوله للتناقضات. نعم، كتب كامو إن الحياة عبثية والموت يجعلها بلا معنى - بالنسبة إلى الفرد. لكن الجنس البشري ومجتمعاته أكبر من حصرها في شخص واحد.

نظرة على أعماله

برزت أهميته في ثلاث روايات، «الغريب» (١٩٤٢)، والطاعون (١٩٤٧)، والسقوط (١٩٥٦)، واثنتين من المقالات الفلسفية: «أسطورة سيزيف» (١٩٤٢) و«المتمرد» (١٩٥١).

تستند شهرة كامو إلى حد كبير على روايته «الغريب». تقع أحداثها في مدينة الجزائر العاصمة، وتحكي أحداثها قصة بطل ساذج، منعزل، مفعم بالذكريات يدعى ميرسول - رجل لا يستطيع رؤية وجهة الحب، أو العمل، أو الصداقة - والذي يوماً ما - عن طريق الخطأ - يطلق النار على رجل عربي من دون أن يعرف دوافعه، وينتهي به المطاف بالموت - لأنه لا يظهر أي ندم، ولا يهتم بمصيره بطريقة أو بأخرى.

تجسد الرواية الحالة الذهنية التي حددها عالم الاجتماع إميل دوركهايم باعتبارها حالة شاذة، وهي حالة غريبة، حيث يشعر المرء بانفصال تام عن الآخرين، ولا يمكن العثور على طريقة لمشاركة تعاطفهم أو قيمهم.

تعتبر «الغريب» رواية مقروءة كثيراً في سن المراهقة بين الفرنسيين والعديد من المراهقين الآخرين، وليس هناك من طريقة لتنحيتها جانباً، لأن الكثير من الموضوعات الكبرى يتم تناولها عند سن السابعة عشرة أو نحو ذلك.

لا يمكن لـميرسول، بطل رواية «الغريب»، قبول أي من الإجابات الطبيعية عن السبب في كون الأشياء كما هي. يرى النفاق والعاطفة في كل مكان - ولا يستطيع التغاضي عنهما. إنه رجل لا يمكنه قبول التفسيرات العادية المقدمة لشرح أشياء مثل النظام التعليمي ومكان العمل والعلاقات

وآليات الحكومة. إنه يقف خارج الحياة البرجوازية العادية، وينتقد بشدة أخلاقها الضيقة ومخاوفها الضيقة حول المال والأسرة.

قال كامو في كلمة ختامية كتبها للطبعة الأمريكية من الكتاب: «إن ميرسول لا يلعب اللعبة. يرفض الكذب.. يقول الأمر كما هو عليه، يرفض إخفاء مشاعره - وهكذا يشعر المجتمع على الفور بالتهديد».

يأتي جزء كبير من الجودة الفنية الرائعة غير المعتادة للكتاب، من الصوت البعيد البارد الذي يتحدث به ميرسول إلينا، أي إلى قرائه.

افتتاحية الرواية هي واحدة من أكبر الأساطير في أدب القرن العشرين وفيها يأتي صوت ميرسول: «ماتت أمي اليوم. أو ربما بالأمس، لا أعرف».

النهاية كذلك صارخة وكأنها تحدٍ للأفكار التقليدية. ميرسول، محكوم عليه بالإعدام لارتكابه جريمة قتل خارجة عن متناول اليد تقريباً، لأنه يمكن أن يكون من المثير للاهتمام معرفة ما هو عليه وضعه عندما ضغط على الزناد، يرفض كل المواساة وينظر ببطولة فائقة نحو اللامبالاة الكاملة للبشرية: «أمنيتي الأخيرة أن يكون هناك حشد من المتفرجين أثناء إعدامي وأن يغدقوا عليّ بصرخات الكراهية».

وبصرف النظر عن «الغريب»، فإن شهرة كامو تستند إلى مقال نُشر في نفس العام الذي نشرت فيه الرواية، وهو مقال يحمل عنوان «أسطورة سيزيف».

يحتوي هذا الكتاب أيضاً على بداية جريئة:

«لا يوجد سوى مشكلة فلسفية خطيرة واحدة وهي الانتحار. إن الحكم على ما إذا كانت الحياة تستحق العيش أم لا، هو السؤال الأساسي للفلسفة».

السبب وراء هذا الاختيار الصارخ هو، في نظر كامو، أنه بمجرد أن نبدأ في التفكير بجدية، كما يفعل الفلاسفة، سنرى أن الحياة ليس لها معنى - وبالتالي سنضطر إلى التساؤل عما إذا كان ينبغي لنا أن نكون موجودين رغم كل شيء.

يقف كامو في طابور طويل من المفكرين، من كيركيغارد إلى نيتشه إلى هايدغر وسارتر الذين يرون بأنه في الواقع لا يوجد معنى للحياة. نحن مجرد مادة بيولوجية تدور بلا معنى في عالم غير مبال.

إن ألبير كامو، وهو طفل يائس للحداثة اليائسة، يقبل أن كل حياتنا عبثية في المخطط الأعظم، لكن - على عكس بعض الفلاسفة - ينتهي به المطاف إلى مقاومة اليأس المطلق أو العدمية. وهو يجادل بأنه يتعين علينا أن نتعايش مع الوجود ونحتمل مأساتنا، رغم علمنا بأن جهودنا ستكون عقيمة إلى حد كبير، وأن حياتنا سرعان ما تُنسى، وأن أجناسنا فاسدة وعنيفة بشكل لا يمكن إصلاحه - ومع ذلك ينبغي أن نتحمل مع ذلك.

نحن مثل سيزيف، الشخصية اليونانية التي أمرتها الآلهة بدحرجة صخرة إلى أعلى الجبل، ومن ثم رؤيتها وهي تسقط إلى الأبد - ويتكرر الأمر إلى ما لا نهاية.

لكن في نهاية المطاف، كما يقترح كامو، يجب أن نقوم بكل ما يمكننا القيام به. علينا أن نعترف بالخلفية العبثية للوجود - كي ننتصر على اليأس. وها هو يدون عبارته الشهيرة:

«يجب على المرء أن يتخيل سيزيف سعيداً».

يقودنا هذا إلى الجانب الأكثر سحراً وإغراء عند كامو، الذي يريد أن يذكّر نفسه ويذكّرنا بالأسباب التي تجعل الحياة تستحق المقاومة - ويكتب

بكثافة وحكمة استثنائية حول العلاقات والطبيعة والصيف والطعام والصداقة.

لم تكن كل هذه مجرد مراوغات أسلوبية. بمجرد أن تدرك بشكل صحيح أن الحياة عبثية، فأنت على حافة اليأس ربما - ولكن أيضاً، مجبر على عيش حياة أكثر كثافة.

وفقاً لذلك، كان كامو ملتزماً بجدية في ملذات الحياة العادية. قال إنه رأى فلسفته «دعوة واضحة للعيش والإبداع، في خضم الصحراء».

«إذا كانت هناك خطيئة ضد الحياة، فربما لا يكون ذلك في اليأس من الحياة، بقدر ما هو أمل في حياة أخرى، وفي التملص من عظمة هذه الحياة».

في رسالة قال: *«الناس يجذبونني بقدر ما هم متحمسون للحياة ويتوقون إلى السعادة...».*

«هناك أسباب تستحق الموت من أجلها، لكن لا شيء يستحق القتل من أجله».

نحن ندرك جميعاً أن أفكار كامو عن العبث والوجود والانتحار، مثلها مثل أفكار الفلاسفة المجددين الآخرين، ليست ثابتة وأبدية، ولكنها مفصل مهم في تاريخ الأفكار الفلسفية.

مكتبة
t.me/t_pdf

عن السعادة واليأس وفن الوعي

ماريا بوبوفا

في أواخر أيامه، كتب ألبير كامو في يومياته: *«أولئك الذين يفضلون مبادئهم على سعادتهم، يرفضون أن يكونوا سعداء خارج الشروط التي يبدو أنهم قد حددوا بها سعادتهم»*. في الواقع، تميل مبادئنا إلى التمسك بالعادات، وعلى الرغم من أن العادات تعدّ شكلاً لحياتنا الداخلية، إلا أنها يمكن أن تتحول إلى جمود روتيني وتخلق نوعاً من الزخم الذي، بدلاً من أن يوسع قدرتنا على السعادة، فإنه يضيّقها. في نشوة الروتين والمبادئ، ينتهي بنا المطاف بإظهار حيواتنا اليومية أثناء غيابنا عنها.

أشياء قليلة تخرجنا من روتيننا وتنبهنا إلى جوهر السعادة الحية بقوة أكبر من السفر. عرف كامو هذا. قبل عقود، عندما كان في الثانية والعشرين من عمره، وكان لا يزال بعيداً عن أن يصبح ثاني أصغر فائز بجائزة نوبل في الأدب، استكشف هذه الحيرة الإنسانية بأناقة فكرية لا مثيل لها ونعمة روحية في مقال رائع بعنوان *«حب الحياة»*، أدرج في نهاية المطاف في مجموعته المنشورة بعد وفاته بعنوان *المقالات الغنائية والنقدية*.

مستعيداً مشهد امرأة شابة ترقص بهدوء في ملهى إسباني، يكتب كامو - الذي كانت حياته كلها ترتكز على أساس أن السعادة هي واجبنا الأخلاقي -:

«من دون المقاهي والصحف، سيكون من الصعب السفر. إن الورق المطبوع بلغتنا الخاصة، يمكّننا من تقليد الإيماءات المألوفة

للإنسان الذي كنّاه في المنزل، والذي يبدو، من بعيد، غريباً جداً. ما يعطي قيمة للسفر هو الخوف. إنه يحطم نوعاً من البناء الداخلي لدينا. لا يمكن للمرء بعد ذلك الغش - الاختباء وراء الساعات التي قضاها في المكتب أو في المصنع (تلك الساعات التي نحتج بها بصوت عالٍ، والتي تحمينا جيداً من ألم الوجود وحده). لطالما أردت أن أكتب روايات يقول فيها أبطالي: «ماذا أفعل من دون المكتب؟» أو مرة أخرى: «لقد توفيت زوجتي، لكن لحسن الحظ لدي كل هذه الطلبات التي عليّ أن أجهزها للغد». السفر يسلبنا مثل هذا الملجأ. بعيداً عن شعبنا، ولغتنا الخاصة، التي تجردنا من جميع دعائمنا، وتحرمنا من أقنعتنا (لا يعرف المرء الأجرة في عربات الترام، أو أي شيء آخر)، نحن تماماً على السطح الخارجي لأنفسنا. ولكن أيضاً، بسبب مرضنا الروحي، نعيد لكل كائن وكل شيء قيمته الإعجازية. امرأة ترقص من دون أي أفكار في رأسها، وهناك زجاجة على طاولة، تُلمح خلف ستارة: كل صورة تصبح رمزاً. يبدو أن الحياة كلها تنعكس فيها، بقدر ما تلخص حياتنا في الوقت الحالي. عندما ندرك كل هدية، فإن الشمل العاطفي المتناقض الذي يمكن أن نتمتع به (بما في ذلك الوضوح) لا يوصف».

ويحذر كامو، بأن هذا الاتصال بالنعيم المطلق، يستلزم قدراً متساوياً من التواصل مع اليأس المطلق:

«هناك يكمن كل حبي للحياة: شغف صامت لما قد يهرب مني، ومرارة تحت لهب. كل يوم أترك هذا الدير مثل رجل يرتفع عن

نفسه، يرسم للحظة وجيزة استمرارية العالم... لا يوجد حب للحياة من دون يأس من الحياة».

مردداً تحذير كيركيغارد الذي لا ينسى - *«من بين كل الأشياء العبثية، يبدو الأمر الأكثر عبثيّة بالنسبة إلي، أن أكون مشغولاً»*، وهذا ما كتبه الفيلسوف الدانماركي في *«التفكير في أعظم مصدر لتعاستنا»* - يفكر كامو في أن نشوة الانشغال تسلب منا الروح الضرورية للسعادة:

«الحياة قصيرة، ومن الخطأ أن نضيّع الوقت. يقول أحدهم أنا نشط. لكن النشاط لا يزال يهدر وقت المرء، إذا أضاع المرء نفسه فيه. اليوم هو وقت الراحة، وقلبي ينفجر بحثاً عن نفسه. إذا كان القلق لا يزال يقبض عليّ، فهذا يحدث حين أشعر أن هذه اللحظة غير المواتية تتسرب من بين أصابعي مثل الزئبق... في الوقت الحالي، أصبحت مملكتي بأكملها من هذا العالم. هذه الشمس وهذه الظلال، هذا الدفء والبرد يتصاعدان من أعماق الهواء: لماذا تتساءل ما إذا كان هناك شيء يموت أو ما إذا كان الرجال يعانون، لأن كل شيء مكتوب على هذه النافذة حيث تحجب الشمس وفرتها على أنها ترحيب بي؟ أستطيع أن أقول، في لحظة، وسوف أقول إن ما يهم هو أن تكون إنساناً وبسيطاً. لكن، ما يهم هو أن تكون حقيقياً، وبعد ذلك يكون كل شيء ملائماً، الإنسانية والبساطة. متى أكون أكثر صدقاً من أن أكون بشراً؟ كؤوسي طافحة قبل أن يكون لدي وقت للرغبة. الخلود هناك وكنت آمل ذلك. ما أتمناه الآن لم يعد السعادة ولكن الوعي ببساطة.

الشجاعة العظيمة لا تزال تنظر مباشرة إلى النور حتى لحظة الموت. علاوة على ذلك، كيف يمكنني تحديد الارتباط الذي يعبر من هذا الحب الكامل للحياة إلى هذا اليأس السري؟ إذا كنت أستمع إلى صوت السخرية، الرابض تحت الأشياء، فإنه يكشف ببطء عن نفسه. يغمز بعينيه الصغيرتين الصافيتين، ويقول: «عش كما لو.... على الرغم من كثرة البحث، فهذا كل ما أعرفه».

الترياقات الثلاثة لعبث الحياة

«في عالم يبدو أن من العبث اختراقه، يجب علينا ببساطة الوصول إلى درجة أكبر من التفاهم والإخلاص بين الناس».

قد يختبر الباقون، وغالباً ما يفعلون، العبثية بكل بساطة وجنون. ما الذي يجب علينا أن نفعله، أمام عبثية الحياة التي تجتاحنا يومياً؟ اعتقد أوليفر ساكس أن «أكثر ما يمكننا فعله هو الكتابة - بذكاء وإبداع ومثير - حول ما يشبه العيش في العالم في هذا الوقت». ومع ذلك، فإن تحليل هذا يمكن أن يدفعنا إلى اليأس.

أصبح ألبير كامو ثاني أصغر الحائزين على جائزة نوبل في الأدب، ومنح الجائزة عن العمل الذي «بجدية واضحة ينير مشاكل الضمير الإنساني». لقد فكر في العلاقة بين العبثية والفداء في مقابلة أجراها الصحافي الفرنسي جانين ديلبيتش عام ١٩٤٥، والتي تضمنتها مقالاته الغنائية والنقدية (المكتبة العامة) - المجموعة الرائعة بعد وفاته التي أجاب فيها كامو عن كيفية تعزيز شخصيتنا في الأوقات الصعبة والسعادة واليأس وحب الحياة.

قبل ثلاث سنوات من المقابلة، أذهل كامو البالغ من العمر ٢٨ عاماً العالم بمقالته الفلسفية الثورية «أسطورة سيزيف»، التي تبدأ بواحدة من أقوى الجمل الافتتاحية في كل الأدب وتستكشف مفارقة العبثية في الحياة. *«إن العواقب الثلاث السخيفة، وهي ثوريتي وحريتي وشغفي»*، وهو ما دفع مجري المقابلة إلى التساؤل عما إذا كانت الفلسفة المبنية على العبثية قد تدفع الناس إلى اليأس.

كامو - الذي أكد قبل سنوات «أنه لا يوجد حب للحياة من دون يأس من الحياة» - يجيب:

«كل ما يمكنني فعله هو الرد بالنيابة عني، مع إدراك أن ما أقوله نسبي. إن قبول عبثية كل شيء من حولنا هو خطوة واحدة، وهي تجربة ضرورية: لا ينبغي أن تصبح طريقاً مسدوداً. إنها ثورة يمكن أن تصبح مثمرة. قد يساعدنا تحليل فكرة الثورة في اكتشاف أفكار قادرة على استعادة معنى نسبي للوجود، على الرغم من أن هذا المعنى سيكون دائماً في خطر».

متحدثاً في ختام وحشية الحرب العالمية الثانية التي لا معنى لها، قبل ست سنوات من صياغة أفكاره حول التضامن وما يعنيه حقاً أن تكون متمرداً، يعتبر كامو الفعل الوحيد للشجاعة والتمرد الذي يستحق القيام به:

«في عالم يبدو أن من العبث فيه أن يكون من الصعب اختراقه، يجب علينا ببساطة أن نصل إلى درجة أكبر من التفاهم والصدق بين الناس. يجب أن نحقق هذا أو نهلك. للقيام بذلك، يجب الوفاء بشروط معينة: يجب أن يكون الرجال صريحين (الباطل يخلط بين

الأشياء)، وأحراراً (التواصل مستحيل مع العبيد). أخيراً، يجب أن يشعروا بعدالة معينة من حولهم».

كثيراً ما تساءلت عما إذا كان كامو قد قرأ قصيدة أودين، «سبتمبر ١٩٣٩»، التي كتبت في عام ١٩٤٠، والتي تتضمن مقطعاً محبباً جداً لشعور كامو:

كل ما لدي هو صوت
للتراجع عن الكذب المخفي،
الكذبة الرومانسية في المخ
وكذب السلطة
المباني تتلمس السماء:
لا يوجد شيء اسمه الدولة
ولا يوجد أحد بمفرده.
الجوع لا يسمح بأي خيار
لدى المواطن أو الشرطة؛
يجب علينا أن نحب بعضنا بعضاً أو نموت.

مواجهة التاريخ
لماذا نحب كامو؟

آدم جوبنيك

كان الروائي والفيلسوف الفرنسي الجزائري ألبير كامو رجلاً ذا مظهر وسيم للغاية، حيث وقعت النساء في حبه بلا حول ولا قوة لهن - إنه دون درابر[1] الوجودية. قد يبدو هذا أمراً تافهاً، إلا أنه دائماً ما يكون أول ما يحدث، هو أن يتحدث الأشخاص الذين يعرفون كامو عن شكله. عندما طلبت إليزابيث هاوز، التي روت في كتابها الرائع «كامو: الرومانسي» «Camus: A Romance» لعام ٢٠٠٩، قصة حزينة لفتاة جامعية افتتنت بصورته، سألت من بقوا أحياء من مجموعة مجلة بارتيزان ريفيو *Partisan Review*، الذين قابلوا كامو أثناء رحلته الوحيدة إلى نيويورك، ١٩٤٦، ما كان عليه، وقالوا إنه ذكّرهم بـ«بوغارت»[2]. وقال وليام فيليبس، محرر المجلة، «كل ما يمكنني قوله هو أن كامو كان الرجل الأكثر جاذبيةً الذي

---

١ - دونالد فرانسيس «دون» درابر هو شخصية خيالية وبطل سلسلة AMC التلفزيونية mad men ٢٠٠٧- ٢٠١٥. شخصية دون درابر Don Draper مستوحاة جزئياً من درابر دانيالز Draper Daniels، المدير الإبداعي في وكالة ليو بيرنيت Leo Burnett للإعلان في شيكاغو في الخمسينيات، والذي عمل في حملة Marlboro Man.

٢ - همفري بوغارت أحد أكبر نجوم السينما الأمريكية. ولد عام ١٨٩٩ وتوفي في عام ١٩٥٧، وكان ينتمي إلى عائلة مثقفة وميسورة الحال، ولم يستمر في دراسته ليتفرغ للتمثيل، مثل على مدى ربع قرن في ثمانية وستين فيلماً، وقد شخّص العديد من الأدوار أثبت فيها بعد تفوقه فيها.

قابلتُه على الإطلاق»، في حين أن ليونيل أبيل لم يقارنه ببوغارت فحسب، بل استمر في إخبار هاوز بأن سمة كامو المركزية هي «الأناقة.» (وبدا واضحاً لعين أ. ج. ليبلينغ المحب لفرنسا أن البدلة التي ارتداها كامو في نيويورك كانت من الموضة الباريسية قبل عشرين عاماً على الأقل).

أعجب كامو هذا الاستقبال بما يكفي للكتابة في المنزل إلى ناشره الفرنسي. «أنت تعرف، أنه يمكنني الحصول على عقد فيلم متى أردت»، كتب، مازحاً قليلاً، لكن قليلاً فقط. عند النظر إلى صورة كامو الشهيرة لكارتييه بريسون من الأربعينيات، قبة المعطف مرفوعة نحو الأعلى، والشعر مصفف إلى الوراء، وسيجارة في الفم؛ وجه طويل مبطّن وجذاب، وعينان نشطتان ودافئتان - ها أنت ترى سبب تفكير الناس فيه كنجم سينمائي، وليس مجرد حكيم؛ ترى أيضاً أنه كان يدرك التأثير الذي أحدثه.

من المعقول تماماً إذاً أن يكون الكتاب الجديد لكاترين كامو، ابنته التي ما زالت حية «ألبير كامو: العزلة والتضامن»، ألبوماً أساسياً للصور الفوتوغرافية، بدلاً من أي نوع من التوهج الفلسفي. يبدو هذا الأمر مهماً للعقل. عادة ما يقوم الأشخاص الأذكياء بالتعويض عن شيء ما، حتى إذا كان الجرح الذي يجعلهم يرسمون مسيرتهم الفنية ليس أسوأ من تضخم الأنف والأذنين البارزتين. الرجل القبيح الذي يفكر بجد - سقراط أو سارتر - يستخدم عقله للتعويض عن وجهه. (رأى كامو سارتر ذات مرة لا يغازل فتاة جميلة وتساءل لماذا لم يفعل، كما كان يفعل كامو، ويلاطفها. «ألا ترى وجهي؟» أجاب سارتر، بكل صراحة). عندما يمارس رجال وسيمون أو نساء جميلات عمل الفكر، فهذا يثير إعجابنا لأننا نعرف أنه كان بإمكانهم اختيار طرق أخرى لتكون مؤثرة؛ إن اختيارهم لمسار العقل

يوحي بوجود شيء أكثر أهمية من طريق غير مباشر إلى الأشياء الجيدة التي يحصل عليها المظهر الجميل.

فيما بعد تبقى صورة كامو - نذكره ليس فقط ككاتب راقٍ، وإنما كرجل مثالي ونوع من القديس العلماني وروح عصره، وكذلك الكاتب الفرنسي الأخير الذي يعرف معظم الأميركيين شيئاً عنه. يعتبره النقاد الأدبيون الفرنسيون أحياناً صاحب شهرة متوهجة ينالها مؤلفو الكلاسيكيات أيضاً - وهي اتجاه يحاول الكاتب الفرنسي ميشيل أونفراي، في كتابه الذي نشره مؤخراً عن حياة كامو «النظام التحرري» «L'Ordre Libertaire» الإصرار على أن كامو لم يكن كاتباً أفضل فحسب، بل كان مفكراً منهجياً أكثر إثارة للاهتمام من سارتر.

شكوك قرائه المحليين ليس أنه مغرور على أي حال. تقرأ اليوم، بأن كامو ربما لا ينسى كصحفي عظيم - ككاتب مذكرات وكاتب افتتاحيات - أكثر من كونه روائياً وفيلسوفاً. لقد كتب بشكل جميل، وحتى عندما فكر بطريقة تقليدية، فإن كتابته الرصينة الواضحة هي، إلى حد ما، الصوت الحقيقي للفكر. يقترح أوليفر تود، مؤلف السيرة الأساسية باللغة الفرنسية، أن كامو ربما استفاد من معرفة المزيد عن معاصريه الأنجلو أميركيين المعادين للاستبداد، ومن بينهم بوبر وأورويل. ولكن في الحقيقة، فإن السؤال الكبير الذي طرحه كامو، لم يكن أبداً السؤال الليبرالي الأنجلو أمريكي: كيف يمكننا أن نجعل العالم أفضل ولو قليلاً في المستقبل؟ لقد كان أعظم سؤال فرنسي: لماذا لا تقتل نفسك الليلة؟ إن الإجابات توصل إلى الشيء نفسه في النهاية - لسهولة القيام بذلك؛ غداً قد يكون أفضل قليلاً من اليوم. وبعد كل شيء، يجب أن يكون لديك إيمان قليل بالناس - لا يقلل من الوهج الذي يميز الرجل الذي قلب السؤال رأساً على عقب، ونظر إليه، بأناقة.

في أمريكا، كامو بداية هو فرنسي. في فرنسا، لا يزال، في المقام الأول، جزائرياً - جزائرياً فرنسياً، وكان يُطلق عليه فيما بعد اسم *pied noir* «بييه نوير»، وتعني قدماً سوداء، وهذا يعني الطبقة الاستعمارية الأوروبية التي ذهبت إلى الجزائر واستقرت هناك. يفضي غطاء كثيف من الكليشيهات إلى الغموض في هذا الوضع: تماماً كما يفترض أن يكون الكاتب من ميسيسيبي على اتصال بهوية غامضة، بماض صالح للاستخدام، لا يمكن لصبي شمالي أن يحاكيه، ويفترض أن الرجل «المتوسطي» في فرنسا كان على اتصال مع التاريخ الساحلي العميق. كان لدى كامو هذا النوع من الغموض: كان من المفترض أن يكون «بدائياً» بطريقة أو بأخرى مرة أخرى - كان سباحاً قوياً، وإلى جانب إعاقته بسبب نوبة السل، فهو لاعب كرة قدم رائع - وبسبب جذوره المتوسطية، الكلاسيكية، فهو على اتصال مع بساتين الزيتون وإيسخيلوس. كان الواقع أكثر تجهماً وأكثر قسوة. قُتل والده، الذي يعمل في قبو لشركة نبيذ، في معركة أثناء الحرب العالمية الأولى، وعندها كان كامو وحيداً. كانت والدته خادمة، قامت بتنظيف المنازل للعائلات الفرنسية الغنية. على الرغم من أنه كان شاباً، متعاطفاً مع القومية الجزائرية، فقد فهم بعمق أن قصة الاستغلال الاستعماري، يجب أن تشمل صورة والدته وهي راكعة على ركبتيها، وتقوم بالتنظيف. ليس كل مستعمر جشعاً وطفيلياً.

كان كامو طالب فلسفة من الدرجة الأولى، وكان نظام التقدير الفرنسي يصل حتى إلى المقاطعات البعيدة. تقدم بسرعة في الجامعة المحلية، وكتب أطروحة عن أفلوطين والقديس أوغسطين، عندما كان في أوائل العشرينات من عمره. بعد غزل مع الشيوعية، غادر إلى البر الرئيسي في عام ١٩٤٠، مع مخطوطة رواية في حقيبته وفي داخله طموح ليكون صحفياً. عمل لفترة

وجيزة في صحيفة باريس سوير Paris-Soir، ثم عاد إلى شمال أفريقيا، حيث أنهى كتابين. بحلول عام ١٩٤٣، عاد إلى فرنسا، للانضمام إلى طاقم صحيفة «المقاومة السرية» Combat، ونشر هذين الكتابين: الأول رواية «الغريب»، والثاني كتاب مقالات فلسفية بعنوان «أسطورة سيزيف». جزء من الشلل المخدر للاحتلال كان أن الكتابة لا تزال مستمرة. كان من مصلحة الألمان السماح بنشر الكتب التي بدت بعيدة بما فيه الكفاية عن أن تكون هدامة.

تحدثت الرواية والمقالات عن نفس الموضوع، رغم أن الرواية فعلت ذلك على أساس تنازلي، والمقالات على أساس تصاعدي: المعنى هو المكان الذي تصنعه وتكون الحياة عبثية. في الرواية، كان كامو يعني العبث، أي أن الحياة بلا معنى ولا طائل من ورائها؛ في المقالات بمعنى أن الحياة غير مبررة باليقين. الحياة عبثية، فلماذا تهتم؟ والحياة هي أيضاً عبثية، فهل يعلم أحد لماذا؟

تحكي رواية «الغريب» «The Stranger» قصة الفرنسي الجزائري ميرسول، Meursault، الذي يقتل عربياً على الشاطئ في يوم من الأيام من دون سبب وجيه. السبب غير الوجيه هو المفتاح: إذا كان من الممكن التصرف من دون سبب وجيه، فربما لا يوجد أبداً أي سبب للحديث عن «الخير» عند التصرف. يفكر ميرسول (ويؤيده كامو)، العالم عبثي، لأنه، من دون أمر إلهي، أو حتى غرض إنساني محدد، فهو مجرد لعنة تلو الأخرى، وربما تكون ملعوناً لشيء واحد هو التالي: العالم عبثي وخال من الأهمية، قد يبدو أكثر عمل غير أخلاقي ذا مغزى مثل أفضل عمل. يعد الشاطئ الخالي والمجهد للعين الذي يقتل فيه ميرسول ضحيته، مكاناً لا يخلو من المعنى فحسب، بل ومن دون عاطفة حقيقية- لقد تحول إلى مشهد طبيعي مميت،

وإلى منظر مدينة، كان يسكنها الجميع منذ عقد، بدءاً من شخصيات جياكوميتي المشهورة، وصولاً إلى البوليس السري الخاص ببوغارت.

في «سيزيف»، يقدم كامو طريقة لمنع عبثية ميرسول من أن تصبح مجرد قتل: نحن جميعاً سيزيف، كما يقول، ومحكوم علينا أن ندحرج صخرتنا صعوداً ثم نشاهدها تسقط نحو الأسفل إلى الأبد، أو على الأقل إلى أن نموت. تعلّمْ أن تدحرج الصخرة وحافظْ على نصف ابتسامة على وجهك - «يجب على المرء أن يتخيل سيزيف سعيداً» هو قوله المأثور الأكثر تأكيداً - هو الطريقة الوحيدة للتصرف بشكل لائق، مع الموافقة على أن الأعمال تكون عبثية دائماً.

كانت الافتتاحيات التي كتبها كامو لـ Combat هي التي حافظت على سمعته. يمكن أن يبدو كتّاب التحرير هم الأكثر حماقة وعجزاً في فئة الخربشة: فهم يلخصون بشكل غامض أفكار عصرهم، وبجدية وتفاهة يقومون بقدر كبير من الرقص الحميم - الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله غالباً ما يكون صعباً ولكن نادراً ما يكون مفاجئاً. لا علاقة للكتابة التحريرية الجيدة بالفوز بحجة، لأن الجانب الآخر لا يستمع في الغالب، إضافة إلى إخبار الآخرين الذين في جانبك كيف يجب أن يكونوا عندما يجادلون. إنه شكل من أشكال السلوك، في الحقيقة، حيث يحاول الكاتب أن يعزف نغمة متشائمة، وملاحظة منشطة، لكامل قطاعه. ليس «قل هذا!» ولكن «اعزف بهذه الطريقة!» هو ما يعلمه كبار أساتذة التحرير.

ما أراده كامو لم يكن جديداً: مجرد الحرية والمساواة والإخاء. لكنه وجد طريقة جديدة لقول ذلك. كانت النغمة هي ما يهم. اكتشف طريقة للتحدث على الصفحة التي تختلف عن الكليشيهات الخطابية العنيفة

للشيوعية أو الخلاصات المضجرة لليمين الكاثوليكي. لم يعزف نغمة حقد باريسي فولتيري Voltairean وإنما نغمة سوداوية رفيعة. يبدو كامو جدياً، لكنه يبدو حزيناً أيضاً - لقد أضاف سلطة الحزن إلى نشاط الكتابة السياسية. لقد كتب بنبالة، في وقت كان من الضروري فيه استعادة النبالة للغة العامية، وخفف سرعة اللغة العامية، في وقت كان التاريخ يسير فيه بسرعة كبيرة. في الليبيراسيون كتب:

«الآن وقد فزنا بالوسائل للتعبير عن أنفسنا، أصبحت مسؤوليتنا في حدها الأقصى تجاه أنفسنا والبلد.... تتمثل مهمة كل واحد منا في التفكير ملياً في ما يريد قوله والتشكيل التدريجي لروح ورقته؛ إنها الكتابة بعناية من دون إغفال الحاجة الماسة لاستعادة الصوت الرسمي للبلد. إذا رأينا أن هذا الصوت لا يزال صوتاً نشطاً، وليس حاقداً، لموضوع كبير وليس خطاباً، للإنسانية بدلاً من الرداءة المتوسطة، فسيتم إنقاذ الكثير من الخراب».

المسؤولية والعناية والتدرج والإنسانية - حتى في وقت الابتهاج، هذه هي الكلمات الأنموذجية لكامو، وهي لم تكن الكلمات المعتادة في الخطب السياسية الفرنسية. العدو لم يكن في هذا الجانب أو ذاك. كان الخطابة نفسها مجردة. لقد كتب قائلاً: «لقد شهدنا الكذب والإذلال والقتل والترحيل والتعذيب، وفي كل حالة كان من المستحيل إقناع الأشخاص الذين كانوا يفعلون هذه الأشياء بعدم القيام بها، لأنهم كانوا متأكدين من أنفسهم، ولأن هناك لا توجد وسيلة إقناع تجريدية». كتب سارتر Sartre، في عمود موقَّع في Combat، إن التحرير كان «وقت النشوة والفرح». (في الواقع، ابتعد سارتر عن الشوارع، وترك سيمون دي بوفوار تقوم بالكتابة، بينما

تولى الخط الثانوي) كانت النشوة والفرح هما آخر ما اعتقد كامو أن الحرية يجب أن تجلبه. كانت شعاراته هي القلق والمسؤولية.

في الأربعينيات أصبح كامو صديقاً حميماً لسارتر. على الرغم من أن كلاً منهما عرف كتابة الآخر قبل مقابلته، فقد أصبحا صديقين، في سان جيرمان، في عام ١٩٤٣، في الوقت الذي لم يكن فيه مقهى Café de Flore مكاناً باهظاً، ولكنه أحد الأماكن القليلة التي يتوفر فيها جهاز تكييف بدرجة كافية لإبقائك دافئاً في الشتاء. خلال العقد الذي تلاه، سيطرت على الحياة الفكرية الفرنسية أعمالهما المزدوجة. على الرغم من أن كامو كان متزوجاً، وبعد ذلك بفترة وجيزة كانت له عشيقة، وبعد ذلك بفترة بسيطة أصبح لديه فتاتان توأمان (من زوجته)، أذهل قارئ أمريكي لسيرة تود حين أدرك أنه بعد ولادة التوأمين، استمرت حياة كامو تماماً كما كانت قبل ذلك. يبدو أن الارتباط العاطفي كان مع سارتر ودائرته. في الواقع، فإن صورة الفلاسفة الفرنسيين في المقاهي التي تناقش الوجودية، تعود إلى تلك اللحظة وإلى هؤلاء الرجال. (قبل ذلك، ناقش الفرنسيون الحب في المقاهي).

الفلاسفة؟ كانوا فنانين ذوي رؤية، وقد لعبوا على مسرح التاريخ. كانت محادثتهم الأولى عن المسرح - طلب سارتر من كامو، بتهور، إدارة الإنتاج القادم لمسرحيته «لا خروج» - وبعد ذلك بفترة قصيرة أرسل سارتر، من قبل وحدة المقاومة التي انضم إليها متأخراً، ليتسلم الكومبديا الفرنسية. (كانت للمقاومة في الواقع لجنة مسرحية). جاء كامو إلى المسرح ووجد سارتر نائماً في مقعد الأوركسترا. «على الأقل واجِه الكرسي بذراعك في اتجاه التاريخ»، أزعجه كامو، مما يعني أن الكرسي بدا أكثر التزاماً من الفيلسوف

النائم. لقد اصطدم سارتر بأكثر مما سمح به في البداية، لأن مثل هذه النكات سوف تصيب الكتّاب.

أصبح تقريع سارتر رياضة مفضلة للمفكرين الأنجلو أميركيين. ومن الجدير بنا أن نتذكر سبب تقدير كامو لرأي سارتر جيداً أكثر من أي شخص آخر. كان نداء سارتر، في جزء صغير منه، جذاباً. إذا كنت قد سألت أشخاصاً غيّر سارتر حياتهم عن سبب إعجابهم به بشدة، لكانوا قد قالوا إنه بسبب كتابه «الوجود والعدم»، وبسبب خطاب عام ١٩٤٥ الشهير «الوجودية الإنسانية،» والوجودية. بالنسبة إلى البعض، قد لا يبدو هذا إنجازاً كبيراً، ولكن في ذلك الوقت بدا الأمر وكأنه مخلّص للحياة. وجد سارتر دوراً لكل من الإنسانية والتاريخ - «الإنسانية» تعني إيمان التنوير بأن الأفعال الفردية لها صدى ومعنى، «التاريخ» يعني الاعتقاد الماركسي بالعمل غير الشخصي من الديالكتيك. قال سارتر إنك لا تستطيع أن تعرف كيف سينجح التاريخ، لكن يمكنك أن تتصرف كما أنت: «إذا سألتُ نفسي، هل سيصبح المثل الاجتماعي، على هذا النحو، حقيقة؟ لا أستطيع أن أقول، أنا أعرف فقط أن كل ما في وسعي القيام به، سأفعله؛ علاوة على ذلك، لا يمكنني الاعتماد على شيء». ومرة أخرى: «الإنسان ليس شيئاً آخر غير ما يقصده، فهو موجود فقط بقدر ما يدرك نفسه، وبالتالي فهو لا يمثل شيئاً آخر سوى مجموع أفعاله، إنه لا شيء سوى حياته». (هناك لحظات يبدو فيها سارتر مثل توني روبنز - فقط يمكنك أن تجعل نفسك ما تريد أن تكون! - وهو ما قد يكون أيضاً، سراً، جزءاً من جاذبيته). لا يولد الناس أحراراً وفي كل مكان في قيود؛ لقد ولدوا للتو. ما هي أفضل طريقة لاختيار الحرية من خلال فك قيود الرجل التالي أيضاً؟

توجه سارتر نحو الماركسية، ونحو الحزب الشيوعي الفرنسي، كان يحاكي بشكل غريب «رهان» الفيلسوف الفرنسي بليز باسكال في القرن السابع عشر لصالح المسيحية: قد يكون الإيمان صحيحاً، فلماذا لا تتقبله، لأنك لا تفقده، احتضنه، واحصل على ما لا يقل عن فرصة لجميع الأشياء الجيدة التي وعد الإيمان بها؟ في حالة سارتر، إذا لم يحلّ «المثل الاجتماعي» أبداً، فقد جربته على الأقل، وقد حصلت على مكان في مجمع أبطال البروليتاريا. قد يبدو هذا التفكير منطقياً قليلاً ومهتماً بالذات، لكن بالنسبة إلى من هو على خطى باسكال، فقد بدا شجاعاً وجريئاً. كامو وصف باسكال بأنه «الأعظم على الإطلاق، أمس واليوم». إنه هالة من الأهداف الأخلاقية. لم يكن سارتر يلاحظ المعسكرات السوفييتية. أما كامو فقد فعل. لقد ظن أنه بإمكانك أن تنظر إلى ماضيهم، حيث أن الكاثوليكي الصالح لا يتظاهر بعدم رؤية الجحيم على الأرض الذي كانت الكنيسة تقوم به غالباً، لكن لا يزال يعتقد أنه يمكنك رؤية الجنة ثم تشير إلى ذلك.

في كتابه The Rebel «المتمرد»، كتب كامو: المتمرد هو الذي يكرس نفسه طوال حياته، من أجل المنزل الذي يبنيه، ومن أجل كرامة البشرية، يكرس نفسه للأرض ويحصد منها الحصاد الذي يزرع منه، ويدعم العالم مراراً وتكراراً. أخيراً، أولئك الذين يعرفون كيفية التمرد، في الوقت المناسب، ضد التاريخ، هم الذين يضحون حقاً بمصالحهم.

في اللغة الإنجليزية، يمكن أن يدلّ ذلك على أنه مجرد صوت. في فرنسا في عام ١٩٥١، كان المعنى الحقيقي واضحاً: فقط هو أحمق أخلاقي من يمنح ولاءه للحزب الشيوعي باسم الثورة القادمة. اكتشف كامو المصيدة في سرد سارتر. الطريقة العملية الوحيدة لإلغاء قفل سلاسل الرجل التالي،

حسب فرضية سارتر، هي قتل الرجل المجاور لهذا الرجل أولاً، لأنه هو الذي يقيده؛ قتل جميع السجانين والجميع سيكون حراً. يبدو هذا رائعاً، كما رآه كامو، أن تقتل جميع السجانين وكل ما لديك هو سجناء آخرون. لا يوجد فرق بين الموت في معسكر سوفييتي، والموت في معسكر النازية. يجب ألا نكون جلادين ولا ضحايا. إنه من الجنون التضحية بأرواح البشر اليوم في السعي لتحقيق مستقبل مثالي.

وقد تمت الإشادة بهذا الموقف بحق لحقيقته وأشيد به لشجاعته. بعد كل شيء، كانت المعارضة لكل من الفاشية والستالينية هي بالضبط موقف كل حكومة ديمقراطية في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية. كان موقف هاري ترومان وكان موقف كليمنت أتلي؛ كان موقف وينستون تشرشل وبيير منديز فرانس. لقد كانت عقيدة النسخة الليبرالية للحرب الباردة: كان الوارثون الحقيقيون لـ«الشمولية» هم الشيوعيون، وكان لا بد من مقاومتهم.

حسناً، لقد كان شجاعاً، كما نقول، لأنه على الرغم من أن عامة الناس والسياسيين كانوا أكثر حكمة، إلا أن المثقفين في فرنسا يعتقدون عكس ذلك. هذا ليس خطأ، ولكن هناك نقطة أدق في اللعب. إن طبيعة الحياة الفكرية - وجزءاً من قيمتها - تنجذب نحو الموضع البديل المتطرف، لأن هذا هو عادةً الأكثر احتياجاً للتعبير. تدفع جامعتا «هارفارد» و«ييل» بعض أساتذتهما ليخبروا الطلاب أن كل ما يفكرون فيه هو وهم برجوازي، حيث أن «الإخوة كوخ» يدفعون لموظفي مؤسستهم ليقولوا إن كل الأوهام البرجوازية حقيقية، وحقيقة أن أياً منهما غير صحيح تماماً لا تغير رغبة الناس في قول ذلك. الأفكار التي ندفع ثمنها، هي تلك التي تحدد الحافة الخارجية. نريد أن تعبر العقول الكبيرة عن الأفكار المتطرفة، لأن عقولنا الأصغر تعبر بالفعل عن الأفكار الرقيقة.

بهذا المعنى، فإن معجبي سارتر ليسوا مخطئين عندما يحتجون على ما يبدو لهم أخلاقاً ساذجة لنقاده الأنجلو أمريكيين. هؤلاء المعجبون، الذين ما زالوا متوفرين بكثرة في باريس، يصرون على أن سارتر كان، قبل كل شيء، منفتحاً على نفسه، لأنه يوبخ نفسه على أخطائه، وينقح باستمرار أخطاءه، وقطع علاقته بالسوفييت بعد فترة طويلة من الوقوف معهم.

اتهام مثل هذا المفكر بالنفاق يبدو غير عادل، لكن ربما يمكن اتهامه بالسعادة المعتادة. على الرغم من كل معاناتهما التي تم الإعلان عنها ذاتياً، فإن حياة سارتر وكامو اللتين قادتهما بعد الحرب، كانت في الغالب تبدو ممتعة للغاية. تحظى سيرهما بشعبية، لأنها تضفي الطابع الدراماتيكي على الشواغل المؤلمة للإنسان الحديث، وكذلك لأنها تقدم دائرة جذابة من مقاهي Left Bank وأوقات الليل المتأخرة والإجازات الطويلة. إن مثل هذه الحياة تفترض ضمنياً أن المجتمع الذي تعيش فيه سيستمر في العمل بغض النظر عما تقوله عن ذلك، وأن المقاهي والمكتبات ستواصل عملها على الرغم من الانتقادات. لم تكن خطيئة سارتر الكبرى أيديولوجيته، التي تغيرت بالفعل في كل وقت. رسول الأفكار لا يعتقد أن الأفكار ستغير الحياة بالفعل؛ لقد توقع أن تستمر الحياة أكثر أو أقل، مع إعطائه دائماً فرصة أخرى لتحسينها. عمل جيد إن استعطت الحصول عليها.

أراد كامو جمهورية أفضل. وما حصل هو الجمهورية الرابعة. غالباً ما يتم منح ديغول الفضل في أسطورة المقاومة، التي لا تعد أسطورة أكثر من الأسطورة الأمريكية للتحرر؛ بمعنى أنه حدث بالفعل، عليك فقط ترك الكثير من الأشياء الأخرى لجعل ما حدث يبدو جيداً في الغالب. لكنه خلق أيضاً أسطورة أخرى: فشل الجمهورية الرابعة، من أجل إثبات ضرورة

الخامسة. في الواقع، لم تكن الجمهورية الرابعة، البرلمانية، أفضل من الخامسة الرئاسية الملكية، كانت الرابعة فاسدة وغير فعالة في العادة، وأما الخامسة فقد قامت بعمل رائع في نقل فرنسا من الشلل إلى الازدهار، من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٨. لقد تعثرت تماماً بالمشاكل غير القابلة للذوبان.

على طول الطريق، هناك المشاكل الفلسفية. قد يكون من الصعب التوفيق بين التاريخ والإنسانية، ولكن ليس من الصعب سن قوانين تجبر الرأسمالية على منح العمال حقوقاً ووسائل راحة وأمان أكثر مما كانوا يتمتعون به من قبل، مع احترام حرية كل رجل في إدارة متجر صغير ولعنة الحكومة. إنه أمر سهل للغاية أن تقوم به كل دولة غنية، وكانت تفعل ذلك، حتى عندما كان العقل المدبر يدور حول ما كان لا يمكن تخيله. القيام بهذه الأشياء أسهل مما يفكرون فيه، وهي نقطة سارترية Sartrean لم يسبق لمحيط سارتر أن رآها.

رد سارتر على «المتمردين» بتفوق بابوي حقيقي. بدلاً من ترك إدانة الزنديق تأتي من مقعد بطرس، ستأتي من أسفل إلى أسفل، الأمر الذي ينطوي على غموض بابوي معين ويسمح بإمكانية التوبيخ والترحيب بالمنزل في نهاية المطاف. تم تسليم مهمة إدانة كامو إلى كاتب في مجلة «الأزمنة الحديثة» Les Temps Modernes يدعى فرانسيس جينزون، الذي تابع كامو كاملاً، مشيداً بأسلوبه في النثر (عادةً ما يكون مدح النثر السلس للكاتب وسيلة للإيحاء بأنه ليس ساطعاً جداً بشأن الأفكار الكبيرة) واتهامه بأنه ساذج فلسفي وأداة غير مقصودة لليمين الفرنسي. كامو، رد، تجاهل جينزون بالكامل، ووجه كلماته حصرياً إلى سارتر، بصفته «مدير النشر». حاول سارتر، بدوره، أن يلعب دور البريء: «كتب جينزون ذلك، وليس أنا؛ من خلال الكتابة إلي، أنت تخاطب جينزون». وبهذه الطريقة، قام

سارتر بحماية جينزون وتقليص حجمه، مما يعني أنه في حاجة إلى حماية البابوية، واتهم كامو بعدم الاكتراث بالأشخاص الصغار الذين كان سارتر يتقدهم في تلك اللحظة. لقد كانت وظيفة أنيقة.

كان كل رجل منهما يعرف نقاط ضعف الآخر. كامو وصف سارتر بـ«سيدي المدير»، إشارة إلى نوع من أنواع البيروقراطيين الأدبيين؛ ورد سارتر على ادعاءات كامو الفلسفية: «وافترض أنك لم تفهم سبباً جيداً؟ ونفترض أن تفكيرك كان مشوشاً ومبتذلاً؟». وبغضب، اختار كامو تذكير سارتر بالغفوة في الكوميديا الفرنسية Comédie-Française، قائلاً إنه، بصفته متشدداً «لم يبتعد أبداً عن معارك عصره»، وقد سئم من الاستماع لدروس من قبل أولئك الذين «لم يضعوا أبداً أكثر من كراسيهم في اتجاه التاريخ». مثل كلمة «مغرور»، كان «الكرسي بذراعين» هو الإهانة القاتلة. لم يتحدث الرجلان مرة أخرى.

رأى سارتر أزمة العالم على محور بين الشمال والجنوب، وليس على محور الشرق والغرب. ربما كانت الهيمنة السوفييتية على أوروبا، وإذعان أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي لتلك الهيمنة - وفي الواقع، رغبة سارتر الواضحة في توسيع نطاق الهيمنة السوفييتية ليشمل أوروبا الغربية - ربما كان الموضوع الرئيسي لسارتر. لكن اهتمامه كان بدلاً من ذلك حروب الإمبراطورية الاستعمارية التي سيطرت على السياسة الخارجية الفرنسية طوال الخمسينيات، أولاً الحرب في الهند الصينية ثم الحرب في الجزائر، وبينها السويس. رؤية القصة السياسية المركزية في الخمسينيات كمحاولة من قبل الديمقراطيات الغربية للاحتفاظ بحرية الآخر هي أمر منطقي؛ لكن اعتبارها محاولة من جانب الإمبراطوريات الأوروبية الباهتة للاحتفاظ بممتلكاتها في الخارج ليست خاطئة.

على الرغم من كونه ضد الاستعمار تماماً وبشكل تام، إلا أن كامو قد رفض المشاركة في احتضان جبهة التحرير الوطني، التي أصبحت قوية في الدوائر اليسارية في تلك السنوات. لقد ناضل من أجل توضيح سبب عدم تمكنه من التخلي عن فكرة الجزائر الجزائرية - أو، على الأقل، تقديم بعض التسويات اللائقة التي من شأنها ضمان حكم الأغلبية مع حماية حقوق الأقلية «المستوطنين» - وكأنه لم يستطع التخلي عن والدته، ما جعل الأمر يبدو بأنه مجرد مسألة عرق. ولأنه يفتقر إلى طريقة أفضل للتسوية، فقد اختار الصمت، وقد قضى السنوات الخمس الأخيرة من حياته، حتى وفاته في حادث سيارة عام ١٩٦٠، منعزلاً، متعهداً بعدم التكلم عن المشكلة الجزائرية.

شعر كامو بعمق بظلم المظلومين. لقد أدرك أن الغالبية العظمى من المستوطنين في أي بلد، وفي الجزائر على وجه الخصوص، كانوا ضحايا للظرف مثل السكان المحليين، وقدموا نفس الادعاءات بشأن الإنسانية والتعاطف. لم يكونوا في معظمهم من المستعمرين الذين لا جذور لهم والذين حضروا إلى المجموعة الرئيسية - وأولئك الذين سيتم استبدالهم بفئة محلية. الاستعمار خاطئ، لكن الادعاءات الإنسانية للمستعمرين حقيقية تماماً مثل المزاعم الاستعمارية. لا يوجد إنسان أكثر محلية في مكان ما من أي مكان آخر. لا يزال هذا الموقف غير عصري، حتى إنه من المحرمات؛ يشعر المرء أنه لا يزال، على سبيل المثال، موجوداً في التعالي الذي يظهره اليساريون الأمريكيون من جنوب أفريقيا. لم يكن كامو مخطئاً. ما قصده عن والدته، ليس الولاء للدم أو الجذور الوراثية، وإنما للتجربة الخاصة للمرأة التي عملت طوال حياتها كخادمة منزلية، ولم تكن مذنبة أو متواطئة في الجرائم الاستعمارية أكثر من أي شخص آخر يعيش على الأرض، ولم تكن متواطئة في نزع ملكية شخص ما. لم يكن كامو ليتخلى عن جذوره لسبب ما؛ إنه لن يتخلى عن والدته.

دعا كامو الميل إلى تعرية أولئك الذين وقفوا في طريق التاريخ. لقد كان يعني أنه يمكننا دائماً إلقاء نظرة على إنسانية «الكولاك» أو «القدم السوداء» أو الضحية الضرورية لهذا اليوم. اقرأ ماركس أكثر من اللازم، وستظهر أمام أمك مباشرة. ما هو بضع مئات الآلاف من الفلاحين في وجه التاريخ؟ اعتقد كامو أن جميع أنظمة الحكم المثالي كانت خاطئة، وأن جميع الأعمال الوحشية كانت وحشية. أن تكون ليبرالية بهذا المعنى، بأسلوب بلاغي، هو إنجاز. عندما أشادت دائرة سارتر بأسلوب كامو ثم اعترضت عليه، كانوا ينوون على شيء ما. جاء التهديد الذي شكله للفكر الشمولي من قدرته على ربط هذه المبادئ المنطقية بمجموعة من الحجج القضائية والأمثال الخالدة. لا يوجد كتاب أفضل للقراءة والجمالية الأخلاقية من دفاتر ملاحظاته في الخمسينيات، المليئة بالرسومات المنقوشة: «المثقفون ذوو التفكير المتقدم، هم نساجو الجدلية. عندما يسقط أي جانب، فإنهم يعيدون التفكير في أسباب تمزيقه». أو ببساطة: «العدالة في الأشياء الكبيرة فقط. والرحمة للبقية».

الليبرالية متفائلة في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، وبالتالي دائماً ما تكون قاتلة. إن إخبار سيزيف بأنه سيصل إلى هناك في يوم من الأيام، هو أمل فارغ. لن يفعل ذلك. يتخيل كامو سيزيف ملتزماً بعمله اليومي؛ إنه لا يشجعه على الأمل بصخرة أفضل وتلة أقصر. الالتزام على المدى القصير بأفضل مسار متاح. ولكن من خلال قبول أن الصخرة ستدحرج دائماً، وضع كامو قناعاً مأساوياً من الفطرة السليمة ووجهاً بطولياً على الصخرة اليومية. ربما كان هذا أكثر ما يفعله في أي وقت مضى.

السعادة المأساوية

جون ويتمان

كان الإنتاج الأدبي لألبير كامو مركزاً بشكل جيد ومنظماً تماماً، بحيث يلقي كل جزء منه الضوء على الأجزاء الأخرى. تم دعم روايتي «الغريب» و«الطاعون» من خلال الأعمال النظرية المقابلة، «أسطورة سيزيف» و«المتمرد». تم تطوير الإشارات إلى الشرور الشمولية وغيرها من المشكلات الاجتماعية الواردة في هذه الأعمال في مقالات الصحف العديدة، والتي تم نشر مجموعة منها تحت عنوان «المقاومة، التمرد، والموت». تتناول المسرحيات والقصص القصيرة أيضاً مفهوم العبث ومشكلة الاختيار، وتبين الدفاتر كيف أن الأفكار قد تأثرت أولاً بالأحداث.

هنا الآن، ولأول مرة في ترجمة إنجليزية كاملة، لدينا ثلاثة مجلدات صغيرة من مقالات كامو، بالإضافة إلى مجموعة مختارة من تعليقاته النقدية على الأدب ومكانه الخاص به. كما هو متوقع، فإن الاهتمام الرئيسي لهذه الكتابات، هو أنها تضيء جوانب جديدة من موضوعه المعتاد.

مجلدات المقالات - «الجانب الخاطئ والجانب الصحيح» تحاول بشكل أساسي تعريف حساسيته كأوروبي من أصل مختلط (فرنسي -جزائري)، وُلد وترعرع على الساحل الشمالي لأفريقيا، والذي كان ينظر إليه على أنه وطنه. على الرغم من أنه يعبر عن إخلاصه للتقاليد الأدبية الفرنسية، وهو أمر واضح على أي حال في أسلوبه، إلا أنه لم يفكر مطلقاً في فرنسا الحضرية كخلفية له.

لهذا السبب كانت الحرب الجزائرية مأساة خاصة بالنسبة إليه. تعرض لانتقادات لعدم تحيزه بقوة أكبر، لكن بينما كان معادياً للاستعمار بشكل طبيعي، لم يكن بإمكانه أن يرغب في حل يحوله إلى منفي دائم. لو نجا ليرى نهاية الحرب بطرد السكان الأوروبيين، لكان بلا شك قد عانى بمرارة.

كأفريقي أبيض، قام بتطوير نوع من الوثنية الشمسية محفوفة بالكآبة. «الأعراس» تحتفل باتحاد الشباب مع الجمال الطبيعي للشمس والمناظر الطبيعية والبحر. «الجانب الخاطئ والجانب الصحيح» يدل على أن الحياة، حتى لو تم عيشها بالكامل في الظروف المثالية للبحر الأبيض المتوسط ، تعاني من الحزن. «لا يوجد حب للحياة من دون يأس من الحياة»، هو أحد الأمثال التي صاغها كامو للتعبير عن هذا الرأي. وهو يعني أنه حتى في لحظات المرح المكثف - على سبيل المثال، عند الاستحمام في بحر الصيف مع صديقته، مثل ميرسول بطل «الغريب» - فهو يدرك بعض المآسي الكامنة في الكون.

في المقالات، لم يتم ترويج مفهوم العبث بشكل صريح، مع أن هذا ربما كان سهلاً. هناك تصريح مستمر بعدم وجود تدبير مشترك بين الإنسان والعالم من حوله؛ يتقدم الأفراد وحيدين، وشواغلهم الصغيرة المثيرة للشفقة لا تتناسب مع البحر والصحراء، تلك الرموز دائمة الغموض في سر الزمان والمكان اللانهائيين.

في بعض الأحيان، يعبر كامو عن الوثنية الشمسية في النثر الانطباعي أو الخطابي. في أوقات أخرى، يتعامل معها بشكل فكري ومثير للسخرية. في كلتا الحالتين، علاجه هو شخصي جداً. قد يتم الاستمتاع به، ولكن لا يمكن قبوله تماماً، من قِبل القراء الذين اضطروا إلى عيش حياتهم على بعد

مئات الأميال من البحر الأبيض المتوسط. على سبيل المثال، يتضمن «الجانب الخاطئ والجانب الصحيح» رسماً حيوياً لسفره إلى براغ، حيث يُنظر إلى تشيكوسلوفاكيا، لأنها بلد شمالي نسبياً، على أنها كابوس مظلم، لا يتخلص منه كامو إلا عندما يذهب ويصل إلى إيطاليا، ويجد نفسه تحت ضوء شمس البحر الأبيض المتوسط. هذا ما يفسر سبب عرض المسرحية البائسة «سوء الفهم» في بوهيميا، ولماذا تظهر الرواية الأخيرة «السقوط» شخصية تتساقط بسبب ذنوبها في سديم هولندا الرمادي.

من دون التقليل من جاذبية البحر الأبيض المتوسط وأهميته في تاريخ العالم، قد يشعر المرء أن كامو ربما بالغ في العلاقة بين أشعة الشمس والحضارة. سماء ملبدة بالغيوم لا تؤدي حتماً إلى الكآبة والتزمت والشعور بالذنب. كما أن أشعة الشمس لا تجلب بالضرورة درجة عالية من الثقافة. في بعض المقالات في «الصيف» «Summer»، يقدم كامو صورة شعرية وروح الدعابة الرائعة لبساطتي وهران والجزائر.

عندما يحاول أن ينتج نظرية للثقافة المتوسطية، كما يفعل في أول المقالات النقدية التي تشكل الجزء الثاني من الكتاب، تبدو الحجة مهزوزة كما في قسم «المتمرد» المعنون «الفكر عند الزوال». لديه مفهوم الاعتدال والإنسانية والسعادة المأساوية التي ربما تكون أكثر يونانية من أي شيء آخر، وبينما يعترف بأن البحر الأبيض المتوسط «مضطرب» و«مرتبك»، فإنه يود أن يختار منه تلك الأشياء التي يفضلها ويرمي البقية. على سبيل المثال، يلتزم بالتعميم الهائل والمذهل الذي مفاده أن الثقافة الرومانية لم تكن حقاً من منطقة البحر المتوسط.

من المؤكد أن درس التاريخ هو أن البحر الأبيض المتوسط قد أنتج أمثلة لكل إمكانيات العقل البشري ومزاجه، من الزهد إلى مذهب المتعة، ومن الشمولية إلى الفوضوية. إن إحساس كامو القوي للغاية بالمكان، والذي يعد ميزة كبيرة عندما يصف الحالة المزاجية والمناظر الطبيعية في «الغريب» أو «الطاعون» أو يضع انطباعاته الفورية في هذه المقالات، يثبت أساساً أنه لا يمكن الاعتماد عليه للغاية لإقامة هيكل فكري.

الغريب في الأمر أن كامو لا يبدو أنه لاحظ كيف تتعارض وطنيته المحلية، التي تثير الإعجاب في آثارها الأدبية على وجه التحديد، مع الانتقائية الثقافية الواضحة للغاية في مقالاته النقدية وفي ممارسته الإبداعية. من أجل وصف الجزائر في «الغريب»، استعار بعض السمات الأسلوبية من همنغواي. في «الطاعون»، ولإعادة إنتاج أجواء وهران، استفاد من أنموذجين مختلفين، هما: الكاتب الفرنسي في القرن السابع عشر، السيد دي لا فاييت[1]، والصحفي الإنجليزي في القرن الثامن عشر، دانييل ديفو.

---

١ - ماري مادلين بيوش دي لافيرني، مدام دي لافاييت، أديبة فرنسية لمع اسمها في مجال الرواية. وُلدت في باريس سنة ١٦٣٤، وتزوجت عام ١٦٥٥ جان فرانسوا لافاييت الذي يكبرها كان بعشرين عاماً، ورافقته إلى حيث كان يدير قضاياه وأملاكه في كونتيّة أوفيرني وسط فرنسا. ثم لم يبانع في عودتها نهائياً إلى باريس للتفرغ للأدب وتربية طفليها وحياتها الاجتماعية. وكانت تستقبل في مجلسها الأدبي في شارع فوجيرار كبار الشخصيات الأدبية، كما كانت تتمتع بقدر عال من العلم والمعرفة، وأصبحت صديقة هنرييت أميرة إنكلترا وأمينة سرّها، وتولت كتابة تاريخها. كما كانت تربطها صداقة وثيقة مع الأديب لاروشفوكو، وتألمت كثيراً عندما فقدته عام ١٦٨٠، ثم فقدت زوجها عام ١٦٨٣. نشرت عام ١٦٦٢ أقصوصة «أميرة مونْبنسييه»، ومن ثم «زايد» عام ١٦٦٩، وهي رواية تحكي عن الغيرة في إطار إسباني. أما رواية «أميرة كليف» الصادرة عام ١٦٧٨ فتُعدّ أشهر مؤلفاتها. ولم

يتم استيعاب هذه الاستعارات تماماً، لأنها تساعد على تعزيز الطابع «المتوسطي» للكتب، وهي نتيجة يُفترض أنها تُظهر أن الشمال لديه شيء يساهم به في البحر المتوسط. ويؤكد هذا بالفعل حكماً نقدياً واضحاً على كامو - أنه عندما يكون جيداً، يكون عالمياً، وأن البحر الأبيض المتوسط الخاص به، ليس عقيدة صحيحة، بل مجرد لهجة جمالية.

تجرؤ الأديبة على كتابة اسمها على الرواية؛ وذلك بسبب الحظر الاجتماعي الذي كان يمنع السيدات من كتابة الروايات. وتكمن أصالة الرواية في تحليل أرق المشاعر الإنسانية وخاصة الحب، فقد وصفته لافاييت بـ«وحش الطبيعة ووباء الجنس البشري ومقلق الراحة العامة». وقد يكون هاجس الحب والهوى والضلال الدافع الأكبر للكتابة بعد أن اكتشفت السيدة لافاييت في الوسط الرفيع الذي يحيط بها الدسائس التي كانت تُحاك وتُغلّف العلاقات الودية. وقد لخص الأديب لاروشفوكو صراعها بكلمته «إن المرأة التي تعيش الحب والفضيلة معاً يُرثى لحالها، ومقاومتها للحب تزيدها عنفاً وصلابة». جمعت لافاييت بين الأسلوب الروائي الخيالي بأدق تفاصيله، وبين الأسلوب الكلاسيكي أو الاتباعي الذي يطوي حقائق خالدة. من مؤلفاتها أيضاً «مذكرات بلاط فرنسا للأعوام ١٦٨٨-١٦٨٩»، وأقصوصة صدرت بعد وفاتها هي «كونتيسة تاند». توفيت عام ١٦٩٣.

البابا والنبي

ليزلي فيدلر

إنها ليست مجرد صدفة أن تكون تواريخ النشر التي تجمع سارتر وكامو واحدة. بالكاد نستطيع أن نتخيل ذلك، لأن مؤلفاتهما وصلت معاً إلى العقل الأمريكي، وأصبحت في حيز الوجود. إنها صفقة شاملة من الاستيراد الثقافي الرئيسي من فرنسا ما بعد الحرب. لقد تم إرفاق كليهما منذ البداية بنفس الهالة الأنيقة: الوجودية وفلسفة العبث، على قدم المساواة وبشكل غير واضح. ومع ذلك، من الصعب التفكير في رجلين مختلفين بشكل مختلف. عند قراءة مقالاتهما، يكون رد فعل المرء الأول هو الصراخ احتجاجاً، ومحاولة فصلهما مرة واحدة وإلى الأبد قبل أن تتم ترجمة صيحاتهما الصحفية إلى الكتب المدرسية، وهما يذهبان إلى التاريخ على أنه يبعث على السخرية والعبث.

عالم سارتر هو المدينة الأوروبية، المدينة بامتياز. حتى عندما يأتي إلى أمريكا، فإن ما يجعل عالمنا غريباً عنه بشكل مفاجئ (وهذا ما نلمسه عدة مرات في المقالات) هو أنه لا يجد في أي مكان أو مساحة ضيقة بما يكفي لتعريفه. حتى نيويورك تبدو له منفتحة جداً على الطبيعة؛ وتلك الطرق الحضرية الأمريكية الأنموذجية، ساحات تدفع بلا هوادة نحو الطريق المفتوح. بالنسبة إليه، لا يؤدي الشارع الحقيقي إلى المركز بل يسير فيه، فهو ليس مكاناً يسافر فيه المرء، بل هو دائرة مغلقة حيث يتحدث المرء ويتوقف مؤقتاً للشرب مع الأصدقاء ويتحدث مرة أخرى. لقد خرج عمل سارتر

عن مثل هذا الكلام، خارج حياة مثل هذه الشوارع، وغرف الرسم الخارجية، المزدحمة والودية (ولكن التي قد تبدو فجأة سجوناً - لا مخرج منها): في مقالاته أولاً وقبل كل شيء، وأيضاً في فلسفته. وفي الروايات والمسرحيات والأفلام. إيقاعه وأسلوبه في وقت واحد مثير للجدل والاسترخاء، وتيرة وأسلوب رجل يعرف أن جمهوره، الودي أو العدائي، يجلس على الطاولة مقابله، وسوف يتم العثور عليه ليلة بعد ليلة في نفس المتنزه، واختياره مؤقتاً مكاناً عصرياً للشرب فيه ومناقشة نفس الكتب والبيانات. هو في بعض الأحيان ناقد، وفي بعض الأحيان رجل حكيم؛ لكنه لا يشعر أبداً أنه من الضروري رفع صوته.

ومع ذلك، هناك آلام في قلب عالمه الصغير الضيق؛ لأنه على الرغم من أنه كان من الممكن تصديق أن مقهى المرء هو حقاً باريس، وباريس حقاً هي فرنسا، وفرنسا حقاً هي أوروبا، وأوروبا حقاً هي العالم، فقد أوضحت حربان وهزيمة واحدة أن فرنسا على قطيعة حتى مع أوروبا، وأوروبا نفسها على وشك أن تصبح على قطيعة مع القارات المضطهدة التي لم تعد قادرة على الاستمرار في الخضوع. إضافة إلى ذلك، فقد علم ماركس المتحدثين في المقاهي أنهم مجرد برجوازيين، وهي مستعمرة صغيرة محكوم عليها بالقطيعة. الصورة اللاواعية التي تطارد سارتر، هي صورة لبرجوازي صغير يرتدي نظارات، ينظر بوضوح من فوق كوب فارغ، ولكنه ينظر إليه بازدراء. الهروب من هذه البرجوازية يصبح أخيراً دافعه الحاسم. ومع ذلك، لا يخلق هذا الألم النفسي - ولا ترجمته إلى مصطلحات ميتافيزيقية - أي تواضع حقيقي عند سارتر. إنه يصر على أن يكون البابا والمصدر لعقيدة الكنيسة التي يعترف بها واهماً، في عالم خالٍ من الآلهة.

عالم كامو الحقيقي، من ناحية أخرى (أعني عالم طفولته، العالم الوحيد الذي يعرفه أحدهم بدلاً من أن يتعلمه) هو عالم شمال أفريقيا: عالم من البلدات المصطنعة من الدرجة الثانية وأطلال الروعة الكلاسيكية؛ ولكن أيضاً عالم من المساحات التي لا نهاية لها، من البحر والصحراء تحت أشعة الشمس الوافرة التي تبدد كل الأوهام. هذا البحر، الذي يجب ألا ينساه المرء، ليس مجرد هدر مائي؛ إنه البحر المتوسط، بحر أوديسيوس. شمال أفريقيا عند كامو ليست أمريكا أخرى، لأنها تمتد بعمق في الوقت وكذلك في الفضاء؛ إنها مكان بعيد عن حضارة أوروبا المعاصرة ليلاً، كما أنها بعيدة عن الثقافة الزنوجية أو العربية. لديها حدود مع اليونان التي ماتت في مكان آخر، وتم الحفاظ عليها فقط في الأدب. ليست الصورة المبهرة لكامو خرافة أثناء النظر إليها، بل هي صورة لصبي يحدق في الشكل الظلي لفتاة ترقص على شاطئ البحر - الذي يحدده غروب البحر الأبيض المتوسط، ويرمز بطريقة ما إلى استمرار هيلين. فكرة الجمال الطبيعي والسعادة الطبيعية، لكنه ينكر على رجل التفكير حقيقة أنه يحاول أن يعرف هذه السعادة - هذه هي فكرة الحنين الروحي عند كامو. يتوق سارتر للمشاركة في بؤس المضطهدين، ليتم تسليمهم إلى البؤس الأكثر قسوة المتمثل في عدم كونهم بائسين؛ وهذا، أيضاً، يمكن أن يشعر كامو به. لكنه متأثر أيضاً بالتزامه بالسعادة والفرح مثل رجل بسيط وحسي.

إنه في الأساس مفكر ديني، وكذلك فإن سارتر مفكر كنسي في الأساس؛ على الرغم من أن كليهما ملحد. يشعر المرء، في الواقع، بتوجه ديني مزدوج عند كامو: نحو الشرك المضطرب للبحر الأبيض المتوسط،

ونحو التوحيد القائم في الصحراء. من المغري الاعتقاد بأن كامو المليء بالله حقاً يعتبر نفسه ملحداً لنفس السبب الذي رأى فيه الرومان القدماء اليهود ملحدين؛ أي أن الجانب المتوسطي من عقله يجد صورة الله التي اقترحها الجانب الصحراوي متقدة للغاية في اقتناعه بأن الغياب هو جوهر الإلهي الذي يأخذه إلى صورة لا شيء. على أي حال، من الطبيعي أن يصنع كامو أساطير، كما هو الحال بالنسبة إلى سارتر في تعامله مع المجردات؛ فالشاعر الصوفي يتفلسف، والآخر فيلسوف محقق يتوجه لكتابة الروايات. يصر كامو دائماً في مقالاته على أنه لا يوجد فرق نهائي بين الفلسفة والشعر. أعتقد أنه من الطبيعي أن يقول لنا سارتر، الذي يعتقد أنه لا يثق بالبلاغة ويخاف فعلاً من الشعر، «أعتبر دوس باسوس أعظم كاتب في عصرنا».

من ناحية أخرى، طور كامو في مقالاته خطاباً غنياً ومتنوعاً، وهو أسلوب يثير الدهشة تماماً لأي شخص افترض أن الأسلوب السردي لـ«الغريب»، المفكك، الجاف، يمثل الصوت الحقيقي للمؤلف. لا، إنه يتحدث بصوته الخاص باعتباره نبياً من الصحراء: في جزء منه كرجل لا يزال يتحدث مع نفسه من أجل إغراق الناس بالصور والأصوات؛ وفي جزء منه باعتباره الشخص الذي يحمل رسالة، «نوافق ونفرح!»، إن الزوجي المناهض للبلاغة والشاعر، والبابا والنبي، يصنعان زوجاً غريباً. لم يكن من المفاجئ أن نجدهما منضمين إلى علاقة الجلاد والضحية والمحقق والمهرطق؛ وبطريقة ما، توصلا أخيراً إلى علاقة رمزية من هذا القبيل: سارتر مع قرار حديدي يعرّف نفسه بالأرثوذكسي الشيوعي الذي يصطاد البدعة (والذي، بطبيعة الحال، لا يؤمن به حقاً) وكامو يتخذ موقفه من غير مقاومة عنيفة. الشيء الصعب تصديقه، هو أنهما كانا يوماً صديقين وحليفين.

من الصعب أن نعلم من السجل العام ماذا كانت مشاعر كامو الأصلية تجاه سارتر؛ حتى في الوثائق التي تشهد على قطيعتهما، فقد اتخذ تجاه صديقه السابق موقفاً بارداً ورسمياً، مخاطباً إياه بأنه «مدير عام»؛ لكن سارتر، الذي تعامل مع كامو في كثير من الأحيان عبر الكتابة، يتحدث أكثر شخصياً بصراحة. تشتمل مجموعة مقالات سارتر عن «الغريب». ومع ذلك، لا يمكن لسارتر إخفاء الباحث الشاعر، في إشارة إلى أسطورة سيزيف، «يظهر كامو قليلاً من خلال اقتباس مقاطع من ياسبيرز Jaspers وهيدغر Heidegger وكيركيغارد Kierkegaard، الذين، بالمناسبة، لا يبدو أنه قد فهمهم تماماً». وفي رسالته الأخيرة إلى كامو، أوضح أنه كان في وقت سابق كان أقل صراحة إلى حد ما في انتقاداته، فقط فيما يتعلق بما يصفه الآن بأنه الاختلاط الغريب بين الفهم والحساسية. ما بدا أنه أثار غضبه أكثر من أي شيء آخر، هو الأناقة الرسمية لنثر كامو وشعوره بنفسه بأنه «البحر الأبيض المتوسط». سارتر لا يمكن أن يغفر لكامو الكتابة الجيدة.

إذاً، ما الذي ربط هذين الرفيقين غير المحتملين لمدة عشر سنوات أو أكثر؟ في المقام الأول، بالطبع، العناصر المشتركة في نسخة سارتر لفلسفة الوجودية، وفلسفة كامو عن العبث: هاتان المحاولتان المتوازيتان للانتقال من العدمية إلى الإنسانية من دون الاستسلام إلى الأخلاق المجردة أو أي قفزة إلى الإيمان. بمعنى ما، هناك شيء سخيف في التشويهات الأيديولوجية التي قام بها كلا الرجلين بالتوصل إلى قرار بسيط وواضح، بأنه يجب على المرء أن يعيش ويتصرف. في مكان آخر، هناك شيء بطولي في محاولتيهما قبول حياتهما من دون التظاهر على أي مستوى بأن الموت غير واقعي؛ وهناك شيء أكثر تأثيراً في رفضهما لاحتضان الموت (لا يوجد كتاب أعلمه، والذي

يكشف بوضوح عن إغراء الانتحار الذي يطارد جيلهما، أفضل من أسطورة سيزيف) كهروب من الحياة والموت على حد سواء.

علاوة على ذلك، فإنهما يتشاركان في مبادرة أدبية معينة، وهي عبارة عن تكييف لبعض الكتب التي ربطت معاً عدداً أكبر من معاصريها: نيتشه وساد ودوستويفسكي وكافكا، الرواية الأمريكية - وخاصة ميلفيل وفولكنر وهمنغواي. قبل أن يجدوا مبررات فلسفية لالتزاماتهم، فقد خلقوا الحساسيات لإدامتهم من قراءة هذه الكتب الإشكالية والمأساوية. عند كامو بشكل خاص، يبدو لكافكا تأثير حقيقي أكثر حميمية من تأثير ياسبيرز Jaspers؛ وحتى سارتر، الناقد والميتافيزيقي، شحذ تصوراته من خلال الاختبارات الدقيقة لروايات فولكنر. بالتأكيد، فمن هذه الكتب أكثر من مصادرها الفلسفية، اشتقا أسلوب حياة يعتمد على البطل الشيطاني للرومانسيين: الموقف الشرير المتناقض إلى حد ما للبطل الشرير الذي يتحدى الله، وفي الوقت نفسه يرفض الإيمان به. هذه ما نسميها «عبثية».

عبر الدائرة التي تحددها عبادة العبثية والإيمان بـ«موت الله»، هناك دائرة أخرى، تحدد هذه المرة ليس بالأدب بل بالتجربة، تجربة المقاومة. في المنطقة الصغيرة عند تزامن هاتين الدائرتين، يزدهر سارتر وكامو والمجموعة المحدودة نسبياً من زملائهما: المثقفون عازمون على أن يكونوا حقيقيين في تراثهم الأدبي وتجربتهم العظيمة. من خلال الاتهامات النهائية للصديقين السابقين، هناك صدى متكرر لتلك الكلمة الرئيسية «المقاومة... المقاومة..». ويتم تعزيزها، عبر مجموعة من كلمات السر المرتبطة بها «الثورة... اليسار... البرجوازية...». من يمثل حقيقة روح المقاومة؟ من

هو «برجوازي ميئوس منه»؟ ما هو اليسار؟ ما الحق؟ هذه هي الأسئلة التي تحدد الدائرة السحرية التي لا يزال سارتر يرأسها، والتي نجا منها كامو.

من المهم أن نفهم تماماً معنى مصطلح المقاومة في هذه اللحظة عند عدد كبير من الرجال في منتصف العمر في أوروبا الغربية؛ حتى الآن بالنسبة إلى الأمريكي، فإن هذا الفهم صعب للغاية. يتغير شكل الحدث التاريخي والأسطورة مع مرور الوقت. في رد فعل عفوي غير رسمي، تحدى النازيين وانضم إلى الغزاة الأمريكيين والبريطانيين لإشادة التحرير، استفادت المقاومة من حقيقة أن انتصارها يعني حلها؛ أي أنه لم تتح لها الفرصة قط لتصبح بيروقراطية راسخة وتكشف عن خبثها أو غبائها أو جمودها. احتمال أنه بدون القوة المسلحة لقوى أجنبية «إمبريالية» معينة، لن يتحقق أي شيء. لقد شارك بالفعل في النصر. وبالتالي، فقد كان قادراً على ربط كل بريق قضية ناجحة بنقاء واحدة مهزومة. لقد كان انتصاراً للغزاة - في ما يمكن فهمه على أنه بدايات الثورة الفرنسية وكذلك نهاية الحرب التي اندلعت في فرنسا وتم سحقها بالفعل وإذلالها.

بحلول الوقت الذي تشكلت فيه المقاومة، كانت روسيا السوفييتية قد تحولت من حليف لألمانيا إلى تحالف مع قوات الحلفاء؛ وكانت الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية قادرة على القيام بأدوار قيادية في أنشطتها السرية، حيث توجد أجهزة سرية موجودة بالفعل. هؤلاء المثقفون العدميون السابقون مثل كامو وسارتر، الذين كانوا سيقاومون الخدمة في الجيش الفرنسي النظامي أو قبلوها بتردد وخجل، وجدوا أنه من الممكن العمل مع «الثوريين» الشيوعيين، في حركة لا تسيطر عليها أي دولة قائمة. بشكل غير متوقع، اكتشفوا إمكانية البطولة والتضحية، تلك الفضائل التي،

عندما تبنتها البرجوازية، كانوا يعتبرونها نكاتاً جوفاء. في هذه المغامرة البطولية شعروا بطريقة ما بالامتنان للشيوعيين، الذين تمكنوا من إعطائهم لأول مرة الإحساس بأنهم يشاركون في الحياة الاجتماعية لبلدهم.

ولكن في عالم ما بعد الحرب، وجد هؤلاء المثقفون المقاومون أنفسهم بأنهم لم يعودوا متمردين، لكن البرجوازيين كانوا دائماً: روائيين ناجحين، وكتاباً مسرحيين بارزين، وأساتذة. وفي الوقت نفسه، فإن الكراهية الذاتية للبرجوازية التي اكتسبوها أولاً من الأدب الرومانسي، قد تفاقمت بسبب ارتباطهم بالشيوعيين. أعتقد أنه يكاد يكون من المستحيل على أي أميركي أن يفهم الاحتقار العاطفي الذاتي للمفكر من الطبقة الوسطى في أوروبا: الإحساس المرعب بالذنب الذي يحثه على البحث عن تدميره في عالم يكون فيه وجود الطبقات مهيناً بطريقة نجد صعوبة في تخيلها. فقط من خلال الخضوع مرة أخرى للطبقة العاملة وبرنامجها السياسي، بدا من الممكن أن تجد من جديد أيام المقاومة، للهروب من عار الشعور بالراحة والأمان. لكن في فرنسا، دخل غالبية العمال أو تحوموا بالقرب من الحزب الشيوعي. تفوق الشيوعيون على النقابيين، الاشتراكيين الديمقراطيين، الأناركيين، لأنهم نجحوا بأنفسهم - ومثلوا نجاح الاتحاد السوفييتي. كل ما يبدو مفرطاً في الثمن الذي تم دفعه لتحقيق هذا النجاح، هو أمر مفرط، يذكره المثقف البرجوازي بتواضع.

لا يوجد مجال للهراء العاطفي. إن الورثة الشرعيين للمقاومة هم اليسار، كما يعلم الجميع، والشيوعيون استبقوا اليسار. التطور المشروع للمقاومة هو، كما يعلم الجميع على قدم المساواة، الثورة؛ وقد استولى الشيوعيون على الثورة. وبالتالي.... لم يكن سارتر قادراً على الهروب من فخ

هذا المنطق المضلل. فقط باتباع سياسات الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي في فرنسا، يبدو أنه من الممكن أن يكون مخلصاً في الإيمان بـ«موت الله» وذكرياته عن المقاومة. ومع ذلك، لا يستطيع الانضمام إلى الحزب، لأن قادته سيطالبونه بما لا يقل عن: القبول المهين لأصغر المواقف الفلسفية الحديثة - المادية الجدلية، فكرة الذنب «الموضوعي» لكل من يختلفون معهم، والإيمان بذكاء ستالين وخروشوف، وما إلى ذلك، إلخ.

في مقال بعنوان «المادية والثورة»، ناشد سارتر بشكل معقول ومحترم أسياد الحزب الشيوعي أن يدركوا أن الفيلسوف الحقيقي (سارتر، على سبيل المثال) قد يبتلع الجزء الرئيسي من خطهم السياسي إذا سمح له فقط بالتخلي عن «المادية» النظرية؛ وقد أثبت قضيته من خلال قبول روايته عن الحرب الكورية، وقضية روزنبرغ، وما إلى ذلك، إلخ. ولكن حتى هذا ليس كافياً؛ الشيوعيون لن يسمحوا له بأن يصنع رجلاً نزيهاً بنفسه، مصراً على استمراره في إخلاصه الغريب المعتاد: الزواج من لا أحد، بل النوم فقط مع الشيوعيين.

على الرغم من تشابه خلفيته، فإن كامو هو رجل ثائر، وذلك في المقالات الختامية للمجموعة، التي خرجت من هذا الفخ من الحنين والكراهية الذاتية. لا يزال يلاحق صورة الثورة التي كشفت عنها أيام المقاومة، لكنها بالنسبة إليه أفق متراجع دائماً، وهو المسيح الذي سيأتي دائماً. بالمثل اختار الهروب من مصيره البرجوازي من خلال القيام بالتمرد المطلق؛ لكنه يرفض تحديد التمرد مع اليسار المؤسسي. بالنسبة إليه، فإن الثورة دائمة حقاً، ضد الاضطهاد والإرهاب حتى باسم الثورة، وضد الجميع الذين يتوقون إلى مثل هذه الحلول الدموية بدافع الضعف أو اليأس.

ليس الذكاء حقاً هو الذي يحمي كامو من التخلي المنطقي المعقول عن الحس السليم الذي سقط فيه سارتر. في الواقع، يفتخر سارتر بفخر بنصوص فلسفية، ويتظاهر كامو أنها محيرة لأنه لا يستطيع فهمها. لكن لا أحد ذكي بما فيه الكفاية كي لا يكون غبياً عندما تطلبه رغباته الداخلية؛ وقد يكون الرجل، بحزنه الخاص، ذكياً بما يكفي للحفاظ على أفضل أصدقائه (وإن لم يكن أعداؤه غير المبالين) من الشك في أنه ميئوس منه بالفعل. أودّ أن أعتقد أن هذا هو الإيمان الحي للفنان بالحقائق الملموسة، وعجزه عن إنكار العالم الواقعي، ولكنه قد ينقذ أخيراً كامو.

ومع ذلك، يمكن للمرء أن يقيم موقفه الأناركي -السلمي- الديني الحالي، ويشعر المرء على الأقل خلفه بأنه رجل كريم وحساس يحترم إنسانيته، ويستجيب لحقيقة الحزن، ويدرك أننا نتشاركها جميعاً. المفتاح، على ما أظن، موجود في فقرة من مقال كامو بعنوان «نفي هيلين». في إشارة إلى عبارة ماركس الشهيرة حول تغيير العالم بدلاً من فهمه (شعور يشترك فيه مع سارتر)، يلاحظ كامو: «لكن ليس من الصحيح أن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الجمال، وهذا ما يدعي عصرنا أنه يريد تجاهله. يجهز نفسه للوصول إلى السلطة المطلقة؛ إنها تريد أن تنقل العالم قبل أن تستنفده، لتعيينه قبل أن تفهمه. كل ما قد يقوله عصرنا هو هروب من هذا العالم». فضيلة كامو الأخيرة هي في أنه على الأقل لم يتخلّ عن العالم، بل استمر في «حبه الواضح» لحالة الإنسان.

مكتبة
t.me/t_pdf

الوجودية العبثية

لورا ماغواير

يعتقد الكثير من الناس أن أهم مشكلة فلسفية هي: ما مغزى الوجود؟ هذا سؤال طرحه ألبير كامو في رواياته ومسرحياته ومقالاته.

ربما كانت إجابته محبطة قليلاً. لقد ظن أن الحياة لا معنى لها، وأنه لا يوجد شيء يمكن أن يكون مصدراً للمعنى، وبالتالي هناك شيء عبثي للغاية حول السعي الإنساني لإيجاد المعنى. بشكل مناسب، إذاً، نظرته الفلسفية كانت تسمى (الوجودية) العبثية.

ماذا ستكون الحياة إذا كنت تعتقد أن الحياة كانت عبثية، وأنه لا يمكن أن يكون لها معنى؟ هذا هو بالضبط السؤال الذي يطرحه كامو في عمله الشهير، أسطورة سيزيف. يقول: «هناك مشكلة فلسفية خطيرة واحدة فقط، وهي الانتحار». كان مسكوناً بهذا السؤال حول ما إذا كان الانتحار هو الرد العقلاني الوحيد على عبثية الحياة.

ولكن لماذا كان يعتقد أن الحياة بطبيعتها بلا معنى؟ ألا يجد الناس معنى في العديد من الطرق المختلفة؟

خذ الدين. بالتأكيد يبدو أنه يوفر الراحة لكثير من الناس، ولكن هذا لا يمكن أن يصل إلى حد المعنى الحقيقي لكامو، لأنه ينطوي على وهم. إما أن يكون الله موجوداً أو غير موجود. إذا لم يكن موجوداً، فمن الواضح أنه لا يمكن أن يكون مصدر المعنى النهائي للحياة. ولكن ماذا لو كان الله

موجوداً؟ بالنظر إلى كل الألم والمعاناة في العالم، فإن الاستنتاج المنطقي الوحيد عن الله، هو أنه إما شخص غامض. لذلك، فإن وجود الله يمكن أن يجعل الحياة أكثر عبثية، وليس أقل.

بالطبع، الله ليس المصدر الوحيد للمعنى الذي يجب مراعاته. فكر في علاقاتنا مع الآخرين - عائلاتنا وأصدقائنا ومجتمعاتنا. نحن نحب ونعتني بالآخرين في هذا العالم القاسي، وربما لهذا السبب نواصل العيش. هذا هو ما يعطي معنى للوجود.

المشكلة هنا هي أن كل شخص نعرفه ونحبه سيموت يوماً ما، وسيعاني البعض منهم بشكل كبير قبل حدوث ذلك. كيف يكون أي شيء غير عبثي؟

قبل أن يصاب الجميع بالاكتئاب الشديد، دعونا نفكر في بعض الحلول الممكنة لهذه المشكلة. لنفترض، مع كامو، عبثية البحث عن المعنى. دعنا نفترض أن أي شيء نحاول إيجاد معنى له في العالم سيكون بلا معنى. إنها جميعاً طرق مسدودة، إذا جاز التعبير. كيف نتجنب الاستنتاج بأن الانتحار هو الحل؟

لننظر في فكر نيتشه. مثل كامو، اعتقد نيتشه بأن الحياة كانت خالية من المعنى الحقيقي. لكنه اعتقد أننا يمكن أن نعطيها نوعاً من المعنى من خلال تبني الوهم. هذا ما يجب أن نتعلمه من الفنانين، وفقاً لنيتشه. إنهم دائماً ما يبتكرون «اختراعات وصناعات» جديدة تمنح الأشياء مظهر الجمال، عندما لا تكون كذلك. من خلال تطبيق هذا على حياتنا الخاصة، يمكننا أن نصبح «شعراء حياتنا». يمكن أن يكون هذا حلاً ممكناً؟

يختلف الحل الذي توصل إليه كامو عن حل نيتشه، وربما يكون أكثر صدقاً. البطل العبثي لا يلجأ إلى أوهام الفن أو الدين. ومع ذلك، فهو لا ييأس في وجه العبثية، ولا يكتفي بكل شيء. بل إنه يحتضن علناً عبثية حالته. سيزيف، الذي أُدين بشكل أبدي بدفع صخرة إلى أعلى الجبل فقط لجعلها تتدحرج إلى أسفل مراراً وتكراراً، يدرك تماماً عدم جدوى مهمته. لكنه يدفع عن طيب خاطر الصخرة إلى أعلى الجبل في كل مرة تتدحرج فيها إلى أسفل.

قد تتساءل كيف يمكن اعتبار ذلك حلاً. هذا ما اعتقده كامو في ذهنه. نحن بحاجة إلى مواجهة صادقة مع الحقيقة القاتمة، وفي الوقت نفسه، نتحدى رافضين السماح لهذه الحقيقة بتدمير الحياة. في نهاية الأسطورة، يقول كامو إنه يتعين علينا «تخيل سيزيف سعيداً».

ربما تكون تخيلتي محدودة، لكنني لست متأكدة من أنني أجد هذا الفكر مريحاً. بالضبط كيف يضع سيزيف المواجهة العبثية سبباً لمواصلة العمل؟ ربما ليس من المفترض أن تكون نتيجة مطمئنة.

فما رأيك؟ هل الحياة عبثية حقاً؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل يكون هناك أي معنى في الحياة؟

في النهاية، أعتقد أن مقاربتي الخاصة لعبثية الحياة، تشبه نهج بيغي لي Peggy Lee، الذي يقول إنه «إذا كان كل شيء موجوداً، فلنواصل الرقص».

معنى الحياة

سكوتي هندريكس

كان ألبير كامو كاتباً جزائرياً فرنسياً، فضّل عدم تسميته بالفيلسوف. غالباً ما يرتبط بمدرسة الفكر الوجودي، على الرغم من أنه يفضل أن يتم اعتباره منفصلاً عنها. تختلف حياته وطريقة تفكيره عن معظم الفلاسفة وحتى عن الوجوديين.

أفكاره حول كيفية عيش حياتنا والتعامل مع الوجود، هي أفكار جريئة وغالباً ما تكون أقل من مريحة. على الرغم من ذلك، يمكنه أن يقدم لنا نظرة ثاقبة حول كيفية التعامل مع الفزع الوجودي لدينا، ويقدم لنا بعض الاقتراحات حول كيفية عيش حياتنا بلا معنى.

الانتحار

«هناك مشكلة فلسفية خطيرة واحدة فقط، وهي الانتحار»، هكذا يزعم كامو في مقاله «أسطورة سيزيف». من خلال البدء بسؤال ما إذا كانت الحياة تستحق العيش، يضع كامو في مركز تفكيره مشكلة كيف نعيش حياتنا بشكل مباشر.

بالنسبة إلى الكثير من الناس، فإن الحياة بلا معنى، ليست حياة تستحق العيش. يفهم كامو هذا ويعالج المشكلة وجهاً لوجه. ويخلص إلى أن الانتحار لا يفيدنا كثيراً، حيث لا يمكن أن يكون هناك معنى

للموت أكثر منه في الحياة، ويتحول إلى أسئلة حول ما الذي يجعل الحياة تستحق العيش. عندما يتعلق الأمر بمعنى ما قد نجده، ومع ذلك، فهو يقلل من شأنه.

معنى الحياة

يقدم كامو فكرة جريئة إلى حد ما حول معنى الحياة: لا يوجد معنى ولا يمكننا تقديم معنى أيضاً. يجادل بأنه من المستحيل بالنسبة إلينا إيجاد إجابة مرضية لسؤال معنى الحياة، وأي محاولة لفرض معنى على الكون ستنتهي بكارثة، حيث سيتم إرسال أي معنى نختاره لاحقاً. كما أنه ينكر أن العلم أو الفلسفة أو المجتمع أو الدين يمكن أن يخلقوا أبداً معنى للحياة يكون محصناً من مشكلة العبثية.

العبث

تعتمد فلسفة كامو بأكملها على فكرة اللامعقول. لدى البشر دافع للعثور على معنى في الأشياء حيث لا وجود له، وعادة ما نحاول إنشاؤه. ومع ذلك، نظراً لأن الكون بارد وغير مبال بهذا البحث عن المعنى، فسنواجه دائماً مواقف عبثية حيث تفشل محاولاتنا للعثور على المعنى. حياتنا لا معنى لها وستبقى كذلك.

ومع ذلك، فإن كامو لا يرى هذا المعنى سيئاً. ويوضح أن فهم أن الحياة عبثية، هو الخطوة الأولى للعيش بشكل كامل. في حين أن مشكلة العيش في عالم خالٍ من المعنى مشكلة كبيرة، إلا أنه يجب حلها مثل أي مشكلة أخرى.

ما الذي يجعل الحياة تستحق العيش؟

يشيد بأشعة الشمس والنساء والشواطئ والتقبيل والرقص والطعام الجيد. كان يحب الرياضة وكان لاعب كرة قدم جيداً في شبابه. لقد استمتع كثيراً بالأشياء الصغيرة وشجعنا على القيام بذلك أيضاً. فقط لأن الحياة لا معنى لها، لا يعني أنها لن تكون ممتعة! في الواقع، ما لا معنى له هو مجرد حقيقة خلفية، مثل الجاذبية، يجب حسابها.

البطل العبثي

لدى كامو نقد لأولئك الذين يحاولون تحمل معنى الحياة عن طريق فرض معنى عليها. في حين أن هذا يمكن أن يجلب لنا الراحة، فإن أنظمة المعنى هذه، محكوم عليها بالفشل على المدى الطويل. يظل الكون غير مبال بنا، وتحدث أحداث عشوائية، وسنواجه مرة أخرى اللامعنى.

ويشير إلى أن كيركيجارد، على سبيل المثال، فهم أن الحياة كانت عبثية ولكنها هربت نحو الله بدلاً من اعتناق الحقيقة. لقد فعل الوجوديون الفرنسيون هذا أيضاً بطريقة علمانية، وهذا هو السبب في أن كامو لم يتعاطف معهم.

يخبرنا كامو بأن الإجابة هي قبول المعنى. الشخص الذي يستطيع حقاً أن يعرف أن الحياة عبثية ويبتسم ابتسامة، هو بطل عبثي. كان كامو مثالاً حقيقياً على الحياة، وقد شاهد الأمثلة الأدبية لدون جوان وسيزيف لكي نتطلع إليها. «يجب علينا أن نتخيل سيزيف سعيداً»، كما يخبرنا، لأن البطل العبثي قادر على القيام بحياة لا معنى لها مثل دحرجة الصخرة الأبدية إلى أعلى التل وإيجاد المتعة فيها على أي حال.

يشجعنا أيضاً على رفض فكرة الحياة الآخرة، لأنه ليس من المستبعد فحسب، بل أيضاً لأن محاولة العيش بطريقة تضمن وصولك إلى الحياة

التالية، تنتقص من هذه الحياة. محاولة تبرير هذه الحياة من خلال الإشارة إلى الحياة التالية، هي مجرد طريقة أخرى لإنكار معنى الحياة، بغض النظر عن الطريقة التي تصفها بها.

لذا، ماذا عليّ أن أفعل اليوم؟

يوصي كامو بما يلي: الخروج والاستمتاع بأشعة الشمس والذهاب إلى النزهة على الشاطئ ولعب كرة القدم وتناول الغداء في أحد المقاهي مع أحد الأصدقاء، ورفض الاستسلام لليأس، واحتضان معنى الوجود باختيار الاستمرار مع ما تستمتع به، على الرغم من عدم وجود معنى لأفعالك.

هل يمكن أن نجد معنى للحياة التي يمكن أن تلبي حاجتنا لأحد؟ لا، يقول كامو، لكن هذا لا يمثل مشكلة. ما زلنا نعيش هنا، والآن لدينا كل القدرة على الاستمتاع بأنفسنا. الحياة تستحق العيش ويجب تبنيها كما هي. في حين أنه من الصعب مواجهة عدم معنى، من دون الرجوع إلى أحضان الدين أو العلوم أو المجتمع أو حتى إنتاج المعنى لأنفسنا، فإن كامو يشجعنا على مواجهة العبثية بشجاعة وبابتسامة على وجوهنا.

الوجودية والعبودية

أوستن كلاين

كان ألبير كامو صحفياً وروائياً فرنسياً جزائرياً، ويعتبر عمله الأدبي مصدراً أساسياً للفكر الوجودي الحديث. يتمثل الموضوع الرئيسي في روايات كامو في فكرة أن الحياة البشرية، من الناحية الموضوعية، لا معنى لها. وهذا يؤدي إلى العبث الذي لا يمكن التغلب عليه إلا بالالتزام بالنزاهة الأخلاقية والتضامن الاجتماعي. رغم أنه ربما لا يعدّ فيلسوفاً بالمعنى الدقيق للكلمة، إلا أن فلسفته يتم التعبير عنها على نطاق واسع في رواياته، وهو يعتبر عموماً فيلسوفاً وجودياً. وفقاً لكامو، يتم إنتاج العبث عن طريق الصراع، الصراع بين توقعاتنا لكون عقلاني وعادل وبين الكون الفعلي غير المبالي تماماً بجميع توقعاتنا.

يلعب موضوع الصراع بين رغبتنا في العقلانية وتجربتنا في اللاعقلانية، دوراً مهماً في كتابات العديد من الوجوديين. عند كيركيجارد، على سبيل المثال، أنتج هذا أزمة يحتاج الشخص إلى التغلب عليها من خلال قفزة الإيمان، والتخلي الواعي عن أي شرط للمعايير العقلانية والقبول الصريح بعقلانية خياراتنا الأساسية.

أوضح كامو مشكلة العبثية من خلال قصة سيزيف، وهي قصة نشرها مع مقال مطول بعنوان «أسطورة سيزيف». بعد إدانة من قبل الآلهة، يستمر سيزيف بدحرجة صخرة إلى أعلى التل لتسقط مرة أخرى، وهكذا إلى الأبد.

يبدو هذا الصراع ميئوساً منه وعبثياً، لأنه لن يتم تحقيق أي شيء على الإطلاق، لكن سيزيف يكافح على أي حال.

تناول كامو هذا أيضاً في كتابه الشهير الآخر، «الغريب»، والذي يقبل فيه الرجل عقلانية الحياة والافتقار إلى المعنى الموضوعي عن طريق الامتناع عن إصدار أي أحكام، وقبول حتى أسوأ أنواع الأشخاص كأصدقاء، وحتى عدم الانزعاج عندما تموت والدته أو عندما يقتل شخص ما.

كلا هذين الشكلين يمثلان قبولاً قوياً لأسوأ ما تقدمه الحياة، لكن فلسفة كامو ليست فلسفة الرواقية، إنها الوجودية. سيزيف يسخر من الآلهة ويتحدى جهودهم لكسر إرادته: إنه متمرد ويرفض التراجع. حتى الغريب يثابر رغم ما يحدث، وعندما يواجه الإعدام، يفكر في عبثية الوجود.

إنها، في الواقع، عملية خلق قيمة من خلال التمرد، حيث اعتقد كامو أننا نستطيع خلق قيمة لجميع البشر، متغلبين على عبثية الكون. ومع ذلك، يتم تحقيق القيمة من خلال التزامنا بالقيم، الشخصية والاجتماعية. لقد اعتقد الكثيرون تقليدياً أنه يجب إيجاد القيمة في سياق الدين، لكن ألبير كامو رفض الدين باعتباره عملاً من أعمال الجبن والانتحار الفلسفي.

أحد الأسباب المهمة لرفض كامو للدين، هو أنه يستخدم من تقديم حلول زائفة للطبيعة العبثية للواقع، حقيقة أن المنطق الإنساني يتلاءم مع الواقع كما نراه. في الواقع، رفض كامو جميع المحاولات للتغلب على الحلول العبثية، وحتى الوجودية، مثل قفزة الإيمان التي دعا إليها كيركيجارد. لهذا السبب، كان تصنيف كامو كوجودي دائماً على الأقل صعباً بعض الشيء. في أسطورة سيزيف، فصل كامو الوجودي عن الكتّاب العبثيين، ونال تقديراً أكبر من السابق.

محادثة أعيد بناؤها

كيفن بيرغر

لطالما كنت أحلم بمقابلة ألبير كامو، وقد شعرت بسعادة غامرة عندما ظهر في صالة لوسي Lucey، وهي حانة مظلمة في بروكلين. لقد وافق الكاتب الجزائري بلطف، أو هكذا بدا، على إجراء مقابلة حول العبثية، وهو مفهوم في الفلسفة يرتبط به اسمه إلى الأبد. لقد كان وسيماً تماماً مثل نجم سينمائي، على الرغم من أنه بدا صبياً يرتدي زياً أنيقاً في هذه الليلة الدافئة، يلبس سترة رمادية، ورباطة عنقه السوداء قد فكت قليلاً. لقد دفع ثمن شرابنا - «مشروبك الوطني، أليس كذلك؟» - وابتسم ابتسامة سخية. ثم قال مبتسماً «لم يسبق لأحد أن تغير في هذا البلد».

عند وصوله من منزله في باريس، شعر كامو بالتمزق في نيويورك. قال: «يرتعش القلب أمام الكثير من اللاإنسانية». وأضاف إنه شعر بإيقاع حركة المرور في وسط المدينة، وناطحات السحاب المذهبة، وثقب السماء الزرقاء. على الرغم من أن السير القلق في المدينة قد استنفده، إلا أنه بدا مرتاحاً في حي بروكلين، غوانوس، الذي كان بالكاد متمسكاً بماضيه الصناعي. جلسنا على المقاعد. كان كامو يدخن بلا هدف وساهماً.

تم الاحتفاء برواياته، بما في ذلك «الغريب» و«الطاعون»، ومقالاته الفلسفية، ولا سيما «أسطورة سيزيف»، ونادراً ما لاحظها النقاد، وفكروا في العلم والمبدأ العلمي، وقد أشار إليهما في عمله. كان صديقاً حميماً لجاك

مونود، عالم الكيمياء الحيوية الفرنسي، الذي فاز بجائزة نوبل لإلقاء الضوء على العمليات الرئيسية في كيفية تصنيع الجينات للبروتينات. كان مونود صريحاً، ولم يمض وقت طويل على نشره مقالاً عنيفاً في الحرب العالمية الثانية في الصحيفة الفرنسية، Combat، التي حرّرها كامو سابقاً، عن العلوم السوفييتية، ولا سيما العالم السوفييتي تروفيم ليسينكو، الذي حافظ على الوراثة الناتجة عن العمليات الوراثية الداخلية ولكن تم تشكيلها بواسطة قوى بيئية؛ نتيجة لذلك، يمكن للبشر التدخل وتعديل النباتات والحيوانات بالطريقة التي يرغبون فيها. بصفته عالماً وراثياً رائداً، ساعدت تجاربه على إثبات أن الطفرة الوراثية يمكن أن تكون عملية داخلية بحتة، والأكثر من ذلك، تتأثر بالصدفة. اخترق مونود فقاعة الهندسة الاجتماعية، والعلم الذي اشتُقت منه. وكتب يقول: «ادعاء ليسينكو بأن مندلييف يجب أن يكون غير صحيح، هو بالطبع سخيف تماماً». كان مونود معجباً بكامو كثيراً، وبعد أن أصبح الاثنان صديقين، قال أحد معارفهما في حفلة عشاء إن العالم والكاتب متكاملان، يكمل بعضهما البعض - لقد أثر مونود بوضوح على كامو. في كتابه «المتمرد» The Rebel: An Article on Man in Revolt، بدا كامو، على الرغم من أنه لم يذكر مونود Monod بالاسم، وكأنه يعتمد على خبرة العالم وسلطته في مهاجمة ماركس والشيوعية. كنت حريصاً آنذاك، عند عودتي إلى بروكلين، على سماع ما قاله كامو عن العلم، حيث شرح فلسفته عن العبثية.

س- أنا أحب هذه العبارة من «أسطورة سيزيف» The Myth of Sisyphus، «في أي ركن من أركان الشارع، يمكن للشعور بالعبث أن يضرب أي رجل في وجهه» ماذا تعني؟

ج-يأتي يوم عندما يلاحظ الرجل أو يقول إنه في الثلاثين من عمره. هكذا يؤكد شبابه. ولكن في وقت واحد هو وضع نفسه في اتصال مع الوقت. أخذ مكانه فيه. يعترف بأنه يقف عند نقطة معينة على منحنى وهو مضطر للسفر إليه. إنه ينتمي إلى الزمن، وبالرعب الذي يسيطر عليه، يتعرف على أسوأ عدو له. كان يتوق إلى الغد، في حين أن كل شيء فيه يجب أن يرفضه. إن تمرد الجسد هو العبث.

س- بمعنى آخر، نحن نعلم أننا سنموت في يوم من الأيام. ثم ماذا؟

ج- في الكون المفاجئ بالأوهام والأنوار، يشعر الإنسان بأنه أجنبي، غريب. إنه منفي بلا علاج لأنه محروم من ذكرى منزل ضائع أو أمل في أرض موعودة. هذا الطلاق بين الإنسان وحياته، الفاعل ووضعه، هو شعور العبث بشكل صحيح.

س- كيف يلون هذا الشعور تصورات الناس؟

ج- في لحظات معينة من الوضوح، فإن الجانب الميكانيكي لإيماءاتهم بلا معنى، يجعل كل شيء يحيط بهم عبثياً.

س- أعطني مثالاً.

ج-رجل يتحدث على الهاتف خلف حاجز زجاجي. لا يمكنك سماعه، لكنك ترى عرضه الغبي غير المفهوم: أنت تتساءل لماذا هو على قيد الحياة. هذا الانزعاج في وجه إنسانية الإنسان، هذا السقوط الذي لا يُحصى قبل تصور ما نحن عليه... هو أيضاً عبثي.

أعتقد أن الجميع قد مروا بصدمة الوضوح هذه - في اللحظة التي يبدو فيها الكون بلا معنى. يبدو أن حواسنا تنبض بالحياة من «رائحة العشب والنجوم في الليل»، كما يقول.

ومع ذلك، فإن كل المعرفة على وجه الأرض لن تعطيني أي شيء يؤكد لي أن هذا العالم ملكي. أنت تصفه لي. تعدد قوانينه وتعطشك للمعرفة، وأعترف بأن هذا صحيح. أنت تفكك آليته وتزيد أملي. في المرحلة النهائية، تعلمني أنه يمكن اختصار هذا الكون المذهل والمتعدد الألوان إلى الذرة، وأن الذرة نفسها يمكن اختزالها إلى الإلكترون. كل هذا جيد، وأنا أنتظر منك المتابعة.

تخبرني عن نظام كوكبي غير مرئي تنجرف فيه الإلكترونات حول نواة. تشرح لي هذا العالم مع صور. أدرك حينئذ أنك قد تحولت إلى شعر: لن أعرف أبداً. هل حان الوقت لأصبح ساخطاً؟ لقد قمت بالفعل بتغيير النظريات؛ بحيث ينتهي العلم الذي كان يعلمني كل شيء، ثم يحضر عدم اليقين في عمل فني. ما حاجتي للكثير من الجهود؟ الخطوط الناعمة لهذه التلال ويد المساء في هذا القلب المضطرب تعلمني المزيد. أدرك أنه إذا تمكنت من خلال العلم من استغلال الظواهر وتعدادها، فلا أستطيع، رغم كل ذلك، فهم العالم.

س- توفر العلوم الأوصاف الأكثر دقة في العالم. العلم هو نوافذ الواقع. لا أقصد أن أبدو خيالياً للغاية، لكنني أود أن أقول هذا الشعر. إذاً ما هي المشكلة؟

ج- أنت تعطيني الاختيار بين وصف أكيد لا يعلمني شيئاً، والفرضيات التي تدعي أنها علمتني ولكنها غير مؤكدة. شخص غريب بالنسبة إلي وإلى العالم، مسلح فقط بفكرة تنكر نفسها بمجرد تأكيدها، ما هذا الشرط الذي لا أستطيع فيه أن أحقق السلام إلا برفض المعرفة والعيش، حيث تتصاعد شهية الغزو نحو الجدران التي تتحدى هجماته؟

الإرادة هي إثارة المفارقات. يتم ترتيب كل شيء بطريقة تجعل هذا السلام السام ناتجاً عن الغفلة أو قلة الرؤية أو التنازلات القاتلة.

س- إذاً هل هو يفرض النظام على العالم الذي تعترض عليه؟ أنا أتابع. العلم، رغم ذلك، لا يعمل على إصلاح العالم. إنه دائماً التفكير. هل تقول إن تشكل العالم في قالب واحد، أمر عبثي؟

ج-الذكاء، أيضاً، يخبرني أن هذا العالم عبثي. قد يدعي عكس ذلك، لسبب أعمى، أن كل شيء واضح؛ كنت أنتظر البرهان ليكون ذلك على حق. لكن على الرغم من العديد من القرون الطنانة، ووجود الكثير من الرجال البليغين والمقنعين، أعرف أن هذا غير صحيح. على هذه الطائرة، على الأقل، لا توجد سعادة إذا لم أكن أعرف ذلك. هذا السبب العالمي، العملي أو الأخلاقي، تلك الحتمية، تلك الفئات التي تشرح كل شيء، تكفي لجعل الرجل الكريم يضحك. لا علاقة لهم بالعقل. إنهم ينكرون حقيقته العميقة، التي يجب أن يتم فهمها. في هذا الكون غير المفهوم وغير المحدود، يفترض مصير الإنسان من الآن فصاعداً فهم معناه. الآن يصبح شعور العبث واضحاً ونهائياً.

س-الوضوح الحقيقي للعقل هو رؤية العالم على أنه عبثي؟

ج-قلت إن العالم عبثي، لكنني كنت متسرعاً جداً. هذا العالم في حد ذاته غير معقول، هذا كل ما يمكن قوله. لكن ما يبعث على السخرية هو مواجهة هذا التوق غير المنطقي والوحشي للوضوح الذي يتردد صداه في قلب الإنسان. العبث يعتمد على الإنسان بقدر ما يعتمد على العالم. في الوقت الحالي، هو يربطهما معاً، لأن الكراهية فقط يمكنها أن تجمع بين المخلوقات. هذا هو كل ما يمكنني تمييزه بوضوح في هذا الكون غير القابل للقياس حيث تكون مغامرتي.

س-ألا تعتقد أن احتضان العقلاني يمكن أن يكون متعالياً أيضاً؟ أليس هذا ما يتحدث عنه فلاسفة الظواهر؟ إنهم يريدون وصف الظواهر، وقشور الكليشيهات، والوصول إلى صميم تجاربنا، أليس كذلك؟

ج-يصبح الكون خصباً بدرجة لا تُحصى من خلال الروح. إن بتلة الورد، والمعلم، أو اليد البشرية، لا تقل أهمية عن الحب أو الرغبة أو قوانين الجاذبية. التفكير يتوقف عن أن يكون موحداً أو شكلاً مألوفاً في مبدأ رئيسي. التفكير يتعلم من جديد مرة أخرى ليركز على الانتباه؛ إنه تحول كل فكرة وكل صورة، على طريقة بروست، إلى لحظة مميزة. ما يبرر الفكر هو وعيه الشديد.

س-بالضبط. هذا يبدو رائعاً جداً بالنسبة إلي. لماذا تعترض على علماء الظواهر مثل إدموند هوسرل؟

ج-إن طريقة هوسرل للمضي قدماً، في البداية، تنكر الطريقة التقليدية للسبب، وتخيب الأمل، وتفتح حدساً للقلب وتكاثراً تاماً للظواهر، التي تنطوي ثروتها على شيء غير إنساني. هذه المسارات تؤدي إلى جميع العلوم أو لا شيء. وهذا يعني القول إنه في هذه الحالة تكون الوسائل أكثر أهمية من النهاية. كل ما ينطوي عليه الأمر هو «موقف للتفاهم» وليس عزاء.. وبعبارة أخرى، تتراجع الظواهر عن شرح العالم، إنها تريد أن تكون مجرد وصف للتجربة الفعلية. ويؤكد الفكر العبثي في تأكيده الأولي، أنه لا توجد حقيقة، وإنما مجرد حقائق.

س- للكاتبة سارة باكويل بعض الأفكار الرائعة حول علماء الظواهر في كتابها، في مقهى Existentialist، والذي، بالمناسبة، يمنحك رؤية رائعة. تكتب إن التصور، كما يراه علماء الظواهر، هو «أن جميع الحواس تعمل معاً

بشكل كلي». وهي تستشهد بظاهرة أخرى في علم الظواهر، موريس ميرلو بونتي: «في حركة الفرع الذي غادر منه الطائر، قرأنا مرونته وسلاسته». أحب ذلك. لكنني أرى ما تعنيه بخطر الحقائق الشخصية. هذه اللحظة من الزمن تشعر بأنها زلقة بشكل خاص. يشعر الجميع بأن لديهم الحق في تقديم حقائقهم الخاصة، ولا يوجد شيء يجمعنا. إنه أمر مرعب حقاً.

ج-هناك حقيقة واضحة تبدو أخلاقية تماماً: وهي أن الإنسان دائماً ما يكون فريسة لحقائقه. بمجرد أن يعترف بها، فإنه لا يستطيع تحرير نفسه منها. على المرء أن يدفع شيئاً. الإنسان الذي أصبح واعياً للعبث مرتبط به إلى الأبد. إنسان غير ممتلئ بالأمل، ويعي أنه لم يعد ينتمي إلى المستقبل. هذا طبيعي. لكن من الطبيعي تماماً أن يسعى جاهداً للهروب من الكون الذي هو خالقه.

س-ما هي المشكلة الحقيقية في أي نظرية موحدة حول العالم؟

ج- إنها التأكيد فقط أنه بدون أي مبدأ موحِّد، ما زال بإمكان الفكر أن يسعد في وصف وفهم كل جانب من جوانب التجربة. الحقيقة التي ينطوي عليها كل من هذه الجوانب هي نفسية بطبيعتها. إنها شهادة على «الاهتمام» الذي يمكن أن يقدمه الواقع. إنها وسيلة لإيقاظ عالم نائم وجعله حيوياً للعقل. لكن إذا حاول المرء أن يمدّ بمفهوم الحقيقة هذا ويعطي أساساً عقلانياً، فإذا ادعى المرء أنه يكتشف بهذه الطريقة «جوهر» كل موضوع من وجوه المعرفة، يستعيد المرء عمقه لتجربته. إنه عبث غير مفهوم.

س- دعنا نصل إلى جوهر الأمر. ما الفائدة الحقيقية لوجهة النظر العبثية؟

ج-لإلقاء الضوء على الخطوة التي اتخذها العقل عندما بدأ، من فلسفة الافتقار إلى المعنى في العالم، بإيجاد معنى وعمق فيه.

س- كيف تجلب لنا فترة الراحة بين العالم والعقل - كما تعرف العبث- معنى وعمقاً؟

ج- في هذه اللحظة، يعود العبث، الواضح للغاية والذي يصعب الفوز به، إلى حياة الرجل ويجد مستقره هناك. في هذه اللحظة، أيضاً، يمكن للعقل أن يترك المسار الجاف للجهد الواضح. يظهر هذا المسار الآن في الحياة اليومية. إنه يواجه عالم الضمير المجهول الهوية، لكن من الآن فصاعداً دخل الرجل في ثورته ووضوحه. لقد نسي كيف نأمل. هذا الجحيم الحاضر هو مملكته في النهاية. يتراجع الدليل التجريدي قبل شعر الأشكال والألوان. تتجسد الصراعات الروحية وتعود إلى ملجأ القلب الرائع والجميل. لم تتم تسوية أي شيء.

س-هل هذا هو السبب في أننا في عالم لا طائل من ورائه، يجب ألا نقتل أنفسنا فقط؟

ج-الاستنتاج النهائي للتفكير العبثي هو، في الواقع، نبذ الانتحار وقبول المواجهة اليائسة بين البحث البشري وصمت الكون. يعني الانتحار نهاية هذا اللقاء، ويعتبر التفكير العبثي أنه لا يمكن أن يوافق على ذلك دون إبطال أسبابه. وفقاً للتفكير العبثي، فإن مثل هذا الحل هو ما يعادل الرحلة أو الخلاص. لكن من الواضح أن العبثية تعترف بموجب هذا أن الحياة البشرية هي الصالح الضروري الوحيد، لأن الحياة بالتحديد هي التي تجعل هذا اللقاء ممكناً، ولأن الرهان العبثي لن يكون له أي أساس بدون حياة. لقول إن الحياة سخيفة، يجب أن يكون الضمير على قيد الحياة.

س-تكتب وتتحدث مثل الفيلسوف. هل تسمي نفسك فيلسوفاً؟

ج-أنا لست فيلسوفاً، لأنني لا أؤمن بالعقل الكافي للإيمان بالنظام. ما يهمني هو معرفة كيف يجب أن نتصرف، وبشكل أكثر دقة، كيف تتصرف عندما لا يؤمن المرء بالله أو بالعقل.

ربما كان هذا هو الدرس الأخير لرؤية العالم على أنه عبث: إنه يعلمنا كيف نعيش.

بطريقة ما، فإن العبث، الذي يدعي التعبير عن الإنسان في عزلته، يجعله يعيش أمام المرآة حقاً. وبعد ذلك، يتسبب الألم الأولي في المخاطرة بالراحة. يقدم الجرح في هذه العزلة السرور. لم يكن المستكشفون العظماء في عالم العبثية مفتقدين. لكن، في التحليل الأخير، يتم قياس عظمتهم بالمدى الذي رفضوا به عبارات العبثية من أجل قبول مقتضياتها.

س-كيف تحدد التمرد؟

ج-التمرد في حد ذاته ليس عنصراً من عناصر الحضارة؛ لكنه أولية لجميع الحضارات. التمرد وحده، في الزقاق الأعمى الذي نعيش فيه، يسمح لنا أن نأمل في المستقبل الذي حلم به نيتشه: «بدلاً من القاضي والظالم، هناك الخلق/ الإبداع».. من بين جميع مدارس الصبر والوضوح، الخلق هو الأكثر فعالية. إنه أيضاً دليل مذهل على كرامة الإنسان الوحيدة: التمرد الشديد على حالته، المثابرة في جهد معقم.

س-أعطنا مثالاً على التمرد باعتباره خلقاً.

ج-يذكر إرنست دوينجر في مذكراته في سيبيريا ملازماً ألمانياً - بقي لسنوات سجيناً في معسكر كان البرد والجوع فيه لا يطاقان تقريباً - قام بصنع بيانو صامتاً بمفاتيح خشبية. في قمة قساوة البؤس، وهو محاط دائماً بغوغاء،

قام بتأليف موسيقى غريبة كانت مسموعة بالنسبة إليه وحده. وبالنسبة إلينا الذين ألقينا في الجحيم، فإن الألحان الغامضة وصور التعذيب لجمال اختفى ستجلب لنا دائماً، في خضم الجريمة والحماقة، صدى تلك الثورة المتناغمة التي تشهد، عبر القرون، على العظمة الإنسانية. لكن الجحيم يمكن أن يدوم لفترة محدودة فقط، وسوف تبدأ الحياة مرة أخرى في يوم ما.

س-أنت تستحضر العلم، والمبدأ العلمي، مراراً وتكراراً لانتقاد الماركسية. لماذا؟

ج-الماركسية ليست علمية؛ في أحسن الأحوال، فيها تحيزات علمية. لقد أوجدت الفارق العميق بين التفكير المنطقي، وأداة البحث المثمرة، والفكر، وحتى التمرد، والمنطق التاريخي، الذي ابتدعته الأيديولوجيا الألمانية بنفيها لجميع المبادئ. التفكير المنطقي التاريخي ليس نوعاً من التفكير المنطقي، في إطار وظائفه الخاصة، يمكنه إصدار حكم على العالم. بينما يتظاهر بالحكم عليه، فإنه يحاول حقاً تحديد مساره. في الأساس هو جزء من الأحداث، وهو يوجهها تربوياً في نفس الوقت ويهيمن عليها. إذا كان الإنسان محصوراً في كونه مجرد شخصية في التاريخ، فلن يكون لديه خيار آخر سوى أن يسكن أمام صوت وغضب تاريخ غير عقلاني تماماً، أو أن يمنح التاريخ شكل العقل الإنساني.

س-إذاً، القضية بالنسبة إليك هي أن الهندسة الاجتماعية للشيوعية ترقى إلى العلوم الزائفة، وهي انحراف عن التقدم العلمي؟

ج-لقد كان تقدم العلم، منذ ماركس، يتألف تقريباً من استبدال الحتمية والآلية الخام في فترتها بعقيدة الاحتمال المؤقت. كتب ماركس إلى إنجلز أن

النظرية الداروينية تشكل أساس أسلوبهم. لكي تظل الماركسية معصومة، كان من الضروري إنكار جميع الاكتشافات البيولوجية التي تمت منذ داروين. كما يحدث أن جميع الاكتشافات منذ الطفرات غير المتوقعة كانت تتمثل في تقديم، على عكس عقائد الحتمية، فكرة الصدفة في علم الأحياء، فقد كان من الضروري تكليف ليسينكو بمهمة دراسة الكروموسومات والتظاهر مرة أخرى بحقيقة الحتمية الأولية.

س-ما رأيك في هذا النوع من الحتمية الاجتماعية؟

ج-هذا أمر مثير للسخرية... لقد شهد القرن العشرون أيضاً إنكار مبدأ اللامتناهي في العلوم، والنسبية المحدودة، ونظرية الكم، وأخيراً كل اتجاه عام للعلوم المعاصرة. الماركسية علمية اليوم فقط في تحد لهيزنبرغ وبوهر وآينشتاين وكل أعظم عقول عصرنا. بعد كل شيء، لا يوجد شيء غامض حقاً حول المبدأ الذي يتألف من استخدام التفكير العلمي لصالح النبوءة. وقد تم تسمية هذا بالفعل مبدأ السلطة، وهذا هو الذي يوجه الكنائس عندما ترغب في إخضاع سبب حي للإيمان الميت وحرية الفكر للحفاظ على السلطة الزمنية.

س-اليوم في الولايات المتحدة، يحدث انفصال للطبقات الاقتصادية والاجتماعية. أنت تكتب أن الإنتاج الصناعي، الذي شجعه ماركس، هو طبقة اجتماعية جديدة، من الفنيين. هل يمكنك شرح ذلك؟

ج-إن المثل الأعلى، العزيز على لينين، في مجتمع يكون فيه المهندس في نفس الوقت عاملاً يدوياً يتعارض مع الحقائق. الحقيقة الأساسية هي أن التكنولوجيا، مثل العلم، قد وصلت إلى مرحلة من التعقيد لدرجة أنه لا يمكن لرجل واحد أن يفهم مجمل مبادئها وتطبيقاتها. يكاد يكون من المستحيل، على

سبيل المثال، أن يكون لدى الفيزيائي اليوم فهم كامل للعلوم البيولوجية في عصره. حتى عالم الفيزياء، لا يستطيع أن يدعي أنه على دراية بنفس القدر بكل فرع من فروع الموضوع. وهو الأمر نفسه في التكنولوجيا. منذ اللحظة التي أصبحت فيها الإنتاجية، التي يعتبرها كل من البرجوازيين والماركسيين منفعة في حد ذاتها، تتطور إلى أبعاد هائلة، أصبح تقسيم العمل، الذي اعتقد ماركس أنه كان من الممكن تجنبه،... تقسيم العمل والملكية الخاصة، كما قال، هي تعبيرات متطابقة. لقد أثبت التاريخ عكس ذلك. يمكن تعريف النظام المثالي القائم على الملكية الجماعية، وفقاً لما قاله لينين، بأنه «العدالة زائد الكهرباء». في التحليل النهائي هو فقط الكهرباء، من دون عدالة.

س-هناك فقرة في مقالتك، «العودة إلى تيبازة»، عن زيارة المدينة الجزائرية التي أحببتها عندما كنت يافعاً، بعد الحرب العالمية الثانية. يبدو أن المقطع يتدفق من الوعي الذاتي الذي تم الحصول عليه بشق النفس. إنه أمر محزن وجميل وحتى متفائل. هل يمكنك اقتباس ذلك لنا؟

ج-«كنت أعرف دائماً أن أنقاض تيبازة كانت أصغر من هياكلنا الجديدة أو أضرار القنابل التي أصابتنا. هناك بدأ العالم من جديد كل يوم في ضوء جديد من أي وقت مضى. يا ضوء! هذه هي صرخة كل شخصيات الدراما القديمة التي جلبت وجهاً لمصيرهم. هذا الملاذ الأخير كان لنا، وأنا أعرفه الآن. في منتصف فصل الشتاء، اكتشفت أخيراً أنه كان هناك في الصيف صيف لا يقهر».

العبث قد يكون ملكاً

جيمي لومباردي

كتب ألبير كامو في مجلته أنه «إذا كان عليه أن يكتب كتاباً عن الأخلاق، فسيحتوي على ستمائة وتسعة وتسعين صفحة».

في الصفحة الأخيرة، قال إنه سيكتب: «أنا أدرك واجباً واحداً فقط، وهو الحب». لكن كامو لم يخبرنا (على الأقل ليس بشكل مباشر) ما هو الحب، أو كيف نفهم واجبنا تجاهه.

ما كتبه كان طريقة لفهم كفاحنا في عالم عبثي كعمل تمرد. وما هو الحب إن لم يكن فعل التمرد؟ حتى أفضل الأرواح ستنتهي بالموت، مع عدم وجود نقص في المعاناة مسبقاً. ثم هناك بقيتنا: محكوم عليهم بالموت بقدر ما حكموا على الحياة. كيف نعيش مع هذا؟ ما الذي يجعل الأمر يستحق العناء؟ الجواب عند كامو هو التمرد؛ في الفن؛ في الجمال، وفي الحب.

في حين أن التمرد والحرية هما موضوعان مألوفان في عمل كامو، فإن العاطفة هي النتيجة الثالثة للعبث.

على عكس هاملت، الذي كان سؤاله السائد هو «نكون أو لا نكون»، وعدم التصرف في السلوك السائد، يخبرنا كامو أن «السؤال برمته» هو ما إذا كان يمكن للمرء أن يتعايش مع عواطفه أم لا، هل يستطيع المرء أن يقبل القانون أم لا. الحياة عند كامو، مثل الفن والجمال والحب، هي دعوة للعمل.

إنها طريقة لتحديق الإبادة التي لا مفر منها في وجهنا واختيار حياة تستحق الثمن الذي ندفعه مقابل ذلك. في حين أن التمرد والحرية هما موضوعان مألوفان في عمل كامو، فإن العاطفة هي النتيجة الثالثة للعبث. النفي لا يكفي. العدمية ليست انتصاراً.

عند إدراك أن العالم لا معنى له لحياتنا، فإن الشغف هو الذي يمكّننا من «مواجهة الرهبة الرائعة للعبثية» وخلق معنى لأنفسنا؛ لدفع شيء لم يكن من قبل إلى حيز الوجود. الحب هو شكل من أشكال الفن، ومن خلاله، ووسيلة لدعم مستقبل غير موجود حتى الآن، ولكن يمكن وجوده.

الفشل في العمل، حتى في غياب الضمانات أو الوعد بالنجاح، هو ما يشير إليه كامو على أنه انتحار فلسفي.

بالطبع، يبقى الاحتمال أننا قد لا نرى ذلك المستقبل. العلاقات تنتهي. حتى الأعمال المثالية ستكون مستأجرة عن طريق الموت. سيزيف لم يستقر أبداً على قمة هذا الجبل، بعد كل شيء. العالم ليس مكاناً عادلاً ولا معقولاً. لكن الفشل في التصرف، حتى في غياب الضمانات أو الوعد بالنجاح، هو ما يشير إليه كامو على أنه انتحار فلسفي. إنه إعلان أن الحياة لا تستحق العيش، وأنها ليست، كما يقول نيتشه، «تستحق العناء».

لكن هذا هو اليأس الذي لا يجب على المرء أن يستسلم له. يجب على المرء بدلاً من ذلك أن يرفض الهروب من أمراض الفرد في الاستسلام، بقدر ما يجب على المرء أن يرفض قفزة كيركيجارد إلى الإيمان من أجل مستقبل أفضل أو مختلف. «الكرم الحقيقي تجاه المستقبل»، يدعي كامو «يكمن في جلب الجميع للحاضر».

في حياتنا الآن، في الوقت الذي نعيش فيه، لا يمكن تجنب الكارثة من خلال اللعب بأمان. بالنسبة إلى كامو، الحب هو الخيار الواعي لرؤية العالم في كل هذا الواقع المرعب، وتقرير أن جهود الفرد «من الآن فصاعداً لن تتوقف».

بطبيعة الحال، هذا يجلب إلى الذهن بسهولة فكرة الحب الرومانسي. وبالتأكيد، ألقى كامو نفسه في العاطفة والشغف، كما ألقى جسده في المحيط. لكن الحب الرومانسي ليس هو النوع الوحيد من الحب. يمكن أن تكون علاقتنا بأصدقائنا وعائلاتنا وأطفالنا ذات مغزى، وفي كثير من الحالات تكون أكثر تطلباً.

بالنسبة إلى كامو، الحب هو الخيار الواعي لرؤية العالم في هذا الواقع المرعب.

قد يبدو سيزيف أنموذجاً غير مرجح أن يتبعه، لكن هذا فقط إذا أسيء فهم ما يتوج فوزه. إن القيام بواجبنا ليس مجرد إكمال التكرار الطائش للمهام التي كلفنا بها القدر والمعاناة بصمت؛ إنها الرغبة في «اتباع منحنى المشاعر العظيمة والمفاجئة والمتطلبة والسخية».

الحب ليس مجرد مواجهة مع عبثية العالم؛ إنه رفض للانكسار. إنه إحدى الطرق التي يمكننا من خلالها أن نكون أقوى من صخورنا. لا يوجد شيء يمكننا القيام به لتغيير قيود وجودنا. حسرة الموت في انتظارنا جميعاً. إما أن نفشل وسوف تكون هناك معاناة، أو ننجح لكننا سنواجه ألماً هائلاً على طول الطريق.

كما كتب كامو «عبثية هذه الكارثة لا تغير حقيقة وجودها». ولكن الأمر متروك لنا كيف نتعايش معها. إنه خيارنا سواء كنا نتهرب من مقلاع وسهام المصير، أو كنا نقف في ضوء الشمس الكامل بينما تشرق فوقنا.

قد يكون صحيحاً أنه لا يوجد ضوء بدون ظل، لكن ما يعنيه كامو عندما يقول إنه «من الضروري معرفة الليل»، هو أن وعينا بالهزيمة هو ما يجعل انتصار شجاعتنا ممكناً: «قد تكون العبثية ملكاً، لكن الحب ينقذنا منها».

هل يجب أن أقتل نفسي؟

إريك فان آكين

يقول كامو: «هناك مشكلة فلسفية خطيرة واحدة فقط، وهي الانتحار. إن الحكم على ما إذا كانت الحياة تستحق العناء أم لا، يعد بمثابة إجابة على السؤال الأساسي للفلسفة».

قد يبدو من السهل ملاحظة أن السؤال الأساسي في الفلسفة هو «هل يجب أن أقتل نفسي؟» لكن مسألة الانتحار تعتمد على ما اعتبره كامو المشكلة الإنسانية الأساسية: بمعنى أن حياتنا عبثية تماماً. سوف يحدد هذا المقال أصل وعواقب فكرة كامو عن العبث من كتابه «أسطورة سيزيف» عام ١٩٤٢.

١. العبث وأصله

هناك العديد من الأشياء التي يمكن أن نسميها بشكل طبيعي عبثية: مزحة غير مهذبة أو بيان شائن أو سعر بنطلون جينز أنيق.

هذا على الرغم من أنه ليس ما يعنيه كامو بـ«عبثي». بالنسبة إليه، ينبع العبث من مزيج من شيئين: الطريقة التي نريد أن يكون العالم بها، ومسار العالم.

حول كيف نريد أن يكون العالم، يبدو أنه جزء من الطبيعة البشرية أن يكون لدينا إحساس بالعدالة والإنصاف، ولذا نريد أن يكون العالم عادلاً ونزيهاً: نريد معاقبة الشر. نريد أيضاً أن نفهم سبب حدوث الأشياء السيئة

للناس الطيبين، ولماذا تحدث الأشياء الطيبة للناس السيئين، ولماذا نحن هنا، وإلى أين نحن ذاهبون، وماذا يعني كل ذلك؟

بالنسبة إلى هذه الأمور، في الواقع، لا يفلت الشر من العقاب، وكثيراً ما لا تتم مكافأة الأعمال الصالحة، والأشياء الجيدة تحدث للناس السيئين، والأشياء السيئة تحدث للناس الطيبين، ونحن لا نفهم أي شيء. نحن لا نفعل ذلك، ووفقاً لكامو، لا يمكننا فهم ما نريد أن نفهمه.

مذهب كامو في العبث يتناول الجوانب الميتافيزيقية والمعرفية. كرسالة ميتافيزيقية، العبث هو مواجهة بين العقل البشري والكون غير المبالي: ما هو موجود هو «العقل الذي يرغب والعالم الذي يخيب أملك». كرسالة نظرية معرفية، فإن العبث يبرز رغبتنا في الفهم والحدود الأساسية لمعرفتنا.

٢. حتمية العبث

بعد تشخيص المشكلة الإنسانية الأساسية، يحوّل كامو اهتمامه إلى التشخيص، وتحديد ما إذا كان ينبغي العيش بوجود العبث وكيف.

تعتبر أسطورة سيزيف أساساً نقدياً للوجودية، وتحديداً محاولات المفكرين مثل كيركيغارد وياسبرز وهيدغر للتغلب على العبث من خلال التماسهم لله أو المتعالي. هؤلاء المفكرون، كما يدعي كامو، يناقضون أنفسهم بافتراض أن الحياة عبثية بطريقة ما، لكنهم يقترحون حلاً للعقل (بحيث لا تكون الحياة عبثية حقاً).

على سبيل المثال، يرى كيركيغارد Kierkegaard أن الحياة عبثية للغاية، بسبب الافتقار إلى المعنى المركزي. وهو يقترح بالتالي أن نأخذ «قفزة في الإيمان»، بحجة أن الإيمان بالله سيوفر للمرء في النهاية حياة ذات معنى.

يعارض كامو هذا النوع من الهرب، مدعياً أن الوجوديين «يؤجلون ما يسحقهم، ويجدون سبباً للأمل فيما يفقرهم».

كامو يرفض النداءات إلى المتعالي؛ بالنسبة إليه، فإن العبث - «الطلاق» بيننا وبين العالم - يمثل الحالة الإنسانية التي لا مفر منها. كما سنرى، بدلاً من الأمل الزائف بالتديّن، ينصح كامو بإدراك واضح للعبث وشكل من أشكال التمرد.

٣. العبث والسعادة: أسطورة سيزيف

في الأساطير اليونانية، أدانت الآلهة سيزيف بالمهمة غير المجدية، المتمثلة في دحرجة صخرة كبيرة إلى أعلى الجبل، فقط لمشاهدة الصخرة تتدحرج إلى أسفل، وتكرار المهمة إلى الأبد.

كحياة مليئة بالكامل بالأعمال الدنيوية والتافهة، فإن وجود سيزيف يهدف إلى توضيح العبث (والعبثية) التي نواجهها في حياتنا. يلاحظ كامو أن حياة الشخص يمكن أن تصبح، في الأساس، روتيناً عادياً: «الصعود، ركوب الترام، أربع ساعات في المكتب أو المصنع، الوجبة، ركوب الترام، أربع ساعات من العمل، الوجبة، النوم، والإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت، والأحد وفق نفس الإيقاع...».

حتى الآن، بالنسبة إلى كامو، لا يجب أن يشفق على سيزيف. سيزيف يمثل «البطل العبثي»، لأنه يختار أن يعيش في وجه العبثية. إن «اختيار العيش» هو مسألة وعي، لأنه من خلال موقفه وتوقعاته، يستطيع سيزيف أن يحرر نفسه من عقوبته، وينتصر على وضعه دون أن يكون قادراً على تغييره. سيزيف يدرك المدى الكامل للعقوبة: فهو يدرك تماماً المصير الذي

فرضته عليه الآلهة وعدم جدوى وجوده المطلق. ومع ذلك، فإن شغفه وحريته وتمرده يجعله أقوى من العقوبة التي تهدف إلى سحقه.

على الرغم من أنه قد يبدو غريباً، إلا أن كامو يشير إلى أن سيزيف سعيد. بجعل صخرته «شيئه»، يجد سيزيف الفرح في الوجود. ربما يصبح التسلق أكثر راحة بمرور الوقت: ربما تتحكم فيه العضلات التي كانت متوترة ذات مرة تحت وطأة الصخرة دون جهد؛ من المعروف، أن الصخور تتحرك بأمان إلى أعلى بحيث يصبح فعل الحركة عملاً فنياً.

من خلال حريته، يثور سيزيف ضد الآلهة ويرفض عبث عقابهم عن طريق العيش بوعي مع العاطفة. الصخور والجبل والسماء والأوساخ ملك له وهي عالمه. ليس لدى سيزيف أي أمل في تغيير موقفه، لكنه مع ذلك يستخدم كل ما قدم له ومتاح له.

٤. الخلاصة

جواب كامو على سؤال الانتحار هو لا. يصر كامو على أنه يجب علينا أن نستمر في مواجهة العبث، وألا نعطي أنفسنا أملاً كاذباً؛ هو في النهاية يوحي بأننا نعيش الحياة بشكل أفضل إذا لم يكن لها معنى.

الأمر متروك لنا لنعيش حياتنا بشغف وحرية وثورة - ثلاثة عواقب للعبث - وإلا فإننا نستسلم لأمل زائف أو حتى نختار عدم العيش على الإطلاق. من خلال تبني عواطفنا وحريتنا العبثية، يمكننا بالتالي أن نلقي أنفسنا في العالم برغبة واستخدام كل ما هو معطى لنا. على الرغم من أننا لا نستطيع أبداً التوفيق بين التوترات الميتافيزيقية والإبستيمولوجية التي تؤدي إلى العبث، يمكننا أن نتذكر أن «النقطة المركزية»، بعد كل شيء، هي «العيش».

الشعور والعبث

توماس بولزلر

في السنوات الأخيرة، أصبح عدد متزايد من الفلاسفة التحليليين مهتمين بمسألة معنى الحياة. لقد افترض غالبية هؤلاء الفلاسفة أن بعض الأرواح ذات مغزى في الواقع. من بين العديد من الحالات التي قيل إنها ضرورية وأحياناً كافية لتحقيق المعنى، هي بعض الحالات الذهنية العاطفية، مثل العواطف أو المشاعر. على سبيل المثال، جادل هاري فرانكفورت بأن حياتنا ذات معنى إلى الحد الذي نهتم به أو نحب الأشياء. ووفقاً لسوزان وولف، فإن المعنى يتطلب منا أن نتابع مشاريع ذات قيمة موضوعية، وأن نتعاطف مع هذه المشاريع أو نفخر بها.

على عكس هذه الأساليب غير العدمية، نفى عدد من الفلاسفة التحليليين المعاصرين إمكانية تحقيق المعنى أو على الأقل تحقيقه بالفعل. في سياق هذه الآراء، تلقت الحالات الذهنية العاطفية اهتماماً أقل بكثير. على سبيل المثال، أخفق العدميون في التأكد من أن أي من هذه الحالات (إن وجدت) تشجع على إدراك حقيقة عدم معنى الحياة، أو أي من هذه الحالات ينتج عنها الاعتراف. في تطوير فهمنا لهذه القضايا، يبدو من المفيد النظر في المناقشات المقابلة (عادةً ما تكون أكثر تفصيلاً وتحليلاً) في الفلسفة القارية (على سبيل المثال، هيدغر ١٩٦٢، سارتر ١٩٦٩). لقد قدم الفيلسوف الفرنسي الوجودي الفرنسي ألبير كامو مفهوماً واعداً

بشكل خاص للبعد العاطفي للعدمية، والذي يتوافق بشكل خاص مع الأساليب التحليلية.

بالنسبة إلى كامو، فإن حقيقة أننا لا نستطيع تحقيق المعنى، هي جزء مما يشكل ما يسمى بالعبثية. ومن هنا يناقش بشكل أساسي الحالات العاطفية المرتبطة بعدم المعنى تحت عنوان «الشعور بالعبثية». بشكل أكثر وضوحاً ودقة، يتم تناول هذا الشعور في أعماله السابقة، ولا سيما في «أسطورة سيزيف». هنا يقدم كامو تمييزاً مهماً. يميز بين (١) شعور العبث بالمعنى الضيق و(٢) «مظاهر» هذا الشعور (وتسمى أيضاً «مشاعر العبث»)، والتي يعني بها الطرق التي يكون فيها شعور العبثية متجلياً بوضوح. علاوة على ذلك، فهو يناقش الإرهاق والقلق والغرابة والغثيان والرعب في مواجهة موت الإنسان كشكل من هذه المظاهر.

لم يولِ دارسو كامو اهتماماً كبيراً حتى الآن بأفكاره حول الشعور العبثي. ويفترض أن عدم الاهتمام يعود إلى حقيقتين. أولاً، الملاحظات المذكورة في أسطورة سيزيف قصيرة إلى حد ما. لذلك يبدو كما لو أن كامو لم يعط أهمية كبيرة لشعور العبثية. وثانياً، عند فحص هذا الشعور، أكد كامو مراراً وتكراراً أنه «غير محدد» و«غامض» و«بعيد المنال»، بحيث لا يسمح بالتوصيفات، وبالتالي لا يمكن تحليله بشكل مناسب على الإطلاق.

ولكن عند النظر عن كثب، فإن الحقائق المذكورة أعلاه لا تبرر شعور عدم مراعاة العبثية. لم يقل كامو سوى القليل عن هذا الشعور، لأنه في رأيه قد تم بالفعل فحصه بعناية من قبل الفلاسفة الآخرين ومعروف لدى

الناس العاديين. لم يترك أي مجال للشك في أنه كان يعتبر شعوراً بالغ الأهمية. علاوة على ذلك، فإن ادعاء كامو بأن الشعور بالعبثية لا يمكن وصفه، يجب أن يكون صحيحاً كذلك. لسبب واحد، فقد كان يقصد فقط أن ينطبق هذا الادعاء على شعور العبث بالمعنى الضيق، وليس على مظاهر هذا الشعور. شيء آخر، لقد قال كامو أيضاً إنه حتى مفهوم العبث بمعناه الضيق، يمكن تعريفه على الأقل من حيث وظيفته.

إذا كانت الاعتبارات المذكورة أعلاه صحيحة، فإن التحليل الفلسفي المفصل لشعور العبث يعد قيماً كقطعة من تفكير كامو، وقد يساعد أيضاً في توعية واستكمال الحسابات العدمية لمعنى الحياة في الفلسفة التحليلية. تهدف هذه الورقة إلى تقديم مثل هذا التحليل. سأحقق في مفهوم كامو لشعور العبثية في ثلاث خطوات. أولاً، سأبحث عن قصد كامو بمصطلح «الشعور». ثانياً، سأحقق في مفهومه عن «العبث». وثالثاً، بناءً على نتائج هذه الاعتبارات، سأحدد العلاقة الخاصة التي يجب أن يتحلى بها الشعور العبثي من أجل تحوله إلى «شعور بالعبثية».

هناك طرق شرعية مختلفة لتفسير كامو. هنا سأتخذ نهجاً محافظاً إلى حد ما. وهذا يعني أنني سأحاول إعادة بناء مفهوم كامو لشعور العبث بطريقة تفي بأقواله قدر الإمكان. فقط عندما يكون أخذ هذه العبارات بالقيمة الاسمية أمراً غير منطقي أو غير متناسق تماماً، سألجأ بقوة إلى ما ينبغي أن يكون عليه (بدلاً مما قاله بالفعل). لاحظ أن الأساليب الأكثر تحررية قد تسفر عن مفاهيم صحيحة ومثيرة للاهتمام حول الشعور بالعبثية، وبالتالي فهي ليست أقل جدارة في متابعتها.

على افتراض هذا النهج، سيتبين أن شعور العبث ليس شعوراً بالمعنى الدقيق للكلمة. إنها بالأحرى علاقة مزاجية (شعور العبث بالمعنى الضيق) والعواطف التي يميل هذا المزاج إلى إظهارها (مظاهر العبثية). علاوة على ذلك، فإن كل من الحالة المزاجية والعاطفية تعتبر عبثية بحكم تشجيعها لاكتشاف العبث، أي اكتشاف أن البشر يبحثون عن معنى، لكن العالم لا يستجيب لهذا البحث.

مشاعر

لنبدأ بالسؤال عن قصد كامو عندما تحدث عن شعور العبث كنوع معين من الشعور.

يميز علماء النفس والفلاسفة الناطقون بالإنجليزية عادةً بين الأنواع المختلفة للحالات الذهنية العاطفية، مثل المشاعر والعواطف والحالات المزاجية. في «أسطورة سيزيف» Myth of Sisyphus استخدم كامو مصطلح «الشعور» بمعنى يبدو أنه غامض فيما يتعلق بهذا التمايز (نتيجة لافتقاره العام للصرامة المفاهيمية، وربما أيضاً نتيجة لأن التمايز لا يترجم مباشرة بالمصطلحات الفرنسية). في رأيي، هناك خطوة مهمة في إلقاء الضوء على مفهوم كامو لشعور العبثية، تتمثل في إعادة بنائها في المفردات العاطفية الأكثر حيمية التي ذكرناها للتو. إذاً أي نوع من الحالة النفسية العاطفية وضع كامو في ذهنه عندما وصف شعور العبث؟ هل كان يقصد الشعور أو العاطفة أو الحالة المزاجية؟

إن الفرضية الأولى التي يجب مراعاتها، هي بالطبع أن كامو كان يعني ما قاله بالضبط، أي أن الشعور بالعبثية هو شعور («شعور»، على حد تعبيره

بالأصل الفرنسي). هذا التفسير يمكن استبعاده بسرعة. يستخدم علماء النفس والفلاسفة عادة مصطلح «الشعور» للإشارة إلى التجارب الواعية لحالاتنا الجسدية أو العقلية، على سبيل المثال، إلى المتعة أو الألم، أو إلى ما يعنيه حب أو كره شخص ما. ولكن ليس الشعور بالعبث بالمعنى الضيق، ولا يمكن أن تكون مظاهره مشاعر بهذا المعنى.

خذ أولاً شعور العبث بالمعنى الضيق. يصف كامو هذا الشعور بأنه «غير محدد» و«غامض» و«بعيد المنال». ومع ذلك، تميل المشاعر التي تراعي التجارب الجسدية أو العقلية، إلى أن تكون محددة إلى حد ما وواضحة (على الأقل أكثر تحديداً ووضوحاً، ويمكن تحديدها من خلال الأنواع الأخرى للحالات الذهنية العاطفية). يمكننا بسهولة معرفة مدى اختلاف المتعة عن الألم، وكيف تختلف تجارب الحب عن تجارب الكراهية، وما إلى ذلك. علاوة على ذلك، فإن الأمثلة التي يقدمها كامو عن مظاهر الشعور بالعبثية، تشير أيضاً إلى أن هذه المظاهر، يجب ألا تُفهم على أنها مشاعر تجارب واعية للحالات الجسدية أو العقلية. يتم تصنيف كل من التعب والغرابة والغثيان والرعب بسهولة أكبر على أنها تنتمي إلى أنواع أخرى من الحالات الذهنية العاطفية.

إذا لم يستخدم كامو مصطلح «الشعور» للإشارة إلى التجارب الواعية لحالاتنا الجسدية أو العقلية، أو أي نوع من الحالات الذهنية العاطفية، فكيف كان ينوي الإشارة إليها بدلاً من ذلك؟ كما ذكر أعلاه، يميز الفلاسفة وعلماء النفس عادةً بين نوعين آخرين على الأقل: العواطف والمزاج. الطبيعة الدقيقة لهذه الحالات متنازع عليها بشدة.

ومع ذلك، يوجد على الأقل اتفاق حول بعض السمات المفاهيمية الأساسية للعواطف والمزاج.

يتم تعريف المشاعر عادة بأنها استجابات محددة إلى حد ما للمؤثرات الداخلية أو الخارجية. علاوة على ذلك، من المفترض أن تكون مقصودة، أي موجهة إلى أشياء محددة. على سبيل المثال، إن خوف شخص ما من كلب كبير ينبح عليه، هو على الأرجح استجابة للمنبهات التي تنطوي على خوفه من الكلب، والخوف يتعلق أيضاً بالكلب. تميل مدة العواطف إلى أن تكون قصيرة إلى حد ما، وعادة ما تكون في حدود بضع دقائق أو حتى ثوانٍ فقط. خلال هذا الوقت القصير، تملأ العواطف وعينا إلى حد كبير. من المحتمل أن تكون هذه الشدة العالية مرتبطة بحقيقة أن العواطف تأتي جنباً إلى جنب مع التصرفات المحددة للتغيرات السلوكية والإدراكية والعاطفية. عندما يخاف الشخص، على سبيل المثال، قد يرتجف، وقد يزيد معدل ضربات القلب، وقد يبدأ في التعرق؛ وهذه التنشيطات الفسيولوجية قد تقوده إلى الهرب أو الصراخ طلباً للمساعدة.

يتم تعريف الحالة المزاجية عموماً على أنها تتناقض مع المشاعر فيما يتعلق بجميع الميزات المذكورة أعلاه. بادئ ذي بدء، تكون الحالة المزاجية عامة وغير محددة إلى حد ما. عادة ما نميزها بعبارات غير محددة أكثر من المشاعر؛ على سبيل المثال، «جيد» أو «سيء» أو «متوتر». المزاجية ليست استجابات لمحفزات محددة أو متعمدة بطبيعتها أيضاً. على سبيل المثال، على الرغم من أن الحالة المزاجية السيئة للشخص قد نشأت جزئياً بسبب غضبه من شخص ما، فإن هذا المزاج بحد ذاته ليس رداً على بعض الجرائم المتصورة أو

الموجهة إلى مثل هذه الحالة. بينما من المنطقي أن تقول «أنا غاضب من أنك كسرت مزهريتي»، «أنا في حالة مزاجية سيئة لأنك كسرت مزهريتي»، وهذه تبدو غريبة إلى حد ما. أخيراً، تختلف الحالة المزاجية أيضاً عن العواطف، من حيث أنها يمكن أن تستمر لأيام أو أسابيع، وتميل إلى أن تكون أقل كثافة، وتتوافق مع التغيرات السلوكية والإدراكية والعاطفية التي تكون أكثر عمومية وأقل قوة في كثير من الأحيان.

لقد ناقشت أعلاه أن كامو لا يقصد بالمشاعر (المعنى الذي يستخدمه هذا المصطلح عادةً من قبل الفلاسفة وعلماء النفس) عندما ناقش شعور العبثية. قد يكون يعني العواطف أو الحالة المزاجية؟

دعونا نفكر أولاً في شعور العبث بمعناه الضيق. يصف كامو هذا الشعور بأنه «غير محدد» و«غامض» و«بعيد المنال». كما يقترح أنه غير محدد وغامض أكثر من الحالات العقلية كالعواطف، مثل الغيرة والكرم. أخيراً، عند مناقشة شعور العبث بمعناه الضيق، يعتمد كامو مراراً وتكراراً على استعارة «مناخ عبثي». المناخ لا يقبل إلا بالتغيرات التدريجية والصغيرة، ويمتد تعريفه على مدى فترة طويلة من الزمن. كل هذه الخصائص تشير بقوة إلى أن ما يعنيه كامو عندما تحدث عن شعور العبث بالمعنى الضيق، كان نوعاً ما من المزاج.

إلى الحد الذي عالج فيه الدارسون مفهوم كامو لشعور العبث، افترضوا عادةً أن الشعور بالمعنى الضيق وظهوره، هو عبارة عن نسخ من نفس الحالة النفسية العاطفية. بناءً على هذا الافتراض، يجب أن نجد أن كامو يتفهم مظاهر الشعور بالعبثية كأمزجة أيضاً. قد يصنف أحد الأمثلة على هذه

المظاهر بالفعل على أنه مزاج، ألا وهو القلق. يشير كامو، في مناقشته الموجزة لهذه الحالة، إلى مارتن هيدغر، الذي فهم القلق على أنه غير محدد إلى حد ما على الأقل، والذي جادل بأنه ليس استجابة لحدث معين في العالم أو موجه إليه، ولكن بالأحرى يتعلق بكونك في العالم على هذا النحو.

ومع ذلك، هناك دليل قوي على أن كامو يفهم بشكل عام شعور ظهور العبث على أنه عواطف وليس مزاجاً. فكر، على سبيل المثال، في أمثلة عن التعب والهلع في مواجهة الموت. كل من هذه الحالات الذهنية هي محددة نسبياً. كما أنها ردود على محفزات محددة ولها كائنات مقصودة محددة. عادةً ما يكون الإرهاق استجابة لأداء الفرد أو الاضطرار إلى القيام ببعض الأفعال الروتينية، مثل الاضطرار إلى الذهاب إلى العمل كل يوم. يميل الرعب إلى أن يكون رداً على مشاهدة إنسان موت الكائنات الحية الأخرى، وهو يدور حول حقيقة أنه يوماً ما سيموت هو أيضاً. يميل كل من التعب والرعب إلى أن يكونا شديدين للغاية (وإن كان بطرق مختلفة جداً)، ويترافقان مع بعض التغييرات السلوكية والوجدانية والإدراكية المحددة والقوية. على الرغم من أن التعب قد يرتبط بنقص في الدافع وضعف أشكال الغثيان، إلا أن رعب موت الشخص، غالباً ما يظهر في حالة من الذعر والتغيرات الفسيولوجية مثل زيادة معدل ضربات القلب وضغط الدم.

تشير هذه الاعتبارات إلى أنه عند الحديث عن «الشعور بالعبثية»، فإن كامو لم يشر فقط إلى الحالة المزاجية (الشعور بالعبث بالمعنى الضيق)، ولكن أيضاً إلى المشاعر (مظاهر الشعور بالعبثية). هو نفسه لم يوضح كيف يرتبط هذا المزاج وهذه المشاعر ببعضها البعض. هناك

طريقة طبيعية لفهم علاقتها. لا تؤثر الحالة المزاجية فقط على سلوك الناس وإدراكهم، وإنما أيضاً على الحالات الذهنية العاطفية الأخرى، بما في ذلك مشاعرنا. إذا كان الشخص في حالة مزاجية سيئة، على سبيل المثال، فإنه عرضة للغضب. وبالتالي يمكن فهم العلاقة بين المزاج العبثي والعواطف العبثية كعلاقة سببية. المزاج العبثي يعزز ظهور العواطف العبثية. إنه يشكل التربة، إذا جاز التعبير، التي تنمو فيها المشاعر العبثية (مثل التعب، والغثيان أو الرعب).

هناك على الأقل بعض الأدلة على أن كامو فهم العلاقة بين شعور العبث بالمعنى الضيق (أي الحالة المزاجية العبثية) ومظاهر هذا الشعور (أي المشاعر العبثية) بهذه الطريقة. في أسطورة سيزيف، على سبيل المثال، كتب أن العواطف التي يهتم بها «تأخذ معها عالمها الخاص» و«تضيء مع شغفها بعالم حصري تتعرف فيه على مناخها». يستلزم ذلك وجود عالم ومناخ معينين (مزاج معين) يصاحب هذه المشاعر عادةً.

العبث

تتمثل الخطوة الثانية في الحصول على فهم أفضل لتصور كامو لشعور العبث في تحليل استخدامه لمصطلح «العبث».

في «أسطورة سيزيف» The Myth of Sisyphus، يتسم العبث بطرق مختلفة، بعضها مربك وغير متماسك. تتمثل نقطة الانطلاق المفيدة في دراسة مفهوم كامو في ارتباطه بقضايا يصنفها الناس عادةً على أنها عبثية: حالة يتهم فيها شخص بريء بارتكاب جريمة فظيعة، وهي قضية يتهم فيها رجل فاضل بالرغبة في شقيقته، وحالة قام فيها رجل بمهاجمة مجموعة من

المقاتلين المدججين بالسلاح بيديه العاريتين. يقول كامو إن ما تشترك فيه كل هذه الحالات، هو أنها تنطوي على نوع معين من العلاقة، ألا وهو علاقة التوتر أو عدم التناسب. من ناحية، لدينا تطلعات الشخص. من ناحية أخرى، هناك عالم لا يلبي هذه الطموحات.

في حالات كهذه، يخلص كامو إلى أن جوهر مفهوم العبث، هو توتر بين تطلعات الإنسان وعالم مخيب للآمال:

«إنها عبثية» تعني «إنها مستحيلة» ولكن أيضاً: «إنها متناقضة».

يعتقد كامو أن مصطلح «العبث» لا ينطبق فقط على مواقف محددة في حياة البشر (مثل الحالات المذكورة أعلاه)، ولكن أيضاً على وجودهم ككل. البشر بطبيعتها يبحثون عن المعنى. إنهم يتوقون لأن يشكلوا مع العالم الذي يحيط بهم (الوحدة)، والتفاهم (الوضوح الفكري)، وأداء الأعمال ذات القيمة بأنفسهم ولأنفسهم (القيمة الجوهرية). ومع ذلك، في عالم يفتقد إلى وجود الله، يكون هذا البحث عن المعنى، لا يقابله إلا اللامبالاة أو حتى «العداوة».

عند هذه النقطة من جهده، يقف الرجل وجهاً لوجه مع الشيء غير العقلاني. يشعر بداخله بشوق للسعادة والسببية. ولدت هذه العبثية من هذه المواجهة بين الحاجة الإنسانية والصمت غير المعقول في العالم.

[...] العبث [...] هو تلك القطيعة بين العقل الذي يرغب، والعالم الذي يخيب أمله.

تشير اعتباراتنا السابقة إلى أن كامو تصور العبث على أنه توتر أو تباين بين بحث البشر عن المعنى وعالم مخيب للآمال. تم قبول هذا التفسير من

قبل معظم النقاد. لقد نشأ الخلاف بشكل أساسي فيما يتعلق بحالة العبث، أي مسألة نوع الشيء الذي زعم كامو الإشارة إليه عندما تحدث عن العبث بالمعنى المذكور أعلاه.

بشكل طبيعي، اعتبر كامو العبث داخلياً وجزئياً خارج الوعي الإنساني. إنه داخلي لأنه يستتبع حقيقة نفسية معينة (حقيقة أن البشر يبحثون عن المعنى). وخارجياً لأنه يستتبع حقيقة معينة حول العالم غير الواعي (حقيقة أن العالم لا يقدم مثل هذا المعنى). دعنا نسمي هذا التفسير لحالة العبث - التفسير «الميتافيزيقي» للعبثية (لأنه ينطوي على ادعاء حول الواقع الأساسي للعالم).

في الآونة الأخيرة، اقترح بعض النقاد استبدال التفسير الميتافيزيقي بظاهرة نفسية. وفقاً لهذه التفسيرات البديلة، اعتبر كامو العبث مكاناً كاملاً داخل الوعي. يقول آفي ساغي، على سبيل المثال، إن العبث يتكون من البشر الذين يختبرون أنفسهم بحثاً عن المعنى، وأن العالم لا يقدم معنى. ووفقاً لماثيو باكر، فإن العبث يُفهم على أفضل وجه، على أنه توتر بين التوق إلى المعنى بمعنى الوحدة، ورفض هذه الوحدة من خلال الإصرار على الهوية والاستقلال.

التفسيرات الظواهرية والنفسية لحالة العبث، قد تسفر عن أطروحات مثيرة للاهتمام وصادقة حول السمات المركزية للوعي الإنساني. كما أنها مدعومة بملاحظات كامو التمهيدية في أسطورة سيزيف. هناك يذكر أنه سيكون مهتماً بـ«الحساسية العبثية» بدلاً من «الفلسفة العبثية»؛ إنه يحاول وصف «مرض فكري»؛ وأن «الميتافيزيقا

وليس الإيمان» تشارك في مشروعه. ومع ذلك، بالنظر إلى النهج المحافظ الذي أفترضه في هذه الورقة، فإن التفسير الميتافيزيقي هو الأكثر ملاءمة بشكل عام. هذا لأنه يدعم بشكل أفضل من قبل جميع العبارات الأخرى التي أدلى بها كامو عن العبث.

يتم تقديم السبب الأول لدعم التفسير الميتافيزيقي، من خلال تعريفات كامو الصريحة للعبثية. يتناقض كامو هناك مع «صمت العالم غير المعقول» مع البشر الذين يتوقون إلى السعادة لسبب «داخلهم»؛ و«العالم المخيب للآمال» مع «الذهن الذي يرغب». لماذا يصف صراحة أحد هذين الجزأين من العلاقة العبثية بأنه وعي داخلي («داخل» البشر، «العقل»)، عندما يعتقد المرء حقيقة أن هذا ينطبق على كليهما؟ هناك تعريفان آخران للعبث، يقترحان بشكل أوضح التفسير الميتافيزيقي. العبث، وفقاً لهذه التعريفات، «ليس في الإنسان ولا في العالم، وإنما في وجودهما معاً»، ويتكون من «الانفصال بين العالم» و«ذهني».

إن التفسير الميتافيزيقي لحالة العبثية، يتضح أيضاً أنه أكثر التصاقاً بكامو، في ضوء الأدلة التي قدمها لصالح وجود العبثية. إذا كان كامو قد فهم الادعاء بأن العالم لا يستجيب لبحث البشر عن المعنى، بالمعنى الظاهر أو النفسي، فعليه أن يجادل بأن البشر يختبرون العالم على أنه لا يقدم معنى أو أنهم يرفضون المعنى. في الواقع، ومع ذلك، فإن وجود العبث له ما يبرره بشكل رئيسي من خلال التماس الحقائق حول العالم الخارجي. فيما يتعلق بالوحدة، على سبيل المثال، يجادل كامو بأنه لا يمكن تحقيق هذه الحالة بسبب الفجوة بين وعينا الخاص بنا والعالم غير الواعي من حولنا («هذا

السبب المضحك هو ما يميزني عن الخلق كلهم». ولتفسير أن البشر لا يمكنهم تحقيق الوضوح الفكري، يشير كامو إلى فشل العلم المفترض في شرح الظواهر المتنوعة في العالم من خلال مبدأ واحد موحد.

أخيراً، التفسير الميتافيزيقي لحالة العبث، مدعوم أيضاً باعتبارات كامو الشهيرة حول الأسطورة الكلاسيكية لسيزيف. حكم على سيزيف بدحرجة الصخرة إلى قمة الجبل، مراراً وتكراراً. وفقاً لكامو، فإن هذه الجملة هي التي توضح العبث. تماماً كما يهدف سيزيف دون جدوى إلى تثبيت صخرته على قمة الجبل، يسعى البشر بلا جدوى من أجل المعنى. لاحظ، مع ذلك، أن سيزيف الطموح لا يشعر بالإحباط، أي أنه يحاول مع أن الصخرة تنزلق مراراً وتكراراً، أو بمعنى أن هو نفسه (بغير وعي) لا يريد تحقيق هدفه. بالأحرى، تم وضع سيزيف في عالم لا يمكن فيه إنجاز مهمته على أنها حقيقة موضوعية.

لإعادة التأكيد، لا تهدف هذه الاعتبارات إلى استبعاد أي من الأفكار التي توفرها التفسيرات الظاهرة والنفسية للعبث. ومع ذلك، فقد ظهر أن التفسير الميتافيزيقي يحقق عدلاً أكبر لما يعتزم كامو التعبير عنه. فيما يلي، سأفترض أن العبث داخلي جزئياً، وجزئياً خارج عن الوعي الإنساني. إنه يدل على وجود علاقة بين البشر الذين يبحثون عن المعنى، والعالم غير الواعي الذي يفشل في تقديم هذا المعنى.

شعور العبث

فهم كامو مصطلحي «الشعور» و«العبث». اتضح أنه في سياق مناقشته لشعور العبثية، يستخدم كامو مصطلح «الشعور» للإشارة إلى

كل من المزاج والعواطف التي يميل هذا المزاج إلى إظهارها؛ ويعني بمصطلح «العبث» وجود تباين في الطبيعة بين البحث عن المعنى، والعالم الذي لا يستجيب إلى هذا البحث. لكي نفهم تماماً تصور كامو لشعور العبث، يجب أن نجمع أخيراً هذين الاستنتاجين معاً. بسبب ما يتعلق بالعبثية التي يعتبرها كامو الحالة المزاجية، والعواطف على أنها أمزجة عبثية (أي، كمشاعر العبث بالمعنى الضيق) ومشاعر عبثية (مثل ظهورات هذا الشعور)؟

كامو غامض ومختصر إلى حد ما عندما يناقش شعور علاقة العبث بالشعور. والأهم من ذلك أنه يوضح أن (١) شعور العبث مختلف عن العبث، (٢) هذا الشعور «يضع الأساس» للعقل، و(٣) شعور العبث يسبق العبث:

شعور العبث ليس، رغم ذلك، فكرة العبث.

إن (شعور العبث) تضع الأسس له [فكرة العبث]، وهذا كل شيء.

اقترح بعض العلماء مؤخراً أن شعور العبث يرسي الأساس ويسبب العبث، بمعنى أن هذا الشعور يشكل العبثية. يقول آفي ساغي، على سبيل المثال، إن كامو تصور مفهوم العبث على أنه مجرد «تفسير» لشعور العبث. ويرى ماثيو بوكر أن «الشعور بالعبث هو الذي يكمن وراء الفكرة»، وبالتالي يجب فهم الفكرة بعبارات «عاطفية».

هذا التفسير يتناقض بوضوح مع بيان كامو أعلاه بأن شعور العبث يختلف عن مفهوم العبث. علاوة على ذلك، على الرغم من توافقه مع التفسيرات الظواهرية والنفسية، فإنه لا يتوافق أيضاً مع التفسير الميتافيزيقي

لحالة العبث. بناءً على هذا التفسير، لا يمكن لشعور العبث أن يشكل العبثية. يمكن أن تشكل المزاجية أو العواطف (جزئياً) البحث الإنساني عن المعنى. لكن كيف يمكنهما أيضاً أن يجعلا العالم الذي لا يدرك هذا البحث، هو الإجابة عن هذا البحث (أي أن البشر لا يستطيعون تحقيق الوحدة والوضوح الفكري والقيمة الجوهرية).

تشير المشكلات المذكورة أعلاه إلى أنه بالنظر إلى المقاربة المفترضة في هذه الورقة، فإن العلاقة بين شعور العبث والعبث مفهومة بشكل أفضل. هناك سبب خاص للاعتقاد بأن كامو اعتبر أن الشعور بالعبث يرسي الأساس للعقل بالمعنى المعرفي. المزاجية والعواطف، تؤدي إلى اعتبارها عبثية، فقط إذا كانت تعزز اكتشاف العبث، أي إذا جعلت البشر يدركون أنهم يسعون لتحقيق المعنى، لكن لا يمكنهم أبداً تحقيق ذلك.

من المزايا المهمة لهذا التفسير المعرفي للشعور بالعبث، أنه يتماشى مع جميع عبارات كامو أعلاه حول العلاقة بين شعور العبث والعبث. يفسر شعور العبث والعبث بأنه متميز؛ يستلزم ذلك أن شعور العبث «يضع الأساس» للعقل (بالمعنى المعرفي)؛ ويترتب على ذلك أن شعور العبث يسبق العبث (بمعنى أنه يسبق اكتشافه).

التفسير المعرفي مدعوم أيضاً بتوصيفات كامو لشعور مظاهر العبث. النظر، على سبيل المثال، في مناقشته لمشاعر التعب. وفقاً لكامو، يميل التعب إلى إثارة أو طرح سؤال «لماذا؟»: لماذا الاستيقاظ مبكراً في الصباح؟ لماذا تأخذ نفس الحافلة القديمة إلى نفس المكتب القديم؟ لماذا تفعل نفس العمل الممل كل يوم؟ عند التفكير في هذه الأسئلة، قد يدرك البشر أنه لا يوجد في الواقع إجابة نهائية مرضية. نحن نفعل أشياء من أجل أشياء أخرى. لكن

أياً من أفعالنا هو وسيلة لتحقيق غاية جيدة في حد ذاتها؟ من خلال توجيه انتباهنا إلى هذه الحقيقة، فإن التعب قد يعزز إدراكنا للعبث، وقد يقودنا في النهاية إلى تطوير موقف تمرد تجاهه.

الصعود، الترام، أربع ساعات في المكتب أو المصنع، الوجبة، الترام، أربع ساعات من العمل، الوجبة، النوم، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة والسبت، وفقاً للإيقاع ذاته - يمكن اتباع هذا المسار بسهولة معظم الوقت. لكن في يوم من الأيام، يظهر «السبب» ويبدأ الشعور بالضيق والدهشة. [...] يأتي الإرهاق في نهاية أعمال الحياة الميكانيكية، لكنه في الوقت نفسه يفتح دافع الوعي. ما يلي ذلك هو العودة التدريجية إلى السلسلة أو أنها الصحوة النهائية.

الميزة الأخيرة للتفسير المعرفي للشعور بالعبث، هي أنه يتماشى أيضاً مع أعمال كامو الأدبية، خاصةً مع «الغريب» و«كاليجولا». في كل من هذين العملين، يواجه الأبطال موتاً قريباً. يتم إطلاع ميرسول Meursault على وفاة والدته؛ يعلم كاليجولا أن شقيقته وعشيقته قد توفيتا. بعد هذه الأحداث، يتوصلون إلى علاقة مختلفة تماماً عن العبثية. بينما فشل ميرسول في اكتساب أي وعي كبير، ويستمر ببساطة في اتباع روتينه اليومي، يرى كاليجولا Caligula العبث على الفور تقريباً. «الرجال يموتون وليسوا سعداء»، ويعلن: و«لا شيء يدوم». ما الذي يجعل هذا الاختلاف في وعي ميرسول وكاليجولا يسمى العبث؟

في رأيي، أي تفسير شامل لهذه الحقيقة، يجب أن يروق للمشاعر العبثية المتمثلة في رعب الموت. فشل ميرسول في رؤية العبث، لأنه يتهرب بفعالية

من هذه المشاعر. على سبيل المثال، يرفض أن ينظر إلى جثة والدته، ويصرف انتباهه عن علاقة مع زميلته السابقة ماري. فقط عندما يقتل شخصاً عن طريق الخطأ ويتحدى قسيس السجن بقوة التفكير في الحياة بعد الموت، تظهر مشاعر الرعب (والغضب أيضاً). هذه المشاعر تجعل ميرسول أخيراً يرى العبثية. كاليجولا، من ناحية أخرى، لم يكن يرف له جفن أمام الموت في البداية. إنه يتفحص جثة دروسيلا بل يمسها. «الرجال يموتون» و«لا شيء يدوم» - إنه رعب الموت الذي يمكّن كاليجولا من الكشف عن رغبته في المعنى، باعتباره رغبة في المستحيل، والتعرف على العبثية.

استنتاج

ماذا يقصد كامو عندما يتحدث عن شعور العبث؟ الإجابة على هذا السؤال ليست بالطبع علماً دقيقاً. في هذه الورقة افترضت منهجاً تقليدياً. حاولت إعادة بناء مفهوم كامو لشعور العبث بطريقة تفي بأقواله قدر الإمكان. اتضح أن الشعور بالعبث في هذا النهج، ليس شعوراً بالمعنى الدقيق للكلمة. إنه بالأحرى تزامن بين الحالة المزاجية والعواطف التي يميل هذا المزاج إلى إظهارها. علاوة على ذلك، فإن كلاً من الحالة المزاجية والعاطفية تعتبر عبثية بحكم تشجيعها لاكتشاف العبث، أي اكتشاف أن البشر يبحثون عن معنى، لكن العالم لا يستجيب إلى هذا البحث.

في هذا التفسير المعرفي، يعزو كامو أهمية نظرية أقل لشعور العبثية من بعض التفسيرات البديلة. لكن يتبين أن شعور العبث مهم للغاية بالمعنى العملي.

يقول كامو إن الطريقة الوحيدة لقيادة حياتنا العبثية بكرامة وربما بسعادة، هي تبني موقف متمرد والحفاظ عليه. يجب أن نعترف بالعبثية

كحقيقة، لكن في الوقت نفسه نعتبرها عاراً أو ظلماً يجب تحديه. من أجل التمكن من تطوير مثل هذا الموقف، يجب على المرء أولاً أن يدرك أن العبث موجود. هناك العديد من الظروف التي قد تعزز هذا الوعي. يبدو أن الأكثر شيوعاً وفعالية هو بالضبط ما وصفه كامو تحت عنوان الشعور بالعبث. يتعرف الناس بشكل أساسي على أنهم يسعون جاهدين لتحقيق معنى عندما يكونون في مزاج عبثي ولديهم مشاعر عبثية (مثل التعب أو رعب الموت).

كما ذُكر في المقدمة، فإن أنصار الآراء العدمية في الفلسفة التحليلية أهملوا إلى حد بعيد البعد العاطفي لمعنى حياتنا المزعوم. تعتبر حجج كامو للأهمية المعرفية - وبالتالي العملية - لهذا البعد منطقية، ومفهومه متوافق أيضاً بشكل خاص مع الأساليب التحليلية. على سبيل المثال، تماماً مثل العديد من الفلاسفة التحليليين، فإنه يفترض نظرية معرفية للمشاعر، والتي تعمل بها العواطف (من بين أمور أخرى) على تمثيل الحقائق. لذلك أعتقد أن العدميين المعاصرين يمكن أن يستفيدوا بشكل كبير من النظر في أفكار كامو وتوضيحها حول شعور العبثية.

ملاحظات

١-أنكر كامو صراحة أنه كان فيلسوفاً ووجودياً على وجه الخصوص. على أساس الفهم العادي لهذه المصطلحات، فإن التصنيف أعلاه مناسب بالتأكيد.

٢-العلاقة بين فلسفة كامو المبكرة والمتأخرة مثيرة للجدل. جادل بعض المعلقين بأن فلسفته المبكرة والمتأخرة تشكل «وحدة»، أو أنها مرتبطة على الأقل من خلال «التواصل الفكري».

٣-هناك فجوة كبيرة بين وجهات نظر كامو حول طبيعة العبث، والنتائج المعيارية لها قبل السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية وآرائه بعد هذا الوقت. أحد الأسباب التي جعلت كامو يتعامل بشكل رئيسي مع شعور العبث في عمله المبكر، هو أن هذا العمل يركز أكثر على الفرد وليس على المجتمع.

٤-جادل ويليام جيمس (١٨٨٤) وكارل لانج (١٨٨٥) بأن أنواعاً معينة من المشاعر ليست فقط جوانب من المشاعر، ولكنها متطابقة معها. يرفض الباحثون العاطفيون المعاصرون هذا الرأي.

في حين أن هذه الميزات مقبولة على نطاق واسع، إلا أن قبولها ليس عالمياً. على سبيل المثال، ينكر علماء التقليد النفسي التحليلي أن المشاعر متعمدة. وقد نفى بعض مؤيدي ما يسمى نظريات «المعرفة» أن العواطف أيضاً ترتبط بشكل وثيق بالإجراءات.

٥-لاحظ أن المعنى الذي يعتبره كامو الوحدة والوضوح الفكري، هو أمر غير قابل للتحقيق وهو شعور مثالي ومستمر. وبصفة خاصة في أعماله الأولى، يعترف بأن الوحدة والوضوح الفكري يمكن تحقيقهما بشكل غير كامل ومؤقت.

٦-تتمتع كل من الحالة المزاجية والعاطفية بطابع هائل، بمعنى أن هنالك شيئاً ما يشبه هذه الحالات. إذا كانت بعض الحالات المزاجية والعواطف مصحوبة بتجربة البحث دون جدوى عن المعنى، فبإمكانها بالتالي أن تشكل الغرابة في تجربة البحث عن المعنى دون جدوى. أنواع

معينة من المشاعر يمكن أن تشكل أيضاً عبئاً توتراً بين بحث البشر عن الوحدة ورفضهم لهذه الوحدة.

٧-إن اكتشاف كاليجولا العبث، لا يعني أنه استخلص النتائج الصحيحة من هذا الاكتشاف. يرفض كامو بوضوح عدمية كاليجولا المدمرة.

التأقلم مع عبثية الحياة

جاك مادن

هل شعرت سابقاً - بغض النظر عما تفعله - أنك لا تصل إلى أي مكان؟ أن كل ما تبذله من جهود هو أمر غير مجدٍ؟ وبغض النظر عن كيفية تصرفك، فقد ينتهي بك الأمر إلى الرجوع من حيث بدأت.

حسناً انظر إلى سيزيف. إنه البطل السيئ الحظ في الأسطورة اليونانية القديمة، حيث أزعج الآلهة، وأدين - إلى الأبد - بدفع صخرة إلى أعلى الجبل، وستستمر الصخرة في التدحرج إلى الأسفل بعد وصولها إلى القمة. في كل مرة، يجب على سيزيف النزول والبدء من جديد. ويجب عليه القيام بذلك مراراً وتكراراً - إلى الأبد.

لا يبدو هذا رائعاً، أليس كذلك؟ رجل مسكين. الحمد لله أن حياتنا ليست هكذا...

في الواقع، اعتقد المفكر الفرنسي ألبير كامو في القرن العشرين، أن أسطورة سيزيف هي استعارة رائعة لوجودنا اليومي.

يكتب كامو في كتابه المليء بالعقل «أسطورة سيزيف»، «العامل اليوم، يعمل كل يوم في حياته في نفس المهام، وهذا المصير ليس أقل عبثية [من سيزيف]».

نستيقظ ونكدح وننام. نستيقظ ونكدح وننام. نحن ندفع الصخرة، وهي تتدحرج إلى أسفل، ثم نبدأ من جديد. وتشير هذا الدنيوية الدورية إلى

العبثية الأساسية للحالة الإنسانية: طوال هذا الوقت كنا نظن أننا نحرز تقدماً - نحن جميعاً لسنا سوى سيزيف، ولكل منا صخرة يحملها.

وراء العبث اليومي

بالنسبة إلى كامو، ليس التشابه بين سيزيف وبين جداول أعمالنا اليومية المتكررة، هو الذي يجعل وجودنا عبثياً؛ إنه يذهب أبعد من ذلك. يعتقد كامو أن وضع سيزيف يجسد تماماً مجمل المساعي الفكرية والفلسفية للإنسان.

كيف ذلك؟ حسناً، يقول كامو إن المفارقة تكمن في صميم التجربة الإنسانية. من ناحية، نحن بطبيعتنا حيوانات فضولية تتوق إلى المعنى والهدف - وهذا سبب أساسي لوجودها. من ناحية أخرى، لسنا على استعداد لتلبية هذا التوق بشكل كاف - يرفض كامو كل محاولة علمية أو ميتافيزيقية أو دينية للقيام بذلك.

بعبارة أخرى، على الرغم من التوق إلى التفسير النهائي للوجود، حسب كامو، فإن مثل هذا التفسير سيكون دائماً خارج فهمنا.

وهذا هو الفضاء اليائس الذي نشغله - بين دوافعنا لطرح الأسئلة العميقة وعدم قدرتنا على الإجابة عليها - التي يصفها كامو بأنها «عبثية». ومن هنا جاءت صورة سيزيف: نحن نبني النظريات، وهي حتماً تنهار، ونبدأ من جديد بشكل إلزامي.

عواقب العيش في العبثية

يرى كامو أننا نحتل هذه المساحة العبثية من التوق، ولكننا لم نجدها مطلقاً، يمكن القول إن جميع اهتماماتنا تقريباً لا تهم، لأنه بهذا الشكل، تصبح كل

معتقداتنا وأفكارنا وإجراءاتنا تجاه العالم تافهة وبلا معنى. كلنا سيزيف، وندحرج صخورنا بلا معنى. لقد تحجرنا في العبث مثل الحشرات في العنبر.

بهذه الصورة، لا يزال هناك قلق واحد، وهو كبير.

يقول كامو: «هناك سؤال فلسفي واحد جاد حقاً، وهو: الانتحار. إن تقرير ما إذا كانت الحياة تستحق العيش أم لا، هو الإجابة على السؤال الأساسي في الفلسفة».

باختصار، وفقاً لكامو: نحن نعيش في عبثية، لا يمكننا الهروب من هذا العبث، و- نظراً لحقيقة أننا محكوم علينا تماماً بعدم فهم الطبيعة النهائية للوجود - الفعل الوحيد الذي يمكن أن يكون له أي تأثير على حالتنا هو الانتحار.

حتى الآن، الحياة قاتمة للغاية - هناك عدم جدوى، انتحار. من وجهة نظر كامو، فإن الإجابة على السؤال حول ما إذا كانت الحياة تستحق العيش أم لا، تبدو بالتأكيد تشير إلى اتجاه واحد...

سيزيف كبطل رومانسي

لكن انتظر! قف! كما ترى، بدلاً من أن تكون إدانة حزينة لكيفية عيشنا، فإن كامو يرى في الواقع في مجهودات سيزيف صعوداً ونزولاً في الجبل، على أنها انتصار.

يقول كامو إن سيزيف هو دليل على حقيقة أننا يمكن أن نعيش «متيقنين من مصير ساحق، من دون التوقف الذي يجب أن يصاحب ذلك». سيزيف يظهر لنا القوة والمرونة في وجه العبثية: «إنه يعرف نفسه أنه سيد أيامه».

بعد سقوط الصخرة - مما يؤكد عدم جدوى مشروعه - يتابع سيزيف بعد ذلك. يعتقد كامو أن هذه هي اللحظة التي يكون فيها مصير سيزيف عبثياً تماماً، حيث يصل إلى الوعي المأساوي الكامل.

هو يتجول أسفل سفح الجبل، ويدرك المدى الكامل لحالته البائسة، ولكن «كل فرحة سيزيف الصامتة موجودة فيها. مصيره ينتمي إليها. صخرته هي شيئه».

يمكننا ببساطة أن نخدر أنفسنا بترفيه طائش للتعامل مع الكد الذي لا مفر منه ومعاناة الحياة. لكننا لن نحقق السعادة الحقيقية أو الغرض من هذا النوع من الهرب. بدلاً من ذلك، إذا - كما يتخيل كامو، سيزيف - نحن نتحمل مسؤولية حياتنا الخاصة، وإذا تجنبنا الحلول الخاطئة وتقبلنا شرطنا، فإننا نشيد الهدف - بل السعادة - في مواجهة العبثية.

تماماً كما اختار سيزيف السير وراء صخرته، وبالتالي قبول عدم جدوى عقوبته وإعادة تشكيل مصيره المأساوي، يقول كامو إننا أصبحنا على قيد الحياة تماماً من خلال اختيار الاعتراف بخيبة الأمل من الحالة الإنسانية، والاستمرار فيها رغم كل شيء. من خلال الاقتراب من الحياة بوعي كامل، وحيوية وكثافة، من خلال أن نكون سادة مصيرنا العبثي - هذه هي الطريقة التي نجيب بها على سؤال الانتحار، وكيف نتحدى العبثية ونعرف معنى العيش.

في النهاية، في الوقت الذي يعتقد فيه كامو أننا محكوم علينا بالعبث بسبب الحالة الإنسانية، فإن وجهة نظره هي أن هذا ليس بالأمر السيئ بالضرورة - في الحقيقة فقط من خلال مواجهة هذا العبث والاستمرار البطولي في الحياة الحقيقية، يمكن أن نكون أحياء.

الفلسفة الانتحارية

جيفري ميلر

كان ألبير كامو (١٩١٣-١٩٦٠) فيلسوفاً جزائرياً - مؤلفاً وصحفياً وكاتباً مسرحياً وناشطاً. ذكر كامو في كتابه «المتمرد» The Rebel أن حياته كلها كرست لمعارضة العدمية، وهو مصطلح يستخدم عادة للإشارة إلى فكرة أن الحياة تفتقر إلى القيمة الجوهرية أو المعنى الموضوعي.

هذا الانشغال بالعدمية سيحدد كتابة كامو، والتي كانت بشكل أو بآخر مهتمة بمهمة توفير المعنى والقيمة للحياة.

سوف يستمر كامو في التصريح بأنه «لا يوجد سوى سؤال فلسفي واحد جاد حقاً، وهو: الانتحار»، وهو طرح السؤال التالي: هل هناك أي قيمة للحياة؟ هذا يوضح مفهوم كامو العملي للفلسفة؛ حيث إن هدف الفلسفة هو تحديد كيفية العيش بشكل جيد.

كامو شخصية رئيسية في الوجودية، بغض النظر عن إنكاره لكونه وجودياً.

عند النظر في فلسفة كامو، سأركز على الآراء التي تم تصويرها في أسطورة سيزيف، والتي تشكل أساس الموقف الفلسفي للعبثية.

عبثية كامو تبدأ بمبدأين أساسيين. الفرضية الأولى هي أن البشر لديهم رغبة متأصلة في اكتشاف معنى نهائي للحياة وكل الوجود. بشكل عام، يسعى هذا الاتجاه إلى جعل الكون مفهوماً من خلال محاولات الكائن البشري لتقليص العالم إلى مبادئ تبسيطية يمكن فهمها من خلال التفكير -

ولا نجد أي شكل أعلى من هذا الاتجاه، إلا عندما يتم اقتراح مبدأ واحد كشرح لجميع الظواهر. تتحدث العقائد الدينية التي لا تعد ولا تحصى والأنظمة الفلسفية التي تم تصوّرها على الإطلاق، عن مدى انتشار هذا الإنسان الذي يسعى إلى المعنى بشكل مستمر. في سعيه للعيش وفقاً لمبادئ المفهوم اليهودي المسيحي عن الله أو في قبول نظرية أشكال أفلاطون، يجد الإنسان إجابة على المعنى النهائي للحياة والوجود.

فرضية المعنى

في الحقيقة إن هذه الأنظمة الفلسفية والدينية، يمكن العثور عليها في جميع الثقافات في جميع أنحاء العالم وعلى مر التاريخ، وهي تدل على الطبيعة الكامنة لهذه الحاجة الإنسانية للمعنى. يمكننا حتى أن نجد هذا الميل موجوداً في مجال العلوم الطبيعية – الرغبة في اختصار الظواهر الفيزيائية إلى مجموعات أبسط وأصغر من المبادئ حتى يتم اكتشاف مبدأ الواقع الوحيد الذي يحكم الواقع، وهو مثال على الميل البشري إلى البحث عن المعنى النهائي. يمكننا أن نشير إلى فرضية فلسفة كامو حول العبث باعتبارها فرضية المعنى النهائي.

نجد جذر فرضية المعنى النهائي لكامو الواردة في المقطع التالي:

«إن رغبة العقل الأعمق، حتى في عملياته الأكثر تفصيلاً، تشبه شعور الإنسان اللاواعي في وجه عالمه: إنها إصرار على الألفة، وهي متطلعة بشغف إلى الوضوح... إذا كان الفكر قد اكتشف في المرايا المتلألئة الظواهر الأبدية التي تكون قادرة على اختصار الوجود في مبدأ واحد، عندئذٍ سيُعتبر فرحاً فكرياً أن تكون أسطورة المبارك

مجرد تقليد عبثي. يوضح هذا الحنين للوحدة، تلك الرغبة في المطلق، الدافع الأساسي للدراما الإنسانية».

يوضح كامو بإيجاز فرضيته الثانية في الاقتباس التالي من أسطورة سيزيف: «هذا العالم بحد ذاته غير معقول، هذا كل ما يمكن قوله». يمكننا تفسير هذا بطريقتين. أول تفسير ممكن يحدد موقع كامو كمتخذ لموقف أن العالم لا يطيع المبادئ المنطقية. هذه القراءة تناسب كامو بشكل مباشر في التقاليد الفلسفية للعقلانية.

إذا كان العالم لا يطيع المبادئ المنطقية، فإن معرفة العالم لا يمكن تحقيقها من خلال الجدال العقلاني. إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكننا استخدام العقلانية لتحديد المعنى النهائي للحياة والوجود - لا يمكننا أبداً تلبية ميلنا الأساسي إلى المعنى النهائي. تصبح الفلسفة - على الأقل في الطريقة التي تمارس بها تقليدياً وفقاً لاستنتاجات مستمدة من أماكن العمل من خلال خطوات مقبولة منطقياً - مشروعاً لا طائل منه، لأن العالم قد لا يطيع المبادئ المنطقية، وبالتالي، سيهرب من حدود أي محاولة منطقية.

يوضح كامو بإيجاز فرضيته الثانية في الاقتباس التالي: «هذا العالم بحد ذاته غير معقول، هذا كل ما يمكن قوله».

التفسير الثاني هو فهم بيان كامو من حيث العقلانية مع الاعتراف بحدوده، أي أن العقلانية تدرك أنها لا تستطيع أن تثبت أن العالم عقلاني بالضرورة، وبالتالي، يجب أن ندرك أن بعض الأشياء قد لا تطيع المبادئ العقلانية. في هذه القراءة، يدرك كامو ببساطة أن العالم قد يكون غير عقلاني، بدلاً من التأكيد على أنه غير عقلاني.

للقيام بذلك، لا يدعي كامو أنه من المستحيل بطبيعته تحديد المعنى النهائي للحياة أو الوجود، كما ادعى في التفسير السابق. بدلاً من ذلك، ينص هذا التفسير على أنه لا يمكننا أن نعرف على وجه اليقين أننا حددنا المعنى النهائي للحياة والوجود. إذا كان العالم عقلانياً، فربما يمكننا أن نستمد المعنى النهائي للحياة - ربما تم القيام به بالفعل!

ومع ذلك، يجب على الفرد العقلاني الذي يتصرف بحسن نية، أن يعترف أيضاً بأن العالم ليس بالضرورة كياناً عقلانياً، وإذا كان الأمر كذلك، فإن أي حجة عقلانية تسعى لإظهار المعنى النهائي قد تكون خاطئة، بغض النظر عن مدى صحة الحجج ومدى صلاحي منطق الحجة. من الممكن استخلاص المعنى النهائي من خلال العقل، ولكن لدينا دائماً سبب للشك في مثل هذه الاشتقاقات، لأن العالم قد يكون غير عقلاني، وبالتالي، قد يكون المعنى النهائي خارج نطاق الإدراك العقلاني.

توضيح واحد ضروري. في الادعاء بأن العالم غير عقلاني - في التفسير الأول - أو أنه من الممكن ببساطة أن العالم غير عقلاني - في التفسير الثاني - لا يجادل كامو بأنه من المستحيل تماماً التأكد من المعنى النهائي. بدلاً من ذلك، يقول كامو إنه من المستحيل إنسانياً التأكد من المعنى النهائي. ربما يستطيع إله أو كمبيوتر فائق أو أي كيان آخر لا يمكن تصوره، اختراق الإجابة على سؤال المعنى النهائي، لكن هذا يتجاوز الإنسان وقدراته العقلانية.

يمكننا أن نشير إلى هذا المبدأ الثاني - في أي من التفسيرين اللذين أشرت إليهما - باعتباره مبدأ العالم غير العقلاني.

في التفسير السابق، يشير مبدأ العالم غير العقلاني إلى الادعاء بأن العالم غير منطقي. في التفسير الأخير، يشير مبدأ العالم غير العقلاني إلى الادعاء بأننا لا

نستطيع أن نعرف على وجه اليقين أن العالم يطيع مبادئ عقلانية - هناك دائماً احتمال أن يكون العالم غير عقلاني، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكننا أن نكون متأكدين من أن محاولاتنا لاستخلاص المعنى النهائي للحياة كانت ناجحة.

تتضح فرضية العالم غير العقلاني في الاقتباسين التاليين:

«قد يدعي عكس ذلك، لسبب أعمى، أن كل شيء واضح؛ كنت أنتظر البرهان ليكون ذلك على حق. لكن على الرغم من العديد من القرون الطنانة، ووجود الكثير من الرجال البليغين والمقنعين، أعرف أن هذا غير صحيح. على هذه الطائرة، على الأقل، لا توجد سعادة إذا لم أكن أعرف ذلك. هذا السبب العالمي، العملي أو الأخلاقي، تلك الحتمية، تلك الفئات التي تشرح كل شيء، تكفي لجعل الرجل الكريم يضحك». (أسطورة سيزيف).

«أستطيع أن أتطلع إلى هذا العالم، وأنا أحكم بأنه موجود. هناك تنتهي معرفتي، والباقي هو البناء». (أسطورة سيزيف).

قد يكون الفيلسوف الصارم غير راضٍ عن كامو في هذه المرحلة، لأن كامو لا يفعل سوى القليل لإظهار سبب قبولنا لمبانيه. بالتأكيد يبدو بديهياً أن البشر يسعون بطبيعتهم إلى الحصول على معنى نهائي في الحياة. يوفر انتشار الأنظمة الدينية والفلسفية التي تسعى إلى تحديد الطريقة الحقيقية للعيش عبر الثقافات وعلى مدار الوقت، بعض الدعم لفرضية المعنى النهائي.

ومع ذلك، فإن هذا بالتأكيد لا يثبت دون شك أن البشر لديهم حاجة متأصلة للمعنى النهائي - من الممكن أن يكون هناك تفسير مرض آخر لانتشار الأنظمة الدينية والفلسفية التي تحاول اكتشاف أو إنشاء معنى نهائي.

التفسير الأول لفرضية العالم غير العقلاني - الفكرة القائلة بأن العالم غير منطقي بطبيعته - يذهلنا على أنه غير بديهي. التفسير الثاني الذي يدعي أنه لا يمكننا أبداً معرفة ما إذا كان العالم يطيع مبادئ عقلانية أكثر سهولة، على الأقل بالنسبة إلى الشك. يشير كامو إلى عدم قدرة العقول العظيمة عبر التاريخ المكتوب، على اكتشاف المعنى النهائي من خلال العقلانية كمبرر لوجهة النظر المتشائمة للعقل التي تسود فرضية العالم غير العقلاني. مرة أخرى، هذا بعيد كل البعد عن إثبات فرضية العالم غير العقلاني. نرى الضغط الأدبي والفني عند كامو هنا، الذي يذكر أفكاره بدلاً من محاولة إثباتها دون أدنى شك.

نجد بين مبدأي كامو - الفرضية النهائية للمعنى، وفرضية العالم غير العقلاني - توتراً لا يمكن حله. فرضية المعنى النهائي محبطة باستمرار من قبل فرضية العالم غير العقلاني. البشر يبحثون باستمرار عن المعنى النهائي في الحياة والوجود. ومع ذلك، فإن احتمال وجود عالم غير عقلاني إلى الأبد، يلقي ظلالاً من الشك على أي محاولة لاشتقاق هذا المعنى النهائي.

وهكذا، فإن الإنسان محبط باستمرار من تحقيق حاجته المتأصلة في المعنى. هذه العلاقة المليئة بالتوتر هي فكرة العبثية التي تحدد فلسفة كامو. بمعنى آخر «العبث هو مواجهة هذا العالم غير العقلاني والتوق الجامح للوضوح الذي يتردد صداه في قلب الإنسان» (أسطورة سيزيف).

العبث هو الصراع بين الرغبة الإنسانية ذاتها في البحث عن إجابة عن سؤال المعنى النهائي في الحياة، والكون الذي يحبط كل الجهود لتحقيق هذه الرغبة، ويبقى غير مبال بالعديد من الأفراد.

مكتبة
t.me/t_pdf

إن العبثية علاقة ارتباطية بشكل أساسي، وليست خاصية للكون أو للإنسان ككيانات فردية: إنها علاقة تحدث بين كائن يسعى إلى المعنى النهائي، وستظل محبطة دائماً في تحقيق إجابة معينة. في السعي المستمر للحصول على معنى نهائي معين، يحاول الإنسان باستمرار الخروج من العبث، ويحاول باستمرار التغلب على إحباط جهوده من أجل المعنى النهائي من خلال عالم غير مبال وغير مفهوم.

يدعي كامو أنه حالما يتم التعرف على العبث «يصبح شغفاً، وأكثر إرهاقاً للجميع» (أسطورة سيزيف).

تثبت فكرة العبث هذه أنها أساس فلسفة كامو، والتي يشار إليها أيضاً باسم العبثية. من هذا المفهوم الأساسي، يحدد كامو طرقاً متعددة يمكننا من خلالها أن نتعامل مع العبثية. يمكننا الهروب من خلال الانتحار الجسدي أو الانتحار الفلسفي، الذي يرقى إلى قفزة الإيمان التي تنطوي على تعليق العقلانية.

يمكننا أيضاً أن نعيش متمردين على العبث، والذي ينطوي دائماً على إدراكنا لعدم وجود معنى نهائي لحياتنا وموتنا الذي لا مفر منه. هذا الخيار الأخير هو حل كامو المطلوب. يمضي كامو ليجسد طريقة حياة تعتمد على فكرة التمرد هذه.

في قبولنا لموتنا، والافتقار إلى أي حياة أخرى مضمونة، والافتقار إلى أي معنى نهائي للحياة - وهو ما يعادل التمرد على العبث من خلال البقاء بعناد ورفضه أن نأخذ بفكرة قفزة الإيمان - يذكر كامو أنه عندها فقط يمكننا العيش بكثافة وعاطفة في إدراكنا لحياتنا، يمكننا أن نقدر كل لحظة في حياتنا كما هي، اعتماداً على التجارب التي سنحصل عليها، وهي شيء يجب تذوقه.

مع وجهة نظر الحياة هذه، يمكن للمرء أن يستمتع بالتجربة الحسية للجسد، ويتساءل عن تعقيد العالم، والعناية بأولئك الذين نحبهم في الحياة. وفي عدم قدرتنا على اكتشاف معنى نهائي للحياة، نحن وحدنا المسؤولون عن خلق إحساسنا الشخصي بمعنى الحياة.

مشكلة فلسفية

إذا اتبعنا كامو في التفكير بأن هناك «مشكلة فلسفية خطيرة حقاً وهي الانتحار»، فنحن ملتزمون بفكرة أن تحديد ما إذا كانت الحياة تستحق العيش أم لا، هي سؤال الفلسفة الأساسي.

إذا اخترنا مواصلة حياتنا والامتناع عن الانتحار، فقد قررنا في نهاية المطاف أن الحياة تستحق العيش، بصرف النظر عن مدى قدرتنا على الحياة.

من خلال استكمال عمل الانتحار فقط، نجيب على أن الحياة لا تستحق العيش - إن ارتكاب فعل الانتحار يعني أن الحياة لا تستحق عناء عيشها. باختيار الاستمرار في حياتنا أو إنهائها، فإننا نجيب ضمنياً على سؤال حول ما إذا كانت الحياة تستحق العيش أم لا.

الاستمرار في التنفس هو إعطاء قيمة إيجابية للحياة.

إذا افترضنا أن فكرة كامو عن العبث موجودة، وأن الحياة محددة بواسطة هذا المفهوم الخاص للعبثية، عندئذ يمكننا طرح الأسئلة التالية: هل هذه الحياة العبثية تستحق العيش؟ هل يجب الامتناع عن الانتحار؟ هل هناك أي طريقة للهروب من العبث؟ سوف ينظر هذا المقال في أفكار كامو حول ما إذا كان بإمكاننا الهروب من العبث.

العبث هو وضع مزعج. إنه يتكون من فصل أساسي بين رغبة الإنسان في المعنى النهائي - فرضية المعنى النهائي - وكون يحبط باستمرار هذه الرغبة بسبب عدم وضوحها وعدم مبالاتها وطبيعتها غير الشخصية - فرضية الاستحالة. يبدو من الطبيعي أن نسعى إلى ترك هذا الوضع. إذا كنا نتوق إلى معنى نهائي للحياة، ومجموعة من المبادئ التي يمكن أن توجه أفكارنا وأفعالنا، فإننا بالتأكيد سنحاول التغلب على أو الهروب من الكون الذي يحرمنا من هذا المعنى. يمكننا الآن طرح سؤال حول كيفية تحقيق التغلب على هذا العبث أو الهروب منه.

أن تصبح أكثر دراية ببعض التفاصيل المتعلقة بالعبثية، فهذا يوفر نظرة ثاقبة لكيفية تحقيق هذا الهروب.

إن العبثية علاقة ارتباطية بشكل أساسي، وليست خاصية للكون أو للإنسان ككيانات فردية: «إنها علاقة تحدث بين كائن يسعى إلى المعنى النهائي، وستظل محبطة دائماً في تحقيق إجابة معينة».

العبث لا يمكن أن يوجد إلا إذا كان كلا الجانبين من العلاقة موجودين. لذلك، فإن دحض واحد من الجانبين أو كليهما - المعنى النهائي واستحالة المعنى المطلوب لوجود العبث- يتيح لنا الهروب من العبث. يمكننا بعد ذلك أن نحيا حياة لا يعرفها العبث، وهذا هو المفهوم الخاص للعبثية. يحدد كامو طريقتين محتملتين للهروب: الانتحار الجسدي والانتحار الفلسفي.

دعونا نبدأ بشرح كيف أن الانتحار الجسدي يسمح لنا بالهروب من العبث. الأمر بسيط إلى حد ما: إن إنهاء حياة الفرد، يعادل إزالة الكائن الذي يبحث باستمرار عن المعنى النهائي. دون وجود كائن يسعى إلى

الحصول على معنى نهائي، تضيع أول فرضية مطلوبة لوجود العبث - فرضية المعنى النهائي -.

بمعنى آخر، دون وجود كائن يسعى إلى الحصول على معنى نهائي، لا توجد رغبات يمكن أن يحبطها الكون غير المبالي وغير المفهوم.

العبث غير قادر على الوجود، لأن العبث هو في الأساس تجربة الإنسان التي تكافح في الكون من أجل المعنى النهائي. من دون وجود العبث، لا يمكن أن يكون هناك مثل هذه التجربة. في إنهاء حياتنا الخاصة، فإننا نجعل بالضرورة من المستحيل لهذا الإحباط الرغبة في حدوث المعنى النهائي.

وهذا يعني - «لا يمكن أن يكون هناك عبث خارج العقل البشري». يمكننا أن ننظر أيضاً في الأمر بالطريقة التالية. إذا فقدنا كياناً واحداً في علاقة مكونة من كيانين، فستتوقف العلاقة بالضرورة عن الوجود، لأن العلاقة تتطلب كياناً واحداً آخر على الأقل حتى يرتبط الكيان الأول به. لذلك، نرى أن «العبث ينتهي بالموت».

يمكننا الآن أن نفكر كيف يسمح لنا الانتحار الفلسفي بالهرب من العبث. أولاً، يجب أن نحدد مفهوم الانتحار الفلسفي. نرتكب الانتحار الفلسفي عندما نؤدي قفزة الإيمان. تؤدي قفزة الإيمان إلى تعليق العقلانية، أي المطالبة بالمعرفة أو تصديق الأشياء التي تتجاوز حدود العقلانية، وهي تصديق الأشياء عن طريق الإيمان.

أدى إدراك كامو لحدود العقلانية إلى ظهور مبدأ الاستحالة - فكرة أنه من المستحيل التوصل إلى حقيقة معينة فيما يتعلق بالمعنى النهائي للحياة والوجود. أدرك كامو أن العقلانية لا يمكن أن تستنتج أن العالم عقلاني

بالضرورة، وبالتالي، فإن أي معنى نهائي للحياة الناتجة عن طريق العقلانية، قد يكون موضع شك.

من خلال أداء قفزة الإيمان، نتجاوز حدود العقلانية ونؤمن بحقيقة ما بحكم الإيمان على الرغم من احتجاجات العقلانية. وبذلك، فإننا نتجاوز مبدأ الاستحالة، لأن قفزة الإيمان يبدو أنها سمحت لنا بالتوصل إلى حقيقة معينة، فيما يتعلق بالمعنى النهائي للحياة والوجود.

مرة أخرى، يتلاشى العبث، عندما نزيل أحد مبادئه الأساسية. العلاقة تنهار، والرغبة في المعنى النهائي للإنسان لم تعد محبطة، كما يتطلب العبث، ولكن يتم تحقيقها الآن من خلال قفزة إيمان متجددة باستمرار.

مفهوم قفزة الإيمان، له دلالات دينية بشكل خاص، ولكن من المهم ألا يرتبط بالضرورة بالمسيحية أو البوذية أو أي نظام ديني معين آخر. النقطة البارزة الوحيدة، هي أن السبب يتم تعليقه ويستبدل بالإيمان.

أن نؤمن بعصمة العقل، هو أن نقفز قفزة الإيمان. حتى اعتقاد العالم بالتجريبية هو قفزة إيمان. هذا لا يعني أنه قد يكون من العملي قبول العقلانية أو التجريبية. في وصف هذه الأمثلة من قفزات الإيمان، نقول ببساطة إنه لا يمكن إظهار أي من العقيدتين دون شك من خلال العقل.

من دون أدنى شك، لا يمكننا أن نستنتج بعقلانية أن العقلانية معصومة، ومن دون أدنى شك، لا يمكننا أن نستنتج أن التجريبية معصومة.

الآن، السؤال الذي يطرح نفسه، هو ما إذا كان ينبغي لنا محاولة الهروب من العبث من خلال أي من الآليات المذكورة. كامو يرفض رفضاً قاطعاً، ليس فقط هاتين الآليتين الموصوفتين للتهرب من العبثية، بل كل الآليات التي تحاول التهرب من العبثية.

يستند هذا الرفض إلى التزام عنيد بالبقاء عقلانياً واعياً للعبث - الذي يظل صادقاً مع الحقيقة - حتى نهاية الحياة. نجد هذا الرأي عندما ينص كامو على أنه «إذا حكمت على أن هناك شيئاً ما صحيحاً، فيجب أن أحافظ عليه». علاوة على ذلك، يقترح كامو أنه من غير الممكن للفرد الصادق الابتعاد عن العبث. هذا لأن «الرجل هو دائماً فريسة لحقائقه. بمجرد أن يعترف بها، لا يمكن أن يحرر نفسه منها».

وهكذا، يدفعنا كامو إلى الامتناع عن الانتحار الفلسفي وما يقابله من قفزات الإيمان، بحيث يمكننا أن نبقى عقلانيين حتى نهاية الحياة. ويحثنا كامو كذلك على رفضنا للانتحار الجسدي، لأن مثل هذا الفعل من شأنه أن ينهي قدرتنا على حمل العبث في الوعي.

على العكس من ذلك، يجادل كامو بأنه يجب علينا «التمرد» ضد العبث، الذي يتطلب منا أن نبقى واعين تماماً بالعبثية في جميع الأوقات، وأن نكون مدركين تماماً لموتنا الحتمي، وأن نقبل أنه قد لا تكون هناك حياة تتجاوز هذه الحياة الحالية.

علاوة على ذلك، فإن الثورة تتطلب منا أن نرفض الانخراط في أي قفزة في الإيمان، وهو ما يعادل إطفاء أي أمل في معنى نهائي للحياة. على هذا النحو، يجب أن تعيش الحياة من دون أن تلجأ إلى أي هدف أو قيم أو معنى نهائي.

عند النظرة الأولى، قد يميل المرء إلى الاعتقاد بأن كامو رسم صورة قاتمة للغاية هنا. ومع ذلك، يستمر كامو في القول إنه لا يمكن العيش حياة أفضل، إلا من خلال الانخراط في هذه الثورة.

مفارقة العبث

سان نجوين

هل هناك حقاً شيء يسمى معنى الحياة، حيث إننا لا نعلم بالضبط كيف نفهم العقلانية الوجودية؟

التفكير في العبث أو السعي وراء معنى الحياة، يعيدني إلى الرواية الرائعة، «الغريب»، The Stranger، التي كتبها الروائي الفرنسي ألبير كامو. كانت «الغريب» رواية مؤثرة في القرن العشرين بسبب الحبكة القصصية الفريدة والمتضمنة مزيجاً مثير للاهتمام من التعقيد والبساطة. تدور أحداث الرواية عن رجل جزائري فرنسي، ميرسول Merusault، مع عرض كثيف للأيديولوجيات الفلسفية التي تتناول قضايا متعددة الأوجه حول سؤال «ما معنى الحياة؟» إلى جانب هذا السؤال، يكمن في مكان آخر سؤال متطور بشكل جذري وأكثر إثارة للاهتمام في جوهره: «ما الذي يحدد الإنسانية، أو ما الذي يجعل الإنسان عادياً؟».

خلال محاكمة ميرسول، والتي وجدت المحكمة أنه مذنب بارتكاب جريمة القتل الوحشية والعنيفة، التي قام بها من خلال إطلاق خمس طلقات متتالية على رجل عربي، بعد مشاجرة وصراع جسدي. واتهم ميرسول في وقت لاحق بعدم التعبير عن أي نوع من الندم، وبالتالي لأنه بارد ولا إنساني وقاس. يثير هذا الموقف بالذات في «الغريب» سؤالاً غريباً عن المجتمع، يتوقع من الأفراد إظهار خصائص معينة في مواقف معينة بشكل قاطع

والتعرف على أنها «إنسانية». بالإضافة إلى ذلك، فإنه يثير بشكل جوهري مسألة تناقض مشاعرنا التي تشكلها عقليتنا شخصياً، أو تتأثر بتوقعات الآخرين لعرض بعض التعبيرات العاطفية في مواقف معينة. يجب أن ندرك المسار الذي لا يخلو من مشاكل في كيفية تأثر الظروف الاجتماعية بجهود الناس لملء حياة الآخرين. ومع ذلك، فإن المجتمع الذي أسيء فهمه بشكل مأساوي، محاصر بنماذج اجتماعية موحدة للسلوكيات والمواقف والتصورات والمفاهيم التي تعتبر إلى حد كبير صالحة ومتسقة. يخبروننا باستمرار ما هو صواب وما هي الوسيلة لتبرير إحساسنا الخاص بـ«ماذا يعني أن تكون إنساناً». غالباً ما نفرض هذه الخصائص على الآخرين، ونتوقع منهم أن يحققوا صفات وخصائص مماثلة، كما تم فرضها بالفعل علينا. إنه بطريقة ما، التبرير الذاتي لأعمالنا على أنها حق أو «إنسانية». باستمرار، يُقال لميرسول إنه يجب أن يعيش أو يتصرف بطريقة معينة، سواء كان ذلك من قِبل القاضي أو محاميه أو الكاهن. بمجرد عدم مطابقته لهذه التدابير، يتم تهميشه ويطلق عليه «اللاإنساني»؛ هذه محاولة من جانب الآخرين لتعيين طرق حياتهم وتفاهماتهم. إذا تمكنوا من إعلان أنه «غير إنساني»، فإنه يسمح لهم أن يطلقوا على أنفسهم اسم الإنسان وأن يبرروا وسائل معيشتهم. إنه الحكم على العبثية المطلقة للمواقف العادية التي يواجهها الأفراد يومياً، حيث لا يوجد مثل هذا التجانس غير المعقول الذي يتم ممارسته نسبياً والحفاظ عليه ودعمه.

«لن تكون سعيداً أبداً إذا واصلت البحث عن مكونات السعادة.
لن تعيش أبداً إذا كنت تبحث عن معنى الحياة».

من المثير للجدل القول بأن الإنسان الواعي بذاته هو أمر عبثي حقاً، حتى يتسنى لنا تحرير أنفسنا من العبث بينما نظل بشراً، يجب أن نتوقف عن أن نكون واعين لذاتنا. نظراً لأننا مُنعنا من الوصول إلى وجهات نظر لا مفر منها، فمن الواضح تحديد ما هو مهم وما إذا كنا سنحكم بأن حياتنا لا معنى لها. لسنا مقتنعين بأن نقول لأنفسنا أنه لا يوجد شيء في الواقع، حيث إننا نفتقر إلى قدرات محددة لتحقيق وفهم تلقائي، وإلى الاعتقاد بأن أي شيء مهم، لا سيما أن نظام التبرير غير مقنع. أرفض مثل هذه الإجابات عن السؤال: «ما معنى الوجود؟»، لأنه لا يوجد إجابة مبررة بشكل معقول وعقلانية لشرح تفسير هذا السؤال. سيكون من العبث إدراك المعنى المقصود بشكل شامل حول الوجود الإنساني، حيث لا توجد إجابة علمية أو غائية أو ميتافيزيقية كافية يمكن أن ترضي أي شخص فيما يتعلق بهذا السؤال. بما أن الوجود نفسه لا معنى له، يجب أن نتعلم تحمل فراغ لا يمكن حله. هذا الموقف المتناقض، إذاً، بين دوافعنا لطرح الأسئلة النهائية واستحالة تحقيق أي إجابة مناسبة، هو ما يسميه كامو العبث. تستكشف فلسفة كامو العبثية، العواقب الناجمة عن هذه المفارقة الأساسية. وهكذا، فإن أي وسيلة لاستخدام النهج اللغوي لتوضيح الصور المناسبة، يولد فهماً بدائياً للعبث.

إذا قبلنا هذه الأطروحة الأساسية حول عبثية الحياة، ونهج كامو المناهض للأسئلة الفلسفية، فلا يسعنا إلا أن نسأل: ما هو الدور المتبقي للتحليل المنطقي والحجة؟ إذا لم يكن للحياة غرض أو معنى أساسي يمكن لهذا العقل التعبير عنه، فلا يسعنا إلا أن نسأل عن سبب استمرارنا في الحياة.

ترتبط معظم أعمال كامو الفلسفية وروايته بمختلف موضوعات العبثية والتمرد والموت السعيد والأهم من ذلك الانتحار. يرى كامو أن مسألة الانتحار هذه هي استجابة طبيعية لفرضية أساسية، وهي أن الحياة عبثية بعدة طرق. كما رأينا، إن وجود وغياب الحياة، على سبيل المثال، الموت، يؤدي في البداية إلى ظهور الحالة، أو يطلق بسعادة على جيل محفز من العبث: إنه من العبث البحث باستمرار عن معنى في الحياة عندما لا يكون هناك شيء. من العبث أن نأمل في استمرار وجود بعض أشكال الوجود بعد الموت، بالنظر إلى أن هذا الأخير يؤدي إلى انقراضنا. لكن كامو يعتقد أنه من العبث محاولة معرفة العالم أو فهمه أو تفسيره، لأنه يرى أن محاولة اكتساب المعرفة العقلانية هي أمر عقيم. هنا يضع كامو نفسه ضد العلم والفلسفة، مستبعداً مزاعم جميع أشكال التحليل العقلاني: «هذا السبب العالمي، العملي أو الأخلاقي، تلك الحتمية، تلك الفئات التي تفسر كل شيء، تكفي لإضحاك الرجل الكريم».

على عكس تفسير كامو للانتحار، فإن لدى دوركهايم أفكاراً مختلفة تماماً عن الانتحار من المنظورات الاجتماعية، حيث يصف الانتحار أكثر من كونه ظواهر يتم التفكير فيها باستمرار. من خلال النظر في الدستور الأخلاقي لمجتمع ما، فإن درجة تكامله أو إفراطه في التكامل أو التنظيم، تحدد معدل الوفيات الطارئ، و«الاستعداد الطبيعي» للانتحار، وبالتالي فإن أعمال الانتحار الفردية هي مجرد امتدادات وتعابير لهذه التيارات الأساسية؛ الأنانية والإيثار والشذوذ. علاوة على ذلك، فإن المصطلحات التي استخدمها دوركهايم في تقديم هذه الحجة - «الميول الجماعية»، «المشاعر

الجماعية»، إلخ - ليست مجرد استعارات لحالات فردية متوسطة؛ على العكس من ذلك، فهي «أشياء»، قوى فريدة (التوضيح النظري للوجود الاجتماعي) تهيمن على وعي الأفراد. في الواقع، لا يمكن أن يكون لاستقرار معدل الانتحار لأي مجتمع معين، أي تفسير آخر. ومع ذلك، لا يمكن تفسير الانتحار ببساطة على أنه ظواهر اجتماعية للأفراد الذين يقاومون الحياة أو التعبير الفردي واتخاذ القرار للتخلي عن الوجود. ربما يكون من الأفضل فهمه على أنه ميل اجتماعي محدد لا يمكن تفسيره لا بالدستور العضوي-النفسي للأفراد، ولا بطبيعة البيئة الاجتماعية المادية؛ ولما كانت مناقشة الاختلافات الجغرافية والموسمية للانتحار قد اشتدت بالفعل، فإن الميل المذكور يجب أن يكون بحد ذاته ظاهرة جماعية، ويجب أن يعتمد على أسباب اجتماعية. ولكن في النهاية، يمكن اعتبار العبثية أمراً يصعب تجنبه بسبب انتشاره غير المرئي والواسع بشكل جذري ومفهومه اللطيف غير المألوف، وهي تجربة يجب أن نعيشها في أي حالة، والتشابه مع مرض العبث دقيق للغاية لفهم المنطق الفلسفي العقلاني.

قراءة العبث

ريتشارد فوغل
برنارد سيل

كان ألبير كامو (١٩١٣-١٩٦٠) كاتباً فرنسياً فرنسياً، ربما اشتهر بروايات مثل الغريب والطاعون والسقوط. كمفكر كان مرتبطاً بالحركات الفكرية التي تسمى الوجودية والعبثية، على الرغم من أن كامو نفسه كان يكره كل من هذه التسميات.

في بداية الفلسفة الغربية، علم أرسطو أن جميع البشر يرغبون في معرفة أن الكون، الذي أطلق عليه الكون، معروف. على تلك الصخرة، بنى أرسطو فلسفة كاملة، وأسس (مع أفلاطون) التقليد العقلاني الكلاسيكي. يوافق كامو على أننا نرغب في معرفة معنى الوجود، ولكننا نعيش في عالم خالٍ من الهدف (أو لا يمكن معرفة الغرض منه). لا توجد «أفكار أفلاطونية» أو «أسباب أرسطية نهائية» لإرشادنا، والعلم الحديث لا يعرف سوى المادة المتحركة.

ما يفصل كامو عن التقليد العقلاني بأكمله، القديم والحديث، وفقاً لموسوعة ستانفورد للفلسفة، هو أنه ينكر وجود إجابة على هذا السؤال، ويرفض كل نهاية علمية أو غائية أو ميتافيزيقية أو مخلوق بشري من شأنه أن يوفر إجابة كافية.

أول محاولة لكامو في مقال بعنوان «أسطورة سيزيف» (١٩٤٢)، تبدأ بسؤال ما يسميه السؤال الفلسفي الخطير الوحيد: ما إذا كان الانتحار مبرراً

أم لا. ويواصل تأكيد عبثية الحياة البشرية. تم دحض اعتقاد هيغل بأن التاريخ له غرض، والروتين اليومي للحياة لا جدوى منه، والدوافع البشرية لا يمكن التغلب عليها، والموت لا طائل منه. والمثير للدهشة أنه لا يستنتج من هذا أن الانتحار مشروع. وبدلاً من ذلك، يرسم طريقة للخروج من اليأس، ويؤكد من جديد قيمة الوجود الشخصي وإمكانية أن تعيش حياة كريمة وصادقة.

تجدر الإشارة إلى أن كامو كتب هذا العمل في بداية الحرب العالمية الثانية، عندما احتُلت فرنسا من قبل النازية، وقد خدم في حركة المقاومة الفرنسية ضد المحتلين لبلاده.

يصور كامو بشكل مبدع جهود سيزيف الشاقة لدفع الصخرة إلى أعلى التل، قائلاً إن اللحظة التي تتدحرج فيها الصخرة إلى أسفل المنحدر هي التي تهمه أكثر من غيرها، ويصفها بأنها «ساعة الوعي»: الوقت الذي يكون فيه «متفوقاً على مصيره».

يقول كامو «لا توجد شمس بدون ظل، ومن الضروري معرفة الليل»، مما يعني ربما أنه من الأهمية بمكان قبول معاناة غير عقلانية، بل عبثية، كجزء من التجربة الإنسانية. ويضيف إلى هذا أن سيزيف «يعلم الإخلاص العالي الذي ينفي الآلهة ويحرك الصخور»، وخلص في النهاية إلى أنه «يجب أن يتخيل سيزيف سعيداً».

في ضوء المصير الشاق الذي أدين به، كيف يفسر هذا المنظور غير المتناسب؟ كيف يمكن أن يكون سيزيف سعيداً، نظراً لظروفه الشاقة؟ كيف يمكن للمرء أن يفرح في العذاب؟ أيمكن للمرء احتضان العبث؟

يستخدم كامو أيضاً الحتمية قائلاً «يجب علينا أن نتخيل [سيزيف] سعيداً؟» لماذا هذه الكلمة «يجب»؟ ما الآثار المترتبة على هذا؟

يقترح كامو أن الإنسان يبحث عن الوضوح في الكون؛ إنه إذا أدرك أن «الكون يستطيع أن يحب ويعاني، فسيتم التوفيق»، فقط ليعلن أن الإنسان محروم من هذا الوضوح ويشعر بالغربة. يلاحظ كذلك «في هذه المرحلة من جهده يقف الرجل وجهاً لوجه مع غير العقلاني. يشعر بداخله توقاً للسعادة والعقلانية. ولدت هذه العبثية من هذه المواجهة بين الحاجة الإنسانية والصمت غير المعقول في العالم».

ماذا يعني عندما يقول: «في هذا الكون المحدود غير المفهوم، يفترض مصير الإنسان من الآن فصاعداً معناه»؟

ما هي الطرق التي يمكن بها التوسط في المواجهة بين الإنسان والكون؟

الانتحار الفلسفي

في هذا الجزء من مقالته، يشير كامو إلى أن بعض الفلاسفة الوجوديين يحاولون ترشيد العقلاني، مدعين أنه «في عالم مغلق يقتصر على الإنسان، فإنهم يجدون سبباً للأمل فيما يفتقرون إليه» مما يشير إلى أن العبث يتم استبداله بالله.

يجب أن أعترف أن هذا الكفاح يعني غياباً تاماً للأمل، ورفضاً مستمراً واستياء واعياً. كل ما يدمر هذه المتطلبات أو يستحضرها أو يطردها، يدمر العبث ويقلل من قيمة الموقف الذي يمكن اقتراحه بعد ذلك.

لماذا يصر كامو على أنه «غير مهتم بالانتحار الفلسفي»؟ لماذا يرى كامو الانتحار الفلسفي غير مرغوب فيه، وهل يمكن للمرء تجنبه؟

يقول: «قبل مواجهة العبث، يعيش الإنسان كل يوم مع الأهداف، أو الاهتمام بالمستقبل أو التبرير... إنه يزن فرصه، ويعول عليها».

لماذا يختار كامو في نهاية المطاف تحدي التضحية بالنفس؟ كيف يتم هذا الموقف النبيل، وحتى البطولي؟

مكتبة
t.me/t_pdf

المعنى وسط العبث

ميغان إي فون هاسل

يجب على الإنسان أن يقبل الكون ويسعى إلى مواجهته، لأنه يقدم نفسه عبثاً. يواجه الكون من خلال حب غريب وحاجة إلى شيء يمكن أن يضع فيه أمله: «تأتي اللحظة التي يتوقف فيها الإنسان عن المأساة؛ ويؤخذ على محمل الجد. إذاً الإنسان يهتم بالأمل». يجد التمرد في وجه العبث الأمل في جمال التضامن الذي يتجذر في كرامة الإنسان، أي أن هناك قيمة في حياة الإنسان. في ظلام كون لا معنى له على ما يبدو، يقدم كامو إنسانية جديدة.

في إنسانية كامو، يجب على الإنسان أن ينظر من الداخل إلى الخارج من أجل الشعور بالراحة من معاناته في رؤية نفسه كجزء من البشرية جمعاء: «عندما رأيت ذات مرة وهج السعادة على وجه شخص محبوب، فأنت تعلم أنه لا يمكن أن يكون للرجل مهنة سوى إيقاظ الضوء على الوجوه المحيطة به. في عمق الشتاء، تعلمت أخيراً في داخلي أن هناك صيفاً لا يقهر». من أجل إثبات أن التمرد هو عمل يستهدف خير البشرية في مواجهة العبثية، يستخدم كامو بقية كتابه لكشف العمل الذي يدعي أنه تمرد، لكنه يثبت أنه مدمر. هذا النوع الآخر من الحركة يدعوه كامو الثورة. يسعى هذا المقال إلى تمييز الحركة المتمردة عن جميع أنواع العمل الأخرى.

يسعى عمل كامو «المتمرد»، من خلال التمييز بين الفعل المتمرد والأفعال الأخرى، إلى إنشاء إنسانية جديدة، كرد فعل لعالم لا معنى له من أجل غرس التضامن والحرية والأمل وسط عبثية.

المتمرد محارب وفنان. كمحارب، فهو يناضل من أجل حرية الإنسان في الحفاظ على كرامة الحياة البشرية وقانون الاعتدال في حدود قدرته كإنسان. كفنان، تسعى رغبته في الوحدة والمعنى إلى إعادة جمال كرامة الإنسان إلى الحياة، من خلال خلق لوحة عمل ترسم حقيقة قبول المتمرد ونضاله.

الإنسانية

من أجل تسليط الضوء على الإنسانية الجديدة لكامو، من الضروري أولاً فهم أنواع الإنسانية التي نشأت عبر التاريخ. هذه وجهات النظر الثلاث حول ما يؤدي إلى ازدهار الإنسان، تتحدث بشكل مختلف عن مسائل السمو والإنسان الغائي. تنبع هذه الإنسانيات من الفكر المناهض للأديان. تؤكد فلسفته في العمل على فكرة أن الكون تخلو من المعنى. إنه يضع الإنسان تاجاً لكل الوجود ويفرض مبادئ الميتافيزيقية على الطبيعة التي ستؤدي إلى خلود وكمال الإنسان. في وقت واحد، هذا المفهوم للإنسان يدمر أي فكرة عن كائن متعال إلهي. قتل الله ووضع الإنسان في مكانه، اتخذ أشكالاً عديدة على مر التاريخ، لكن جميع أشكال هذه الإنسانية المحددة موحدة في طابعها الإلحادي. يصف هنري دي لوباك في مسرحية «الإنسانية الملحدة» هذه النزعة الإنسانية المنافية للإيمان.

سوف يرتفع الإنسان أعلى وأعلى من اللحظة التي يتوقف فيها عن الابتهال إلى الله... لقد أدركوا أنفسهم في ذلك الإنسان الذي وقف ببطولة

أمام الآلهة. لقد أرادوا أيضاً «قتل الله» حتى يتمكن الإنسان أخيراً من العيش حياة إنسانية كاملة أو بالأحرى «فوق طاقة إنسانية»، ويبدو أن الإلحاد هو الأساس الذي لا غنى عنه للمثل الأعلى الذي اقترحوه لمثل هذا الإنسان.

تقول المسيحية بأن «موت الله» كان لا بد أن تكون له تداعيات قاتلة... كان لا بد للإنسانية الملحدة أن تنتهي بالإفلاس. الإنسان هو نفسه فقط، لأن وجهه مضاء بالأشعة الإلهية.

استجابة للإنسانية الإلحادية التي تدمر ارتباطاً حقيقياً مع الإلهية، تؤيد المسيحية أنه من أجل إعادة اكتشاف هذه الصورة الكاملة للإنسان المفقود، ومع هذا الشعور بالوجود، هذا المفهوم لحقيقة مستقرة وهذه الثقة في الأبدية، التي تنتزعنا من الموضوعية الخانقة وكذلك من الذاتية الخالصة، يجب أن نناشد إيماننا في خلق الإنسان على صورة الله.

بولس يشرح بالقول إن هذا الإنسان «قادر على معرفة ومحبة خالقه، وقد عيَّنه من قِبل سيد جميع المخلوقات الأرضية ليخضعها ويستخدمها لمجد الله».

تقع العلمانية بين الفكر المسيحي ونقيضه، بقدر ما تأخذ نظرة غنوصية للواقع الذي لا يكون فيه الله ميتاً ولا حاضراً، ولكن ليس موضع تساؤل. لا يوجد أي فهم أو معنى عن الإنسان العلماني. إنه يعيش حياة دائمة التغير تحددها المعتقدات النسبية.

العلمانية هي الإنسانية الأكثر فاعلية بقدر ما تتجنب كل الادعاءات النهائية. من خلال فهم وجهات النظر المناهضة للإيمان والمسيحية والعلمانية حول الإنسانية، ستظهر إنسانية كامو الجديدة على النقيض من ذلك بناءً على نظرة عبثية للوجود. تتخذ هذه النظرة شكلاً من المفارقات لأنه في غرابة العبثية، يجد الإنسان القيمة، أي كرامة الحياة البشرية باعتبارها قمة المعنى على الأرض.

يجذبنا كامو إلى المتمردين في ذروة الحداثة. إنه عصر الغياب التام الذي أصبحت فيه الفلسفة «العلم الجديد» الذي يسمح للإنسان بـ«تبرير» جميع أفعاله. يقول كامو إنه عندما تتجذر الجريمة، تصبح عالية إلى درجة لم تعد تصنف القتل على أنه جريمة لا تغتفر. وهكذا، في «المتمرد» يسعى كامو إلى الاستجابة لخطر اغتراب الإنسان الذي يراه الفخ الناتج عن التفكير الحديث. حله لهذه المشكلة هو خلق إنسان جديد لبث الأمل في إدراك أنه من المفترض أن يعيش في تضامن مع أناس آخرين. عند الرغبة في احترام حياته الإنسانية الخاصة، توصل الإنسان إلى أن هناك قيمة في كل حياة الإنسان حتى في وجه العبثية. في أساس هذا التضامن وقيمة الإنسانية، يدعي أنه الرجل الذي يحقق هذه القيمة من خلال العيش في حالة من التمرد. هناك، مع ذلك، توتر أبدي للمتمردين في قبول العبء غير المحدود لمواجهة العبثية.

يقدم كامو العبثية في الكون كإيمان بالتناقض؛ حيث إن كل شيء لا قيمة له. على الرغم من أنه في هذه الحالة التي لا قيمة لها، تُعطى الأولوية للحياة البشرية، لأن الإنسان يجب أن يعيش من أجل مواجهة الكون. وهكذا ينشأ منطق داخل العبثية يفرض الخير على حياة الإنسان، لأنه بدون امتلاك حياة الفرد، لا يستطيع الإنسان أن يتفاعل مع العبثية: «من الواضح أن العبثية تعترف هنا بأن الحياة البشرية هي الصالح الضروري الوحيد، لأنه الحياة على وجه التحديد. هي التي تجعل هذا اللقاء ممكناً، ولأنه بدون حياة، لن يكون للرهان العبثي أي أساس. وبما أن الحياة عبثية، فيجب أن يكون الضمير حياً».

إنه يقارن هذا الرأي مع جواز الحداثة، حيث لا معنى له مطلقاً باستثناء الأنانية اللاواعية من جانب المفكرين الحديثين. في هذا الرأي، لا توجد

حجة موضوعية ضد القتل. ومع ذلك، يجب أن يواجه العبثي ما يسميه كامو صمت الكون، حيث لا يرى المرء الصمت كحالة من اللامبالاة أو العدم، بل وجود سلبي. في سلبية الكون، يدرك الإنسان ويطلب منه قبول أن وجوده محدود. في هذه القيود المفروضة على رجل الكون، يأتي أيضاً ليري نفسه محدوداً. إذا لم يواجه الإنسان الكون العبثي، فسوف يفرض مبادئه الميتافيزيقية الخاصة التي تتجاوز الكون المحدود.

كمدافع عن مواجهة الإنسان للعبث، يحاول كامو تطهير الإنسان العصري من «الإيمان» بنقص الطبيعة في الجيل العدمي واستبدال الإنسان الذي لا قيمة له بشخص يرى أن أهمية الحياة هي مبدأ الوجود الأول: «في الرغبة في الحفاظ على الحياة، فإنه يستبعد جميع الأحكام القيمة، عندما تكون الحياة، في حد ذاته، حكم القيمة. التنفس هو الحكم. ربما لا يصح القول إن الحياة خيار دائم. لكن صحيح أنه من المستحيل أن نتخيل حياة محرومة من كل خيار»، حيث تكون الحياة بحد ذاتها هي حكم القيمة. يصبح العبث «طريقة حياة» بدلاً من فلسفة بحد ذاتها. إنها في أنقى صورها، في جوهرها الصامت، «تحاول أن تظل غبية؛» فهي غامضة، سواء سلبية في صمتها ونشطة في شيء يتم تجربته بلا منازع، لأنها لا يمكن أن تساعد، ولكن كما هي بلا معنى. هذا، مرة أخرى، يدل على أنه يتعارض مع الطبيعة، لأنه غير مفهوم، ولكنه يستلزم أن يكون متمرساً، وبالتالي لا يمكن تجنبه؛ لا يمكن تصنيفه، ولكن واجهته فقط في الحياة، لأنها «تجربة يجب أن تمر بها، نقطة انطلاق».

في إيقاظ الإحساس العبثي داخل الإنسان، يجد نفسه يحدق في مرآة تقيم حالته المرضية في الأضواء المسببة للعمى. بعد فحص حالته، يقول كامو إنه

يجب كسر المرآة حتى لا يبقى أي شيء يمكن أن يساعد الإنسان في الإجابة على السؤال الذي واجهه. هذا الموقف ضروري، لأن الإنسان هو نتاج هذا المرض، ويحتاج إلى منظور جديد. ومن هنا فإن العبثية في تحطيم المرآة، تقدم شكوكاً منهجية ديكارتية: لكن، مثل الشك المنهجي، يمكنه، من خلال العودة إلى نفسه، فتح مجال جديد للتحقيق.

مثل الكوجيتو الديكارتي «cogito، ergo sum»، فإن العودة إلى العبث تؤدي إلى قيمة في العيش، وبعبارة أخرى، «لا يمكنني أن أشك في صحة إعلاني ويجب على الأقل أن أؤمن باحتجاجي». قلب المتمرد - حشد الذات لمحاربة المعنى الواضح للواقع - هو «طلب النظام في خضم الفوضى، والوحدة في قلب الزوال... وأن ما تم بناؤه حتى الآن على رمال متغيرة يجب أن يتم تأسيسه من الآن فصاعداً على صخرة». لا يحب الإنسان تناقضات الكون، لا سيما في عرضه للمعاناة، لذلك يسعى دائماً إلى إيجاد صخرة، من الواضح أن كامو يرى العالم بلا معنى على ما يبدو. وهكذا، يصبح الإنسان متمرداً في الصعود إلى العمل الذي سيحول العالم من خلال غرس أمل جديد، حيث يجب الاعتراف بالإنسان على أنه «المخلوق الوحيد الذي يرفض أن يكون ما هو عليه».

يعلن هذا الصراع من أجل الإنسان، عن افتقاره لقبول قيود وجوده. وبالتالي، فإن مهمة المتمرد هي غرس فهم القيد بقول «نعم»، ولكن فقط إلى حد ما ثم الرد بـ«لا» حيث إن العبد الذي يشعر بالتطفل قد ارتكب ما لا يطاق وما لا يستطيع تحمله على أساس فهمه لوجوده الإنساني. في رؤية المبدأ الأساسي للتقييد فيما يتعلق بوجوده، ولد الوعي في مستوى المتمرد، أي أنه يمتلك نوعاً معيناً من الوجود. ينص كامو على أنه يجب أن يحافظ

على عتبة كل تصرفاته في تمرده. في خطواته الأولى للتمرد، يتبنى المتمرد حالة «كل شيء أو لا شيء» للعيش فيه، ويكون من الأفضل مواجهة الموت من أجل الخير المشترك من العودة إلى استعباده. في هذا البيان، أنشأ كامو الخير المتأصل في الإنسان على أساس الطبيعة البشرية. الخير، ومع ذلك، يتم إسقاطه على العالم بشكل محايد. إنه نوع من مفهوم هوميري Homeric يتم فيه البحث عن الخير من خلال العمل المتعلق بالحاضر بدلاً من السعي إلى تجاوز الخير النهائي الذي يلوح في الأفق حول الوجود.

في وصف عمل المتمرد بأنه متأصل في نوع من الطبيعة البشرية، يعني كامو أنه يخص البشرية جمعاء. وهكذا، يستمد من الطبيعة البشرية تضامناً جوهرياً يوحد البشرية في التمرد. في التمرد «الفرد ليس في نفسه وحده، تجسيداً للقيم التي يرغب في الدفاع عنها. إنه يحتاج إلى البشرية جمعاء، على الأقل، لتشكيلها. عندما يقوم بالتمرد، يتعرف الإنسان على نفسه مع أناس آخرين ويتفوق على نفسه». وهكذا، عند الانتقال من استعباده إلى حالة تمرد، تصبح لوحة القيم الخاصة بالتمرد ذات شقين، أي أن هناك شيئاً جيداً في داخله، وهذا الخير نقل إلى جميع الناس.

في إدراك المكانين اللذين يسكنهما هذا الصالح المتأصل، يستيقظ المتمرد على نوع من الحب الذي يكافح من أجل فرض اعتراف عالمي بهذه الكرامة في الإنسان. يجسد كامو هذا النوع من الحب في عمل إيفان كارامازوف في كفاحه من أجل خير الإنسانية على خلاف آلام المعاناة. لا يمكن أن يجد حب إيفان أي تفسير في الله. وجود مع بقية الواقع؛ إنه لا يسعى إلى خلق شيء جديد، ولكن الكشف عن الجزء المقدس من الإنسان.

العالم عند كامو مقدس، لكن الإنسان المعاصر دمر الأمل والهوية الإنسانية الحقيقية بحيث «ما هو على المحك، هو الوعي الإنساني المتزايد تدريجياً وهو يواصل مساره». ومن هنا يعتقد كامو أن كل الواقع يتوج بمسألة ما الذي يتجه إليه الإنسان في الوصول إلى هذا الوعي الذاتي، وعلى وجه الخصوص، «هل من الممكن إيجاد قاعدة سلوك خارج نطاق الدين وقيمه المطلقة؟». قداسة الميتافيزيقيا داخل البشرية التي ستكون كلماتها وأفعالها دائماً من النوع الإنساني البشع. كامو، في نهاية المطاف، سيحرم أي نوع من الحركة الميتافيزيقية أو التاريخية من إنكار حقيقة الإنسان.

لذلك، سيُظهر التمرد باعتباره الحل الوحيد لمعضلة الإنسان في الحياة، من خلال حكاية إيفان كارامازوف، لأنه الفعل الذي يرى كامو أنه يوفر عزاءً وخلاصاً بشكل كافٍ لمعاناته. في هذا الخلاص من معاناة الرجل، لا يمثل المتمرد فقط إجابة شاملة على نداء الإنسان، بل هو أيضاً عزاء شخصي لكامو، لأنه سيحاول إظهار أنه من خلال حالة دائمة من النضال في التمرد، لن يكون الإنسان بمفرده بل يجد نفسه متضامناً في الإنسانية، وهذه المعاناة، التي تختلف عن الفكر الحديث، ليست فردية، ولكن «يُنظر إليها على أنها تجربة جماعية». فتمكّن التمرد، بالتالي، من التحرك نحو الأخوة بين الناس، وفي الابتعاد عن العبء الواقع على الإنسان في رؤية نفسه محاصراً في العزلة. هذه الخطوة الأولى نحو التمرد من خلال التضامن ضرورية لحجة كامو مثلما كان كوجيتو ديكارت: «أنا متمرد، إذاً، أنا موجود».

من أجل إظهار أن هذا الوعي بالذات متأصل في نوع جديد من العمل، أي التمرد، يجب على كامو أن يوضح لماذا لا يستطيع الله والفلسفة دعم الإنسان في حالته الحالية، وكيف يختلف رده على التمرد عن بقية إجابات الحداثة.. تكمن

جذور هذه الاعتراضات في اقتراح كامو في الكشف عن الثورة حتى يتسنى تحقيق التمرد، على العكس من ذلك: «ستكون مهمتنا هي اختبار ما يصبح عليه هذا المحتوى الإيجابي للتمرد في الإجراءات التي تدعي أنها ناشئة عنه، وشرح أين يؤدي إخلاص أو خيانة المتمرد لأصول تمرده في النهاية».

التمرد مقابل الثورة

يبدأ كامو عملية التوضيح من خلال مناقشة نوعين مختلفين من التمرد: الميتافيزيقي والتاريخي. السابق «لا يظهر، في شكل متماسك، في تاريخ الأفكار حتى نهاية القرن الثامن عشر... ليس من قبيل المبالغة أن نقول إنهم صاغوا تاريخ زماننا». يقول كامو إن الحداثة تتجذر في عقلية بروميثية، حيث يختار فيها الإنسان التغلب على الإلهي حتى لو كان ذلك يعني عقوبته الأبدية. تتزامن هذه الأسطورة مع قلب الحداثة بقدر ما يقتل الإنسان الله من أجل أن ينكر نفسه بنفسه. في التمرد الميتافيزيقي سيكون هناك دائماً صراع عالمي بين الخير والشر، أي بين إله شخصي مسؤول عن كل شيء ورجل يتطلع إلى الأمام. بناءً على هذه العقلية المذهلة التي تمارس نفسها على الإلهية في الصراع بين الخير والشر: «التمرد الميتافيزيقي هو المطالبة، بدافع من مفهوم الوحدة الكاملة ضد معاناة الحياة والموت، واحتجاجاً على الحالة الإنسانية بسبب عدم اكتمالها، وذلك بفضل الموت، وبفضل الشر».

التمرد الميتافيزيقي

يقدم ساد والرومانسيون وإيفان كرامازوف ونيتشه أمثلة على تقدم تاريخي داخل تمرد ميتافيزيقي سيؤدي حتماً إلى ثورة. يعتقد كامو أن جوهر المبادئ الميتافيزيقية هو الحاجة إلى الوحدة. هذه الوحدة المهاجرة، مع ذلك،

بلغت ذروتها في شكل من أشكال الحكم المطلق. ساد هو المحرض على النفي المطلق المولود من التمرد. إن شدة ذكاء ساد مقابل وضوح الطبيعة، يؤدي إلى «منطق مشاعره». بناءً على هذا المنطق، وسلوك ساد البائس، ينكر وجود الله كجزء من إنسانية مناهضة للإيمان، لأن الله «شرير، غير مبال، أو قاس»، ولذلك لا يمكن التوفيق بينه وبين ساد. الله، بالتالي، مجرم قاتل لساد. يؤدي فقدان الثقة في الإله عند ساد إلى فقدان الثقة في الإنسانية. وهو يسأل عما إذا كان الله ليس جيداً، لماذا يجب أن يكون الإنسان فاضلاً: «إذا قتل الله ونبذ الجنس البشري، فلا يوجد شيء يمنع المرء من القتل والتخلي عن إخوانه من الناس».

يهرب المتمرد بعيداً عن هذا «البخل الألوهي»، مع ذلك، يتوق إلى ما يشبه شيئاً ما لتوحيد وجوده كما تم تقديمه في كائن إلهي، ولكن كان يجب رفضه. في طبيعته الحساسة، الحزينة، يعبث الرومانسي بالحياة لأنه لا يستطيع قبول العيش فيها، وهكذا يجد الوحدة في صورة لما يراه تناغماً جمالياً للحفاظ على نفسه: «إنه يعبث بها حتى يموت، باستثناء لحظات عندما يكون وحيداً وبدون مرآة». لذلك، فإن المتمرد الرومانسي، يشارك في الحرب ضد العبودية، ولكن فقط في خياله، وفي عزلة حية يستسلم للعبودية بدلاً من الانخراط في القتال وحده.

عند كلٍّ من ساد واستجابة الرومانسية للوجود، لم يُقتل الله بعد، لكن العلاقة بين الإنسان والإله قد قطعت وتم التخلص من الله. إن استجابة إيفان كارامازوف، في نهاية المطاف، تجعل الإنسان أقرب إلى العدم والقتل، لكن قبل أن يرفض الله مثل ساد والرومانسيين، يبدأ بالبحث عن شعور بالعدالة ضد ظلم المعاناة البريئة.

حسب فهم إيفان، إذا كان الله عادلاً وعاطفياً، فلن يسمح بمعاناة الأبرياء. ومع ذلك، في التجربة، تستمر معاناة الأبرياء. وهكذا، يجب على إيفان أن يرفض الله. يقدم كامو رفض إيفان «في ظل هذه الظروف، حتى لو كانت الحياة الأبدية موجودة، فإن إيفان سيرفضها». وفقاً لإيفان، يكون لديك تعاطف حقيقي، لأن التعاطف مرتبط بالله، ثم يبدو السعي إلى القضاء على المعاناة بدلاً من تعلم «قبولها». وفقاً لهذه الشروط، يبدو أن الله يفتقر إلى التعاطف، ولذا فإن إيفان يرفض الله لأنه لا يستطيع التوفيق بين أنه «إذا كان لديه إيمان، فيمكن أن يجد خلاصه، لكن الآخرين قد يكونون ملعونين وستستمر المعاناة»، وبالتالي، «ليس هناك خلاص ممكن للإنسان الذي يشعر بالتعاطف الحقيقي. سوف يستمر إيفان في وضع الله في الجانب الخطأ من خلال رفض الإيمان مرتين لأنه سيرفض الظلم. خطوة واحدة أكثر ونصل إلى الجميع أو لا أحد».

إذا كان إيفان يسعى إلى رفض الله، فهو يرفض الخلود ومعه مكافأة أو عقوبة أبدية. في هذا النوع من الرفض، يصبح كل شيء مسموحاً به ومبرراً، وحتى القتل. كامو، مثل إيفان، يجب أن يرفض الله والمسيحية على أساس حالة معاناة لا يمكن تفسيرها ودائمة، ولكن إيفان سوف يتوقف عن أن يكون متمرداً في الوقت الذي يصبح فيه مطلقاً عن طريق تدمير أي معيار مسموح به. يميز إيفان نفسه عن الرومانسيين بقدر ما يقترب من أعمال العدمية: «لقد سمح الرومانسيون بلحظات من الرضا عن النفس، في حين أجبر إيفان نفسه على فعل الشر حتى يكون متماسكاً. وقال إنه لن يسمح لنفسه أن يكون جيداً. العدمية ليست فقط اليأس والنفي، ولكن قبل كل شيء، الرغبة في اليأس والنفي».

في التمرد الميتافيزيقي، يلعب الإنسان دور الله، لكن عندما يصبح الله، ينكر نفسه، لأنه لا يمكن أن يوجد إلا إله واحد. هذا الإجراء الميتافيزيقي، بالتالي، يطرح السؤال عما إذا كان من الصواب أن نتحدث عن التمرد اسمياً، لأنه «لا يمكن للمرء أن يعيش في حالة تمرد إلا من خلال متابعته حتى النهاية المريرة. ما هي النهاية المريرة للتمرد الميتافيزيقي؟ الثورة الميتافيزيقية. سيد العالم، بعد أن تم الطعن في شرعيته، يجب الإطاحة به. ومع ذلك، فإن عمل إيفان لم يصل إلى ذروة النفي المطلق للثورة، لأن فعله هو نتيجة حب غريب للبشرية، حب مقدر له أن يتضور جوعاً»:

وحدة العالم، التي لم تتحقق مع الله، ستحاول من الآن فصاعداً أن تكون في تحد مع الله. لكننا لم نصل بعد إلى هذه النقطة. في هذه اللحظة، يقدم لنا إيفان الوجه المعذب للمتمردين الذين سقطوا في الهاوية، وجهاً غير قادر على العمل، ممزّقاً بين فكرة براءته والرغبة في القتل. يكره عقوبة الإعدام لأنها صورة للحالة الإنسانية، وفي الوقت نفسه، يتم جره إلى الجريمة. لأنه أخذ جانب البشرية، فإن العزلة هي لكثرة، ومعها يتوج تمرد العقل بالجنون.

سيكون النضال موجوداً دائماً لدى المتمرّد، لكن التمرد الميتافيزيائي يحاول الاستغناء عن النضال بدلاً من توقعه ويجد نفسه يقبل العزلة كثمن.

نيتشه يضع الله في مخطط جديد للحكم الأخلاقي في مواجهة مع العبثية: «الأخلاق هي الجانب النهائي لله، والتي يجب تدميرها قبل أن تبدأ إعادة الإعمار. ثم الله لم يعد موجوداً ولم يعد مسؤولاً عن وجودنا، يجب على الإنسان أن يتصرف، من أجل الوجود». شعار نيتشه يتفوق على «مزايا عصرنا: لا يوجد شيء صحيح، كل شيء مسموح به».

القيمة الوحيدة لنيتشه هي الأخلاق، ولكن الأخلاق التي لا تضرب بجذورها في الله أو العالم، ولكن في الوضوح الفردي. وهكذا، فإن الإنسان لوحده عند نيتشه. الحرية والوحدة غير موجودة بين الكثيرين، ولكن فقط في الفرد وفقط في فرد معين، الرجل الخارق. وهكذا، توجد الحرية والوحدة في العقل وفي العزلة المتعمدة لنيتشه: «حرية العقل ليست راحة، بل هي إنجاز يتطلع إليه المرء ويتحقق أخيراً بعد صراع مرهق».

في هذا النضال، حل نيتشه محل الله، لكي يقول نعم للعالم ويصبح أخيراً مبدعاً جديداً له، أي يصبح فناناً. ومع ذلك، يدمر التمرد، لأن الكفاح ينتهي في التكفير عن الإنسان؛ تمجيد الشر مع الخير، والإنسان يمكن أن يكون العبد والسيد على حد سواء طالما كان يعيش في عزلة وحرية عقله. لذلك يتحول نيتشه في قتل الله، إلى نفي مطلق؛ حيث لا يوجد هدف أو قيمة في العالم، كل شيء هو عدم. في هذا النوع من العيش، يجب تحقيق كل شيء في العالم من خلال قوة ديكتاتورية قيصرية تتحقق بقوة الإرادة لتحرير عقل الفرد من جميع القيود.

من خلال هذه الضربة الأخيرة للتمرد من خلال عدمية نيتشه، يجب علينا أن نرفض التمرد الميتافيزيقي، لأنه يتنكر كـ«وجه الاحتجاج الإنساني» مدعياً بالموضوعية في تأكيده على «وحدة الإنسان وعدم وجود أي نوع من الأخلاق». ولكن من الناحية الواقعية، فإن هؤلاء الناس إما أن يعتزوا بأنفسهم عن طريق إعادة بناء العالم ليناسب رغباتهم ويكسبوا أنفسهم السلطة حتى على حساب القتل، أو يهربون من الواقع. الحياة تحولت إلى عالم من الموت والدمار.، سعى الرومانسيون، ساد، كرامازوف ونيتشه، إلى الاستجابة لثقافة الموت هذه، وكان هناك نداء حقيقي في صميم مهامهم.

على الرغم من أنهم في تمرداتهم الميتافيزيقية، غادروا عالم القيود غير راغبين في تحمل التوتر وعبء التمرد الذي أدى إلى تدمير الحرية وعودة الإنسان إلى العبودية السابقة.

في محاولة للتوفيق بين الواقع والعبث، يفرض الإنسان السوبرمان مبادئه على الطبيعة. هذا يصل بجميع أفعاله إلى تدمير الموت وغرس نوع من الوحدة الزائفة في مكانه خوفاً من عدم الوجود، بحيث يكون «رفض الموت، والرغبة في الخلود والوضوح، بمثابة المحرك الرئيسي لكل هذا البذخ». تمييزاً للثوري، يظل عمل المتمردين تمرداً لأنه «لا يطلب الحياة، بل أسباب العيش». وبعبارة أخرى، لا يهتم المتمرد بألم الموت، بل إنه يقبله ويحول تركيزه إلى إيجاد معنى في الحياة حتى لو كان الموت لا يزال يجب تحمله للعيش جيداً. في تفانيه الشديد للعمل والرغبة في وحدة معنى العيش - في قبوله لحياة التوتر - يصف كامو التمرد بأنه نوع من الزهد. إن عجز تمرد الميتافيزيقيا عن الانضباط الذاتي في رفض قبول العبثية يخفض كل شيء إلى عمل ثوري تدمر فيه الحياة:

«في كل مرة يفسر فيها الرفض التام والنفي المطلق لما هو موجود، فإنه يدمر. في كل مرة يقبل فيها عماء ما هو موجود ويعطي صوتاً للموافقة المطلقة، فإنه يدمر مرة أخرى. يمكن أن تتحول كراهية المبدع إلى كراهية الخلق أو إلى الحب الحصري والمتحد لما يوجد. ولكن في كلتا الحالتين ينتهي إلى القتل ويفقد الحق في أن يسمى تمرداً».

هذا الدمار هو عهد العدمية. في ذروة التمرد الميتافيزيقي، هناك اعتراف بـ«إيفان» حتى لو كان إيفان، في موقف عدمي. يدمر التمرد الميتافيزيقي أي

أمل في التمرد الأصيل المتجذر. يجادل كامو بأن ثقافة الموت هذه بدأت عندما انتهى العالم القديم الذي يقرر فيه الإنسان «أن يقصي نفسه ويعيش بوسائله الخاصة». وبالتالي، يجب جمع شمل رفات الذين سقطوا، وفقاً لكامو، في مملكة عدل جديدة تُمنح فيها الحرية «وتحتضن البشرية جمعاء». تسعى المملكة الجديدة إلى مكافحة التدمير الثوري للعدمية، حيث تكون «إرادة السلطة» هي القوة التي تساند الحياة. لذلك يجب نسيان التمرد الميتافيزيقي، لأن الإنسان الحقيقي في بحثه عن النظام ينسى أصوله. لقد أخرج الله من جنته، ولكن الآن بعد أن جمعت روح التمرد الميتافيزيقي صراحة القوى مع الحركات الثورية، والمطالبة غير المنطقية بالحرية، فإنها تتبنى العقل كسلاح، وكوسيلة الفتح الوحيدة التي تبدو إنسانية بالكامل. بموت الله، يبقى الجنس البشري... العدمية، التي، في خضم التمرد، تخمد قوة الخلق، تضيف فقط أن هناك ما يبررها في استخدام كل وسيلة تحت تصرف الفرد.

هذه الإنسانية المناهضة للإلهية، بالتالي، تتألف من عمل مستقل يتم فيه خنق الخلق، وموت الله، وهكذا يوجد الإنسان بمفرده. يعيش الإنسان في عزلة في هذه الإنسانية الأنانية، بدلاً من الحرية والتضامن كما يقترح كامو عن طريق التمرد: «أنا متمرد، لذلك أنا موجود»، ويضيف، وهو يضع خططاً هائلة في الاعتبار تشمل حتى الموت والتمرد: «نحن وحدنا». في هذه الإنسانية المدمرة، فإن نيتشه في «إرادة القوة» يرى أن القوة الرائدة تجبر الرجال على الاعتقاد بأنهم غير مقيدين بقوة الحرية في الوصول إلى القوة. لكن تحت تأثير هذا النمط من الحياة، يتضح أنه لا يمكن أن يكون هناك سوى إنسان حر واحد، حيث يقبع في العبودية تحت سلطة الإرادة الأقوى.

هناك جانبان يسخران من الإنسان في هذا التمرد الميتافيزيقي، وهما الحاجة إلى الحرية، والوحدة. كان كامو في قلب الثورة في البداية محتجاً على المتمردين الذين يرغبون في التحرر من العبودية ويبحثون عن المعنى والوحدة؛ في ذروة العدمية، «الإنسان، الذي كره الموت وإله الموت، الذي يئس من البقاء على قيد الحياة، أراد أن يحرر نفسه في خلود النوع» إلى حد يستلزم تبرير أعمال القتل تجاه أولئك الذين يقفون في طريق هذا الخلود.

التمرد التاريخي

الرجل الذي يسعى إلى فرض مبادئه الميتافيزيقية على الإنسانية، يغير نظرته إلى التاريخ. يرى كامو التاريخ كأساس لسياق عملي يكون فيه مستقبل غرس المبادئ الميتافيزيقية حقيقة واقعة من أجل الحرية المطلقة، وهو استجابة الإنسان النشطة لشرور الماضي. ومن هنا يتحول كامو إلى التسلسل الزمني للموت من خلال التمرد التاريخي لإظهار كيف لا يمكن العثور على القيمة من خلال «منطق التاريخ» داخل التاريخ أو فرضه عليه، لأن «منطق التاريخ، منذ اللحظة التي يتم فيه قبوله تماماً، يؤدي به تدريجياً ضد اعتقاداته الأكثر عاطفية، تشويه الرجل أكثر فأكثر وتحويل نفسه إلى جريمة موضوعية». يؤدي تاريخ هذا العمل القاتل إلى «بداية العصور الحديثة» مع عمليات القتل في عام ١٧٨٩ أثناء الثورة الفرنسية. كان الثوريون مهتمين بـ«مهاجمة شخص الملك، وليس مبدأه». «لقد أرادوا ملكاً آخر وكان لهم ذلك».

مع وفاة ملك فرنسا، يسعى كامو، من خلال إظهار أن الإنسان علماني الجنس البشري، إلى إنزال الملك عن عرشه، عن منصبه الإلهي، من خلال استبدال المسيحية بـ«عيد العقل» الذي يعرض زهداً دينياً مشابهاً في الممارسة

للعبادة المسيحية المكرسة للعقلانية «الإنسانية المقدسة». إن المطالبة بالتحرر من اضطهاد الملوك والوحدة المجتمعية للناس، هي المبادئ العليا التي ترسخ نفسها في هذا السياق التاريخي. عقلية سان جوست الثورية تعيد تعريف السمو الإلهي على أنه «لا يمكن الاستشهاد به أمام القضاة العاديين. إنه فوق كل شيء. وهكذا يتم إعلان تجاوز الجنرال».

في ظل الحكم المطلق للإرادة العالمية «المطلقة»، «كل ملك مذنب». وهكذا، يتم تجاهل الله. ومن الناحية المثالية يتم تأكيد ألوهية جميع الشعوب «إلى الدرجة التي تتزامن فيها إرادة الناس مع إرادة الطبيعة والعقل». تصبح الحرية المطلقة التي تبرر قتل المذهب، هي مبدأ التوحيد المتسامي في فرنسا. هذا يؤشر إلى حالة من الرعب في عام ١٧٨٩ حيث «المقصلة تمثل الحرية».

في جلب مبدئه الميتافيزيقي، «روح العالم»، إلى مكان تاريخي من ثلاث مراحل من الوحي، يقتل هيغل التعالي إلى جانب الله. لا يزال الإحساس بالإلهي موجوداً في مفهوم المبادئ المتعالية، ولكن من أجل جعل الألوهية البشرية ذات طبيعة بشرية صارمة، يجب على هيغل إخضاع مبدئه الميتافيزيقي إلى جوهر الزمن التاريخي.

في إعطاء الإنسان هيمنة مشددة، يتغير عمل هيغل التاريخي من التمرد إلى الثورة بقدر ما يأخذ ثنائية «السيد العبد» أبعد من القصد في أن يصبح السيد، بدلاً من رفض العبودية باعتبارها الفعل الضروري. يوضح هيغل تشوه الإنسان الناجم عن تداعيات «منطق التاريخ».

اعتمد ماركس، من بين فلاسفة ناشئين آخرين، الهيغلية على أساس أنها يوتوبيا سياسية. ومع ذلك، فإن التركيز على ماركس يعني أن التاريخ يحتاج

إلى تغيير - لا يتم إدراكه بشكل طبيعي في حد ذاته - بحيث يمكن للمستقبل الحقيقي للحرية العالمية أن يزدهر. الشيوعية والشمولية عن طريق إزالة جميع الممتلكات الشخصية، سوف تدمرا الصراع الطبقي، والرؤية الحقيقية للحرية عند ماركس. ليست الشيوعية هي بنية سياسية مثالية، ولكن المجتمع في البداية «يهدف إلى تحرير جميع الناس من خلال استعبادهم جميعاً»، لأن الإنسان لا يستطيع أن يدرك حريته إلا في إجباره على التغيير. على الرغم من أنه عندما تمارس هذه البنية الهشّة من قبل حرية هتلر، تصبح مقصلة:

«تدمير الإنسان مرة يؤكد الإنسانية. معسكرات الإرهاب والاعتقال هي الوسائل الصارمة التي يستخدمها الإنسان للهروب من العزلة. يجب تهدئة التعطش للوحدة، حتى في القبر المشترك. إذا قتل الناس بعضهم البعض، فذلك لأنهم يرفضون الموت ويريدون الخلود لجميع الناس. لذلك، من ناحية، ينتحرون. لكنهم يثبتون، في الوقت نفسه، أنهم لا يستطيعون الاستغناء عن الجنس البشري؛ إنه الجوع الرهيب للإخاء».

في حركة هتلر، حصلنا على أدلة تاريخية لفرض أنانية شخصية على مبادئ ميتافيزيقية تدعي أنها تتصرف بموضوعية في فلسفته. إن التدمير المطلق لكل الوجود كما هو موجود في خراب معسكرات الاعتقال، يرتكز على «إرادة القوة» العدمية ويقف على حافة الثورة المطلقة من الناحية النظرية، حتى لو لم يكن بالإمكان إدعاء أنه ينظر إليها عملياً: «العدمية ثورة، يتم التعبير عنها تاريخياً في الديانة الهتلرية، وبالتالي أثارت شغفاً لا

لبس فيه، والذي انتهى بالتحول ضد نفسه... لنفسه، من أجل شعبه، ومن أجل العالم، ولم يكن سوى مثال للانتحار والقتل».

من خلال هذه الأمثلة، قدم كامو دليلاً على أن التمرد التاريخي متجذر في المطلقات التي بلغت ذروتها في العدم المطلق. التمرد الميتافيزيقي، الذي يوفر «منطق» المبادئ التي تحكم تصرفات الناس في التاريخ، يؤدي إلى الرغبة في تحرير الإنسان من العبودية. هذه المبادئ، إذاً، متجذرة في حقيقة زائفة وأنانية.

وبالتالي، فإن التمرد التاريخي والميتافيزيقي لا يمكن أن يُطلق عليهما بحق اسم التمرد، وفقاً لكامو، لأنهما متجذران في الاستبداد في العدمية: «هذا شر شائع في جميع الأوقات ومنتج للعبودية... إن مأساة هذه الثورة هي مأساة العدمية - فهي تتشابك مع دراما المفهوم المعاصر، والتي، على الرغم من أنها تدعي أنها عالمية، إلا أنها مسؤولة عن سلسلة من التشويهات لعقول الناس».

عهد المتمردين، إنسانية جديدة

يمثل كامو، في رفضه النهائي للتمرد الميتافيزيقي والتاريخي، نهاية حجته في المتمرد. في هذه المرحلة، نحن مدعوون كقراء للعودة إلى الكون العبثي بصمت - «نقطة الانطلاق» - وهي مرحلة يظهر فيها البطل، رجل العمل، المتمرد. المتمرد محارب وفنان.

كمحارب، فهو يناضل من أجل حرية الإنسان في الحفاظ على كرامة الحياة البشرية وقانون الاعتدال في حدود قدرته كإنسان. يجب عليه أن يقبل هذه الحدود من أجل الإستمرار في الكفاح ضد العبث بشكل صحيح في هذه المعركة.

حرية القتل، ليست متوافقة مع الشعور بالتمرد... يريد المتمرد أن يتم إدراك أن الحرية لها حدودها في كل مكان حيث يمكن العثور على إنسان - الحد الأقصى هو بالتحديد قوة البشر في التمرد... الحرية التي يطلبها، يطلبها للجميع؛ الحرية التي يرفضها، يحظر على الجميع التمتع بها. إنه ليس العبد ضد السيد فحسب، بل هو إنسان ضد عالم السيد والعبد.

الحرية، بالتالي، ليست مطلقة، ولكنها تركز على الطبيعة المحدودة للإنسان.

كفنان، تسعى رغبته في الوحدة والمعنى إلى إعادة رونق كرامة الإنسان من خلال خلق لوحة عمل ترسم حقيقة قبول المتمردين ورغبتهم في الكفاح. ويصف كامو بأن هذا العمل هو إنسانية جديدة حيث ولد فيها الرجل الجديد، المتمرد، ويقرر التضحية بنفسه في تمرده، لأنه العمل الوحيد الذي يسمح بالمعنى في الحياة، والذي قد يجد فيه الأمل والحب وسط معاناته:

«تمرد باسم هوية الإنسان، وضحى بهذه الهوية من خلال تكريس التمايز في الدم. وجوده الوحيد، في خضم المعاناة والاضطهاد، كان موجوداً في هذه الهوية. يمكنه الادعاء بأن البعض، أو حتى الجميع تقريباً، معه. ولكن إذا كان هناك إنسان واحد مفقود في عالم الإخاء الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فعندئذ يصبح العالم محروماً من السكان».

حب المتمردين هو حب إيفان الغريب للإنسانية، وأمله هو تضامن تقاسم عبء الحياة بشكل جماعي؛ حيث يجب على كامو أن يرفض الإله

الأقل تعاطفاً. يقدم هذا الحب الغريب للمتمردين هوية ذاتية، وفردية جديدة وإيجابية، تُفهم فيها هوية الرجل في ضوء التضامن على أنها «أحتاج إلى الآخرين الذين يحتاجون إليّ ونحتاج لبعضنا البعض». يختلف عن بقية الحداثيين الذين يعيشون في إنسانية مناهضة للإنسانية والعلمانية طالما ظل كفاحه إلى الأبد في الوقت الحاضر؛ إنه لا ينظر إلى المستقبل، ولكنه يحارب دائماً في الحاضر. يعتقد الثوري دائماً أن الحاضر يجب أن يتوافق مع مستقبل «أفضل» قادم، حيث هناك ما يبرر كل شيء في ضوء تحركه نحو شيء أكبر من نفسه.

وهكذا، فإن المتمردين، مع مراعاة علمانية شخصيتهم، يقبلون جميع المعاناة من أجل الصالح العام للإنسان، لتحمل العبء معاً، ولكن معاناتهم هو مهمة أبدية في جوهرها بدلاً من خلاصهم من مفهوم متعال يجعل معاناتهم أكثر بشاعة. إنهم لا يهربون من الموت ولا يحاولون تدميره مثلهم الثوري. يقبل المتمرد الموت كتوتر لا مفر منه؛ «يثبت التمرد بهذه الطريقة أنه حركة الحياة». ويترك الأمر للمستقبل، مرة أخرى، مع التركيز على حبه والأمل في لحظة الحاضر لتوضيح رونق كرامة الجنس البشري:

«إن الجمال، الذي يتمثل في الواقع مع إعطائه الوحدة، هو أيضاً التمرد... أثناء التمسك بالجمال، نجهز الطريق ليوم التجديد الذي ستمنح فيه الحضارة المركز الأول».

نهاية المتمردين ليست قبول عدم معنى في العبثية، وإنما لإيجاد معنى، بينما لا يزالون يعترفون بأنه بسبب عدم وجود سبب متعالي يجذب المرء إلى المستقبل، من الضروري قبول الحياة كما هي والعيش في الوقت الحاضر.

مهمة المتمرد هي العثور على سبب للعيش حتى لو كان لا يزال يتعين عليه قبول الموت. لا يقتصر سعي كامو على بناء مجتمع فحسب، ولكنه يدعو جميع الناس، أنت وأنا، إلى التمرد، لأننا «وصلنا إلى أقصى الحدود الآن. في نهاية نفق الظلام هذا، لا بد من وجود ضوء... لدينا فقط القتال لضمان بزوغه. كلنا، من بين الأنقاض، نستعد لنهضة تتجاوز حدود العدمية. لكن القليل من الناس يعرفون ذلك». من أجل خروجنا عن طرقنا الأيديولوجية، يدعونا كامو إلى الانحناء البطولي للتوتر الأبدي للعقل العبثي ومنح أنفسنا بشجاعة للتمرد، مثل قوة قوس أوديسيوس، وألا نستسلم أثناء نضالنا لتحقيق الأمل في الوقت الحاضر:

«في هذه اللحظة، عندما يتعين على كل واحد منا أن يضع سهماً في قوسه، لاستعادة التاريخ، يولد إنسان في النهاية. أثناء انحناءات القوس؛ يشكو الخشب. في لحظة التوتر الأعلى، هناك قفزة في رحلة سهم ثابت، رمح غير مرن».

لقد انتهت معاناة كامو، لأنه لم يعد وحده. لقد أصبح رمح الأمل غير المرن، الذي يبدو بلا معنى واضح في تأسيس الإنسان، ذا معنى. لن يتوقف العبث عن الوجود بالنسبة إلى كامو، لكن الإنسان سيتعلم الانحناء وقبول توتر جوهره من خلال دعم التضامن مع الرجال الآخرين. هذا الرجل الجديد، إذاً، المتمرد، وجد حريته في مواجهة عالم صامت من خلال القوة من الداخل والخارج. في هذه اللحظة، هناك أمل لكل إنسان، لكامو في عمله، حيث أسس المتمردون إنسانية جديدة كرد فعل لعالم لا معنى له من خلال التضامن والحرية والأمل في وجه العبثية.

مشكلة الانتحار

مشكلة الانتحار، هي واحدة من القضايا الأكثر تعقيداً ومناقشة منذ العصور القديمة حتى الآن. وقد دُرست هذه الظاهرة من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين العظماء. إنه أيضاً السؤال الرئيسي المطروح في مقال ألبير كامو «أسطورة سيزيف». يبدأ كامو عمله بالتحديد من خلال التأكيد على أهمية قضية الانتحار. إن الحكم على ما إذا كان الأمر يستحق العيش أم لا، هو الإجابة على السؤال الأساسي للفلسفة. ويشير إلى أن هناك مجموعة متنوعة من الأسباب لهذه الظاهرة - بعض الناس ينتحرون باسم الأفكار التي تفسر حياتهم، والبعض الآخر - على وجه التحديد بسبب عدم وجود مثل هذه الأفكار، لأنه لا يوجد شيء منطقي. لذلك، يشير كامو، كمسألة أساسية في عمله، إلى معنى الحياة. ويلاحظ كامو أيضاً أن الانتحار كان يُنظر إليه دائماً على أنه ظاهرة اجتماعية - وهو أمر لا يتفق معه هو. في رأيه، هو الحل الفردي الذي يولد في عمق اللاوعي البشري. إنه نوع من «الكشف»، حيث يعترف المرء بأنه فشل في التعامل مع الحياة، وأن الحياة قد تغلبت عليه، وأنه لا يجد معنى في العادة والروتين في الحياة اليومية، ويبدو أنها لا معنى لها ولا جدوى منها. إنه يفصل ويطرد من العالم المحيط به ويؤدي به إلى الشعور بالعبث.

الموضوع الأول في عمل كامو، هو بالتحديد العلاقة بين العبث والانتحار، وبشكل أدق كيف يتحول الانتحار إلى حل للعبث. الموضوع الثاني يتعلق بـ«الدفاع ضد الموت». كما يقول كامو نفسه: «هناك شيء أقوى في إرتباط الإنسان بالحياة من كل مشاكل العالم. قرارات الجسد ليست أقل

أهمية من قرارات الروح، والجسد ينكر التدمير. نحصل على عادة العيش قبل أن نحصل على عادة التفكير». غرائزنا الفطرية تقاوم للحفاظ على الذات والرغبة في الحفاظ على حياتنا على حساب كل شيء. الموضوع الثالث هو «الأمل». بمجرد أن يدرك المرء عدم جدوى الحياة، وهو ما يعبر عنه في رتابة روتينه، يحاول أن يثبت أن ما أدركه لا يمكن أن يكون صحيحاً. يرفض قبول أنه ليس لديه سبب للعيش، ويبدأ في البحث عن معنى وجوده، ويأمل أن يكون هناك هدف رئيسي، وبعض المعاني العميقة. إنه لا يريد تحمل العبثية.

لذلك، يمكن صياغة المشكلة المركزية في مقالة كامو على النحو التالي: «هل العبثية تقود إلى الموت؟» من أجل إعطاء إجابة دقيقة على هذا السؤال، كما يشير كامو نفسه، من الضروري أن يكون ذلك منطقياً وعقلانياً، من دون أي حماسة غير ضرورية. كامو يسمي هذا «المنطق العبثي» - وهو المنطق غير العاطفي. قال باسكال، هذا الرجل عظيم في براعته ومغرور في جلالته. هل الأفضل ألا نجهل أنفسنا إذا كنا نريد أن نكون سعداء؟ إن عبث الحياة هو جواب على هذا السؤال. يقول كامو إن العبث يعتمد على كل من الإنسان والعالم. لكن العبث ليس في الإنسان، وإنما في العالم، في «عالم الإنسان». حقيقة أننا نفعل الشيء نفسه كل يوم دون إيجاد معنى لوجودنا، هي العبثية. «الاستيقاظ وركوب الترام وأربع ساعات في المكتب أو المصنع أو الغداء أو ركوب الترام أو أربع ساعات من العمل والعشاء والنوم ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، نستمر في نفس الإيقاع». الرجل الذي أدرك العبث يظل معه إلى الأبد. «لقد سئم من عمر

الآلة، وهذا الإرهاق هو الذي يسبب ضجة في الوعي. إنها توقظه وتؤشر إلى نتيجتين محتملتين للخلاص من العبثية. ووفقاً لكامو، فإن هاتين النتيجتين هما: الأمل (وهو ما يسميه الاستعادة) والانتحار: المثابرة والبصيرة من قبل المشاهدين المميزين في هذه اللعبة اللاإنسانية، حيث يتبادل العبث والأمل والموت، والانتحار، الذي هو شهادة على أن المرء لا يكاد يستطيع إدراك الإحساس المحيط ووقاحة الحياة اليومية المتكررة و«روتين الحياة». «إن الانتحار ليس مخرجاً، ولا تراجعاً لائقاً عن العبثية، بل هو هروب منه، ونهاية حياة بلا هدف، واستقالة. إنه النقطة النهائية التي تؤدي حتماً إلى إنكار معنى الحياة». يقول كامو إن الحياة لا ينبغي أن تُنسب إلى المعنى، وإنها تؤدي حتماً إلى إدراك أنها لا تستحق العيش، فهذه الأفكار تقضي على كل آفاق المستقبل، وتقتل كل أمل، وتوقف مجمل التطلعات الطبيعية. هذا يوقف نمو الفرد ويدفعه إلى وضع حد لحياته.

الأمل في أن تكون الحياة منطقية، من ناحية أخرى، يجعلنا نبذل قصارى جهدنا لإثبات جدوى وجودنا وأهميته. يحفزنا التمرد ضد الروتين والرتابة، وإنكار الجمود ورفض قبول ذلك. التمرد ضد العبث اليومي الذي يحيط بنا محكوم عليه بالفشل. وهو ما يعادل عمل سيزيف الذي بلا جدوى. «سيزيف هو البطل العبثي. إن ازدراء الآلهة وكراهية الموت والتعطش للحياة قد أوصلته إلى هذا التعذيب الذي لا يوصف. هذا هو الثمن الذي تدفعه المشاعر الأرضية». بجهد كبير، يدفع سيزيف الحجر إلى الأعلى، ولكن قبل أن يصل إلى هدفه، يسقط الحجر ويبدأ كل شيء من البداية. معركة سيزيف مع نفسه ومع العالم ليست عبثية. على الرغم من الإحباط

والعقم في هذا العمل، إلا أنه يجلب العزاء الأخلاقي. الشعور بأنك جئت إلى مكان تكاد تموت فيه، ثم تحاول مرة أخرى. وعلى الرغم من أنه يعرض حياته للخطر، فإن سيزيف لا يستسلم، ويبدأ دائماً من جديد. «هنا فرحة سيزيف الصامتة الكاملة. مصيره ينتمي إليه. صخرته هي الشيء الحقيقي». لقد وصل إلى انتصاره على القدر، وعلى معاناته وحزنه، وقبل كل شيء على عبث وجوده، لأنه عميق في نفسه، أمل لا يصدق وغير محدود - للوصول إلى ما لا يمكن بلوغه.

إن عبثية كامو هي في أن التمرد ضد العبث لا يعني الوصول إلى شيء أفضل (وهو أمر مستحيل من الناحية العملية) ولكنها غاية في حد ذاتها - تمرد باسم التمرد نفسه، كفاح مستمر ومحاولة خلق إحساس بالمقدرة والبطولة. «إن كفاح الرغبة في الوصول إلى القمم يكفي لتحقيق القلب الإنساني. يجب أن نتخيل أن سيزيف سعيد». وبالمثل، «يجب أن يكون كل شخص لديه هدف في الحياة سعيداً، لأنه حتى لو لم يدفع الحجر إلى النهاية، على الأقل فإنه يشعر بالارتياح لأنه قد نقله على الأقل في فترة أقرب إلى الهدف».

المشي على حافة شفرة

للدخول إلى العالم الأدبي لألبير كامو، يجب على المرء أن يدرك، أولاً، أنه يتعامل مع مؤلف لا يؤمن بالله. لذلك، من المحتمل أن يُتوقع من الشخصيات الرئيسية في خيال كامو، إما أن تصدق أو تصارع مشكلة الإيمان. قد تكون استجابة المرء الأولى عندئذ، كقارئ، هي دراسة موجزة لما قد يحدث للشخصية التي تدرك أنه لا يوجد إله. ماذا يحدث عندما يدرك أن

موته نهائي، وأن أفراحه، وخيباته، ومعاناته، عبارة عن وميض قصير يخبرك بحياة أخرى من العدم؟ ما هي التغييرات التي تطرأ على نمطه اليومي المتمثل في تناول الطعام والنوم، هل يجب عليه الآن القيام بالتغيير؟ تماماً مثل جوزيف ك. عند كافكا، فهم الرجل المعني بشكل مذهل أنه محكوم عليه بالفراغ الأبدي - رغم عدم وجود جريمة. فقط لأنه جزء من دورة موت بلا معنى، هو محكوم عليه؛ حقيقة الموت ووفاته هي كل شيء. يرى، باختصار، أن النهاية ركزت على شاشة مستقبله، على الشاشة التي اعتاد عرض أحلامه وآماله عليها. الأمل القائم على أي شيء فوق طاقة البشر، أصبح الآن غير ذي جدوى. يرى نهاية له ولزملائه. ثم ماذا؟ الانتحار، إذا كان كل شيء لا معنى له؟ أم رحلة العودة العمياء نحو الله، رغم أنه صامت دائماً؟

هذا الاهتمام بالموت وهاوية عدم وجوده، هو الأساس لمعظم أعمال كامو الأدبية. شخصيات كامو المدانة بشكل دائم من الأبدية، غالباً ما تعاني من تورط مؤلفها وكربه؛ وبالنسبة إلى قرائه، فإن الاعتراف بحقيقة موتهم هو نقطة الانطلاق لمواجهتهم وتجربتهم لمفهوم كامو عن العبثية.

ومع ذلك، كخلاص، من اليأس والعدمية، يحتضن كامو نوعاً من التفاؤل الإيجابي - التفاؤل بمعنى أن هناك تركيزاً كبيراً على مسؤولية الإنسان عن حضارة العالم. الشخصيات الروائية، لذلك، التي تتحمل مسؤوليتها المميتة الجديدة، غالباً ما توصف بأنها متمردة. في التمرد على الانتحار الجبان ورحلة الإيمان الجبانة على حد سواء، يوحي التفاؤل الجديد بعودة الإنسان إلى مركز حبل فلسفي مشدود فوق الموت الجسدي الشديد، وفي ثورته، يؤدي أداء غير مستقر. رغم تهديد الموت، في مواجهة الموت،

يتصرف مالكو الميتافيزيقا «كما لو» كانت أفعاله مهمة. من الواضح أنهم لا يقومون بأي عمل ذي معنى بعيد المدى. وبدلاً من الاحتيال على أعمدة الأمل أو الانتحار، فهو يعلم أنه سيسقط في النهاية، لكنه يبقى في الوسط. من الواضح أن حياته ليست مهمة في نهاية المطاف. الموت نهائي. لكن، مثل المهرج، يخلق أعمالاً جديدة وترفيهات جديدة - وإيماءات. مستغلاً موقفه المحفوف بالمخاطر في موجة جديدة من الحرية، يعيد هيكلة أفعاله، وعلى النقيض من الموت، ينشر الفرح والشعور بالمسؤولية العبثية.

المشي على حافة شفرة الحلاقة «كما لو»، يعني أن الإنسان يجب أن يتصرف مع زملائه كما لو كان للحياة معنى؛ باختصار، الذين يعيشون في عبثية. مع العلم أن الإنسان تخلص الآن من الخرافات ونظريات الاستجواب؛ يستطيع الآن أن يتجاهل العقائد الدينية التي تفترض أن الإنسان خاضع لشيء إلهي وأزلي. ليس للإنسان الآن عذر للفشل، عليه أن ينقذ نفسه. «إرادة الله» كذريعة للفشل لم تعد صالحة. الإنسان ينجح أو يفشل بسبب القوة في نفسه. كل إنسان يتصرف كممثل للبشرية جمعاء؛ إنه مسؤول عن خلق السلام في العالم. لن تعود صلاة الأحد تكره يوم السبت. إنه مسؤول عن الجميع وهو وحده تماماً. يتحدى كامو الإنسان للقيام بالعمل الذي كلفه الله به حتى الآن.

مكتبة
t.me/t_pdf

الحقيقة والعبث

ريبيكا لونغ

«الغريب» لألبير كامو، هي رواية عن ميرسول Meursault وكيف هو «غريب» في المجتمع. لقد أصبح الجمهور يعرفه كقاتل، وفي هذه الحالة، قام بقتل عربي. لكن ما يفشل الجمهور في فهمه هو افتقاره إلى المشاعر تجاه قتل رجل، على الرغم من أنه لا ينبغي أن يكون جزءاً من هذه القضية، فإن فشل ميرسول، يكمن في الحداد على أمه الميتة. المجتمع لا يفهم معتقداته الوجودية. معتقداته الوجودية تؤدي به إلى الاعتقاد بأن حياته ليس لها معنى. الحس السليم لدى ميرسول هو أن الجميع يموتون في نهاية المطاف، وأن حياتهم لا تهم في النهاية. ميرسول «غريب» وعبثي في المجتمع، لأنه لا يظهر أي عواطف، وليس لديه أي معنى في الحياة، واليقين والضمان الوحيد لديه هو الموت.

يختلف ميرسول عن المجتمع عقلياً وعاطفياً، وحتى المجتمع لا ينظر إليه ككائن حي في الطريقة التي يظهر بها ملامحه العاطفية. لم يحزن ميرسول على والدته في جنازتها ورفض رؤية جسدها في النعش. «لأنه صادق في إيمانه، يُحكم على ميرسول بأنه وحش من قبل المجتمع ويُحكم عليه بالموت». وهذا يدل على مدى فشل المجتمع في فهم كيف يشعر. لا يظهر ميرسول أي عواطف بسبب حقيقة أنه ليس لديه أي معنى في الحياة. إنه لا يشعر أن حياته تحدث فرقاً هائلاً في العالم، إلى جانب حياة العربي الذي قتله. لا يشعر ميرسول بأي ندم على جريمة القتل، ولكنه يشعر بالانزعاج أكثر من حقيقة

أنه قتل رجلاً وأنه يتم إجراء مثل هذه الصفقة الكبيرة. لقد كان منزعجاً ومتضايقاً من عملية الإدانة، وأن المحكمة قد أخضعته للإدلاء بشهادته، وأن هيئة المحلفين لم تستطع رؤيته كرجل له احتياجات قليلة في حياته. إنه لأمر مخز أن القضية برمتها كانت متورطة في مثل هذه الصفقة الكبيرة، ولكن في الواقع، كانت ولا تزال جريمة قتل شخص ما كبيرة. جعل كامو الأمر يبدو كأن كل الانتباه نحو ميرسول كان مزعجاً جزئياً، وبما أنه أقر بأنه مذنب وكل الأدلة تشير إليه، فينبغي أن يقضي وقت سجنه مثل أي شخص آخر. عندما تبين لهيئة المحلفين والمحكمة أن والدته توفيت مؤخراً وأنه لم يبك عليها مثل «الشخص العادي»، قالوا «لقد كان أمامهم أبسط الجرائم، وهي جريمة أصبحت أسوأ من مروعة بسبب حقيقة أنهم كانوا يتعاملون مع وحش، رجل بلا أخلاق». حقيقة أن المحكمة وهيئة المحلفين نظرت إلى ميرسول على أنه «وحش» و«رجل بلا أخلاق» هي حقيقة جزئية، ولكنها غير صحيحة. بالنظر إلى أن ميرسول مؤمن بالعبثية، فإن افتقاره إلى معنى الحياة يجعله أقل أخلاقاً من الشخص «العادي». ميرسول «غريب» في المجتمع، حيث يفشل المجتمع في فهم أنه ليس وحشاً، لكنه رجل بسيط وله احتياجات قليلة ولديه أخلاق مختلفة، ثم إن كل شخص لا يعرف كيف يفكر. ميرسول هو رجل يشعر أن حياة رجل واحد لن تغير الكون كله وتؤثر على كل إنسان يعيش فيه.

يختلف ميرسول عن المجتمع بسبب افتقاره للعاطفة وله أخلاق مختلفة.

يفسر ميرسول بوضوح معتقداته وكيف لا يوجد في النهاية معنى في الحياة. إنه لا يتصرف كأنه يهتم بموضوعات يجب أن تكون ذات أهمية بالنسبة إليه، مثل ماري، صديقته، التي اقترحت أن يتزوجا، وكان رده:

«قلت إنه لم يحدث أي فرق بالنسبة إلي ولكن يمكننا ذلك إذا أردت». افتقار ميرسول إلى الحافز لتحسين حياته وعيشه أمر مذهل. «لا توجد حقيقة، ولا يقين، ولا توجد قوانين ثابتة غير نسبية في الحياة - ولا يوجد أي معنى في متابعة مثل هذه المستحيلات». من الصعب للغاية أن نفهم أن شخصاً ما قد يتجاهل مثل هذا الأمر بالنسبة إليه وإلى غيره، ولكن هذا يشبه حياة العبثيين؛ ليست الرعاية في العالم مع عدم وجود تصميم على النجاح أو تحسين الحياة. بالنسبة إلى ميرسول الحياة ليس لها معنى، وقال إنه يرفض وجود الله، حتى بعد أن حكم عليه بالإعدام. «لم يتبق سوى القليل من الوقت، ولم أكن أريد أن أضيعه على الله». يقوده منطق ميرسول إلى الاعتقاد بأنه لا يوجد إله، وإذا كان هناك إله، لكان قد دفعه بالفعل إلى فهم الحياة ودوره في المجتمع. لم يجد ميرسول أي دين يريحه قبل الموت، لكنه بدلاً من ذلك يترك أفكاره والأمل في أن يعيش يوماً آخر حتى يصل إلى موته المحتوم. إن حياته وحياة كل شخص آخر لا معنى لها بالنسبة إلى ميرسول لأنه لن يتذكره بعد إعدامه لكونه رجلاً بسيطاً، وقاتلاً بدم بارد ليس لديه أي مشاعر أو أحاسيس. ليس لدى ميرسول أي معنى في الحياة ولا يوجد فهم للمعنى في الحياة الأخرى من حوله.

اليقين الوحيد الذي يواجهه ميرسول وما زال متمسكاً به، هو أن الجميع يموتون في النهاية. من دواعي سروره أن يعرف ذلك بسبب حقيقة أنه على الأقل يعرف كيف ومتى سيموت. «لكنني كنت متأكداً من نفسي، حول كل شيء، وأكثر تأكيداً أنه يمكن أن يكون أبدياً، واثقاً من حياتي وبالتأكيد من موتي الذي كنت أنتظره». ميرسول متأكد من ماضيه وحاضره ومستقبله، على عكس الكاهن الذي يقارن نفسه به، والذي لا يعرف متى أو

كيف سيموت. تشير وجهة نظر ميرسول في هذا الاقتباس إلى أن موته على الأقل ليس لغزاً مثل الكثير من الأجساد الأخرى التي تنتظر لتنتقل من هذا العالم. يرفض ميرسول اللجوء إلى الله في الساعات الأخيرة من حياته، على الرغم من محاولات الكاهن، ولكنه بدلاً من ذلك، يسترجع أفكاره وذكرياته للتفكير في الماضي لتهدئة نهايته القريبة التي يعرفها. إنه يفكر في مقدار ما يشتاق إلى ماري، ويأمل أن يكون هناك حشد هائل من الناس لتحيته عند إعدامه حتى يغادر على الأقل بضجة هائلة.

«فكرة الموت تجعل المرء يدرك حياته، وبأنه كائن حي - هي أمر غير جوهري وينتهي يوماً ما. عندما تكون هذه الحيوية موضع تقدير، يشعر المرء بالحرية - لأنه لا توجد حاجة ملحة للقيام ببعض الأعمال التي من شأنها إلغاء احتمال الموت، كما لو أنه لا يوجد مثل هذا الفعل. بهذا المعنى، كل نشاط بشري عبثي، والحرية الحقيقية هي أن تكون مدركاً للحياة في الواقع، بجمالها وألمها».

ميرسول، الذي ترك وحده مع أفكاره، يفكر في حياته، ولديه «الحرية الحقيقية» ليكون على بينة من الحياة ككل. بمرور الوقت عندما لم يستطع النوم، غرق في التفكير في الشاطئ، وكيف كان جميلاً قبل أن يقتل العربي، ويفكر في كم هي جميلة ماري وماذا سيفعل لرؤيتها مرة أخيرة. يشعر ميرسول بالحرية لأنه لا يوجد اندفاع لتغيير ما إذا كان سيموت أم لا. تم تعيين موعد وفاته في السجن. يشير الاقتباس أعلاه إلى أن «كل نشاط بشري عبثي»، مقارنة بمعتقدات ميرسول بعدم وجود معنى للحياة وعدم وجود سبب للدوافع. إنه «مدرك للحياة في الواقع»، بمعنى أنه يعرف المعنى الكامل للحياة وفهمها؛ «بجمالها وآلامها» يقول

إن الحياة هي صعود وهبوط. هناك مناظر جميلة مثل شروق الشمس أو غروبها، أو ربما حتى النظر إلى النجوم. ولكن هناك أيضاً ألماً، يشمل الموت والعواطف، فقد ولت الأيام السيئة. يذكر ميرسول ويلاحظ المناظر الجميلة ويصفها للقراء. مجرد رؤية الجمال يمكن أن تجعل عقله البسيط سعيداً. الموت بالنسبة إليه هو مجرد شخص أقل قلقاً بشأن هذه الأرض. ليس هناك فرق سواء أكان يعيش أم لا. الطيران مع أفكاره الخاصة أعطى ميرسول الكثير من الوقت للتفكير في تجاربه وحياته. لم يعد ميرسول يضمن السعادة كما كان عندما كان رجلاً حراً في اتخاذ قراراته الخاصة. لكونه يدرك موته، فقد تعلم أن يعتز به باعتباره الضمان الوحيد والأخير في حياته.

ميرسول غريب في المجتمع، وعبثي مع نفسه. إنه ليس غريباً على المجتمع فحسب، بل إنه غريب عن نفسه بطريقة لا يفهم فيها حتى عواطفه الخاصة أو سبب اختيارات معينة. ولكن هذا هو ما يجعله عبثياً. ميرسول، برأيه الخاص، هو رجل بسيط مع القليل من الاحتياجات، ولكن المجتمع ينظر إليه على أنه وحش بلا معنى، ويتعلم كيف يعتز بالضمان الوحيد؛ الموت. كقارئ، بدا الأمر وكأن كامو يلعب بمشاعر الجمهور. يجعل الجمهور يرغب في إظهار العاطفة لتعويض عدم وجود عاطفة في الرواية. إن الحصول على هذا النوع من النشاط، كقارئ، يمكن أن يجعل أي شخص يرغب في عدم ترك الرواية أبداً. الأفكار المكتوبة في الكتاب مثيرة للاهتمام ومثيرة للدراسة والتفكير بعمق، بالنظر إلى أن ميرسول هو شخصية عادية، ولكنها مختلفة بطريقة يمكن للقراء فقط الاتصال بها. يلاحظ المؤلف أن ميرسول يختلف عن المجتمع، وحتى عن الأجنبي.

الله والحقيقة والعبث

يمكن العثور على عناصر من كل من العبث والوجود في أعماله. تذوق النجاح مع روايته الأولى، «الغريب»، التي نشرت في عام ١٩٤٢.

ما هي العبثية؟

يعتقد الكثير من الناس أن أهم مشكلة فلسفية هي: ما معنى الوجود؟ هذا سؤال طرحه ألبير كامو في رواياته ومسرحياته ومقالاته.

ربما كانت إجابته محبطة قليلاً. لقد ظن أن الحياة لا معنى لها، وأنه لا يوجد شيء يمكن أن يكون مصدراً للمعنى، وبالتالي هناك شيء عبثي للغاية حول السعي الإنساني لإيجاد المعنى. بشكل مناسب، إذاً، نظرته الفلسفية كانت تسمى (الوجودية) العبثية.

ماذا ستكون نقطة العيش إذا كنت تعتقد أن الحياة كانت عبثية، وأنه لا يمكن أن يكون لها معنى؟ هذا هو بالضبط السؤال الذي يطرحه كامو في عمله الشهير، أسطورة سيزيف.

أصبح صديق جان بول سارتر، الذي كان أحد أعمدة الوجودية؛ ومع ذلك، في وقت لاحق، تشاجرا ولم يلتقيا حتى موت كامو بسبب حادث سيارة.

بسبب ارتباطه بسارتر، كان يُطلق عليه أيضاً الوجودي؛ ومع ذلك، فهو لا يحب أن يرتبط بأي أيديولوجيا.

استراتيجيات كامو

ستيفن سمول

وُلد ألبير كامو وعاش فقيراً في موندوفي بالجزائر في ٧ نوفمبر ١٩١٣. ربته أم فقيرة، وهي امرأة شابة أميّة. عاشت الأسرة في شقة ضيقة من ثلاث غرف. توفي والده، الذي كان كاتباً يعمل في مجال شحن النبيذ وتحول إلى قوات الاحتياط في الجيش، متأثراً بجراحه التي أصيب بها خلال الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى تفاقم محنة الأسرة الاقتصادية.

مثل هذه البداية غير الواعدة ربما أوقفت طموحات شخص أقل قدرة من كامو. تجاوز ألبير كامو تحدياته الاجتماعية والاقتصادية. بعد أن نهض من الفقر المدقع، كتب ذات مرة أن الجوع المادي قد علمه الماركسية بشكل أفضل من رأس مال ماركس. لم يكن بعيداً عن المرض الجسدي أيضاً، فقد أصيب بمرض السل في عام ١٩٣٠. وبحلول عام ١٩٣٦ حصل على شهادات البكالوريوس والدراسات العليا في الفلسفة.

لقد كان رجلاً وسيماً وكانت له علاقات عاطفية مع العديد من النساء الجميلات. كان متزوجاً ومطلقاً مرتين. في ٥ سبتمبر ١٩٤٥، أنجبت زوجته الثانية، فرانسين، توأمين، كاثرين وجان. ومع ذلك، فإن الحياة الزوجية كانت لعنة لكامو، الذي كان يعتقد أن الزواج مؤسسة ضيقة وعفا عليها الزمن. نجح في حياة العقل أكثر من نجاحه في علاقاته، وازدهر في فنه، وأصبح أديباً ناجحاً ومشهوراً عالمياً في حياته - حصل على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٥٧.

هناك قصة معروفة تقول إن أحد مستشاري أطروحته خربش على هامش الأطروحة «كامو كاتب أكبر من الفيلسوف». سواء أكانت القصة ملفقة أم لا، فإن التعليق صحيح بما فيه الكفاية، لأنه على عكس الوجوديين الآخرين مثل جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) أو مارتن هيدغر (١٨٨٩-١٩٧٦)، كان كامو يفتقر إلى فلسفة منهجية. ولا يمكن تصنيفه بسهولة على أنه وجودي (تسمية مرفوضة من قِبل كل من هيدغر وسارتر). بدلاً من ذلك، في فكره عرف كامو نفسه أنه مع الطبيعة والإغريق القدماء. بالنسبة إلى كتاباته، اشتهر كامو برواياته. تشمل كتاباته الأكثر شهرة أسطورة سيزيف (١٩٤٢)، الغريب (١٩٤٢)، والطاعون (١٩٤٧).

كان كامو جزائرياً من أصول إسبانية وفرنسية - وعلى هذا النحو، كان شخصاً غريباً في كل من الجزائر وفرنسا، وإن كانت إنجازاته الأدبية سمحت له بالوصول إلى النخبة الباريسية. لكن أولئك الذين استعانوا بالصبي الفقير السابق، كانوا في بعض الأحيان يرفضونه عن عمد، وكانت رؤيته للحياة الأصيلة قد أبعدته عن حدود باريس. خلال هذه المشاريع، سعى إلى الحصول على أصوات أخرى ووجهات نظر عالمية مختلفة. وقد انعكس هذا بشكل غير تقليدية في رواياته ومسرحياته. وفاته المفاجئة أنهت حياة واعدة. في ٤ يناير ١٩٦٠، قُتل في حادث سيارة في بورغوندي.

المشاركة السياسية

بصفته مفكراً تقدمياً مفعماً بروح الجمهور، رفض كامو عقوبة الإعدام، والعسكرة، والعنف الذي ترعاه الدولة، والسيطرة على عقول الناس، وكثيراً ما وضع نفسه في معارضة أشكال القمع. في عام ١٩٣٥ انضم إلى

الحزب الشيوعي الفرنسي، على أمل إلهام الناس لتوحيد صفوفهم لتحقيق العدالة والتغيير الإيجابي.

لم يجد الجميع أسلوبه المنشق عن الماركسية محبباً. في عام ١٩٣٧، اتهمه الشيوعيون في العقيدة بأنه خائن تروتسكي - هذه ليست سوى استراتيجية تغطية لأولئك الذين يرفضون الأهوال التي تنتشر في الاتحاد السوفييتي. وردّ كامو باتهامات معاكسة، مما أدى إلى إثارة غضب المدافعين، والأصدقاء.

خلال الحرب العالمية الثانية، انضم كامو إلى المقاومة الفرنسية لمحاربة الاحتلال النازي. خلال تلك الفترة التقى وصديقه جان بول سارتر. أصبح كامو رئيس تحرير جريدة Combat للمقاومة الباريسية، وساعد سارتر Sartre في تأسيس مجموعة «الاشتراكية والحرية» Socialisme et Liberté - رغم أن المجموعة سرعان ما تم حلها.

على عكس العديد من زملائه، كان تفكير كامو مختلفاً سياسياً. وقد تجلى ذلك من خلال اتخاذ مواقف غير شعبية بشأن القضايا المثيرة للجدل. جدير بالذكر أنه كان من بين حفنة من الصحفيين الذين انتقدوا إسقاط القنبلة الذرية على هيروشيما في أغسطس ١٩٤٥. وفي عام ١٩٤٨ قام باستبدال علم الشيوعية الأحمر بالعلم الأسود للأناركية، وانضم إلى الحركة الطلابية الأناركية الفرنسية. كما كتب مقالات لدعم الإنسانية في البحر الأبيض المتوسط ، والتي كان من أهمها امتياز الطبيعة والاعتدال في الأيديولوجيا ورفض العنف.

في عام ١٩٥٢ حدث انقطاع حاد بين سارتر وكامو. نشأت نقطة الخلاف في اختلاف وجهات نظرهما حول الاتحاد السوفييتي. كان سارتر على ما يبدو في حالة إنكار حول حجم عنف ستالين، ورأى كامو في

البلطجة المتطرفة لسارتر موقفاً منافقاً وعنيفاً. سارتر وكامو لم يتحدثا مع بعضهما البعض مرة أخرى. ومع ذلك، عندما توفي كامو، قام سارتر بتأليف مدح من القلب، وأشاد بحياة كامو وأعماله.

استراتيجيات كامو العبثية

العبثية هي نوع كامو من الوجودية. إذاً ما هو العبث؟ وفقاً لكامو «العبثية» تعني وجود فجوة هائلة شبه هزلية بين التطلعات والواقع. لقد ادعى أن الحياة نفسها عبثية بسبب الهوة بين المعنى والتخطيط الذي نستثمره في حياتنا واللامبالاة الساخرة للكون غير العقلاني، واستكشف هذه الفكرة في أعماله.

كما عرضت فكرة العبث من قبل الكاتب فرانز كافكا (١٨٨٣-١٩٢٤). في رواية كافكا المزعجة «المحاكمة» The Trial، وقع البطل جوزيف ك في كابوس. إنه يكافح ضد نظام المحاكم البيزنطية المتشابك للتهديدات والاتهامات والتلميح، لكن لا شيء يعمل كما يجب، وهو محبط من كل ما يراه ويسمعه، إلا أن يتم إعدامه في النهاية من قبل اثنين من البيروقراطيين. مثل جوزيف ك، لا يمكننا أن نقبل العبث الذي يحيط بنا؛ ولا يمكننا الهروب منه.

يوضح كامو كيف أن موقفنا العبثي غالباً ما يجبرنا على اختيار استراتيجيات مواجهة غير صحيحة. إن أول استراتيجية لمواجهة مثل هذه، هي الانتحار الفعلي، لأن عبث الحياة يطرح السؤال، إذا كان الكون غير مبال بنا، فلماذا لا نقتل أنفسنا وننجح في الحياة؟ تبدأ أسطورة سيزيف باستكشاف هذا السؤال. لكن كامو يجادل بأن تدمير الذات هو عمل استقالة يحدده الجبان - وهو تنازل غير لائق عندما يتمتع الفرد بحرية التمرد بدلاً من ذلك.

الاستراتيجية الثانية لمواجهة عبثية الحياة هي الانتحار الفلسفي - موت تفكيرنا النقدي. يصف كامو الانتحار الفلسفي بأنه التوقف عن التفكير لتجنب الأفكار غير المريحة في عالم مخيف. لذا، بدلاً من مواجهة الكون غير الثابت مباشرة، نحن نقبل قصة تمويه معقولة. وهكذا، تعمل العقائد الدينية والعلمانية المختلفة على تعزيز الأمل في أن الكون يهتم بطريقة ما بمصيرنا الشخصي. يمكن للعقائد الدينية أن يكون لكل منها تأثير ملطف على المؤمن. أو قد تعتمد استراتيجية المواجهة ذاتها على بنية المعتقدات العلمانية. على سبيل المثال، تبنى كارل ماركس رؤية طوباوية يطارد فيها الشيوعيون في الصباح، يصطادون في فترة ما بعد الظهر، يربون الماشية في المساء، ويتناقشون بعد العشاء. اعتبر هيغل أن دعابة (روح التاريخ) ترشدنا عبر دهاء العقل إلى مجتمع مثالي. ومع ذلك، رأى كامو أن عمل هيغل ليس أكثر من تمجيد القوة والدولة. سواء أكانت دينية أم علمانية، فإن كل هذا التفكير يدعمه الاعتقاد بأن بعض الوجوه أو القوة العليا (مثل الديالكتيك) هي في المقدمة. فسر كامو هذه الأفكار على أنها تمرين في خداع الذات.

هروبنا من العبث يأخذنا إلى أسفل بعض المسارات الغريبة. من عصابات الدراجات النارية إلى ثقافة المستهلك، نحن غارقون في الاستراتيجيات الهاربة - لكن هذا العزاء لا يوفر سوى فترة راحة مؤقتة من التحديق الجليدي للكون.

تم العثور على الانتحار الفلسفي من النوع الديني أيضاً في كتابات الفيلسوف الدانماركي سورين كيركيغارد (١٨١٣-١٨٥٥). يشهد كل من كيركيغارد Kierkegaard وكامو على عبثية الحياة، لكنهما يختلفان حول مسألة مهمة. بالنسبة إلى كيركيغارد، هناك شيء أكبر بكثير من الوجود

الدنيوي - الإيمان بالله - والذي لا تنطبق عليه العقلانية بالكامل؛ في حين أن كامو لا يجد معنى له إلا عن طريق التمرد.

هناك مثال جيد على تمرد شبيه بتمرد كامو في رواية ملحمة هيرمان ميلفيل «موبي ديك» (١٨٥١). يدرس ضباط السفينة ستاربك وفلاسك وستوبس الاستيلاء على السفينة الحربية بيكود من الكابتن المهووس. يختتم ستوبس مناقشتهم الحثيثة من خلال التأكيد على أن «الضحك هو أذكى وأسهل إجابة» على كل ما هو غريب في الحياة. هذا الموقف هو تمرد ضد عبثية الحياة.

قد تدلنا ثورة كامو على طريق ملكي لإحساس مبهج بالحرية. لم نعد ملتزمين باحتمال الانتحار الفلسفي الذي يوقف التفكير، فنحن لا نثور في سبيل تجنب العبث، بل في اعتناقه.

الرجل الأول

وجدت في موقع الحادث الذي أدى إلى مقتل كامو جزءاً من رواية تشبه مؤامرة حياته المبكرة، بعنوان «الرجل الأول». منعت أرملته فرانسين نشرها لمدة أربعة وثلاثين عاماً. لكن عند إعادة التفكير في الأمر في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، قامت بنشرها على نطاق واسع. وهكذا فإن إرث كامو يتجاوز حياته القصيرة، على الرغم من أنه لا يترك لنا أي إجابات سهلة للقضايا التي واجهها. كما قال كامو بإيجاز، يجب علينا «أن نكون سعداء مع أصدقائنا، في وئام مع العالم، وكسب سعادتنا من خلال اتباع طريق يؤدي مع ذلك إلى الموت».

مشكلة فلسفية خطيرة

جيا تشي تان

يبدأ ألبير كامو بتصريح قوي «لا يوجد سوى مشكلة فلسفية خطيرة حقاً، هي الانتحار»، وهو ما لفت انتباهي على الفور. مشكلتي في الفلسفة كانت دائماً عدم أهميتها، أي ما إذا كنت تعتقد أن إحدى الطرق أو الأخرى لها تأثير ضئيل على الطريقة التي يسير بها العالم فعلياً. يكمن جوهر الميتافيزيقيا في المعتقدات المجردة والمنطق، وهو في الأساس «الميتافيزيقا». بينما أنظر إلى جاذبية الفلسفة، فإنني أرى عدم أهميتها. ومع ذلك، يأخذ كامو منعطفاً عندما يرى أن هذا السؤال هو الأهم، بسبب الفعل النهائي الذي ينطوي عليه، إما العيش لغرض ما أو الانتحار لعدم العثور على سبب للعيش.

العبثية

إن «العبثية» على النحو الذي حدده كامو، هي التناقض بين حاجة الفرد الملحة للوحدة لكي يكون له معنى من هذا العالم، والعالم الذي لا معنى له. قرون من الدين والفلسفات وضعت المعنى الذي وهبه الله كهدف وحيد للوجود. إذا أخذنا الأمر إلى أقصى الحدود، عندما نعيش من أجل المعنى الذي وهبه الله لنا، فكر في أنه إذا ما تم تجريدنا من هذا المعنى، فهل من الضروري الانتحار؟ أحد الاستعارات التي يستخدمها كامو غالباً ما تكون في عالم منزعج من المعنى، وقد يشعر رجل لديه أفكار وجودية في المنفى. ثم يقدم رسومات عن الكيفية التي قد تضرب بها مشاعر العبثية، في أوقات

الضجر من الحياة الميكانيكية، وحتمية الوقت، أو ببساطة «كثافة وغرابة العالم». خلال هذه اللحظات يستيقظ وعينا ويجبرنا على التفكير فيما إذا كانت الحياة لها معنى على الإطلاق.

الانتحار الفلسفي

من الجدير بالملاحظة أن كامو يستكشف مقاربة الفلسفات الوجودية الأخرى في الوقت المتعمق، بما في ذلك قفزة إيمان تشستوف وكيركيغارد إلى الله على أمل شرح كل شيء غير عقلاني، وكذلك سعي ياسبرز وهوسرل الترنسندنتالي، وكل ذلك يقع في فخ المصالحة وهو شيء لا يمكن التوفيق بينه. يتم تعريف العبثية من خلال الحقائق المتناقضة للسعي وراء المعنى وصمت الكون المطلق حول الموضوع. لتطبيق الترنسندنتالية، إما من خلال الأمل أو الإيمان الأعمى، يجب الهروب من المفارقة. من الواضح أن كامو غير راضٍ عن كل الإجابات التي تحاول إنكار أحد هذه المفارقات أو غيرها. لذلك تبقى مسألة مواجهة العبث بالوعي.

التمرد والحرية والعاطفة

يعيد كامو تعريف الحرية في سياق العبثية، ويصل إلى استنتاج حول كيفية التعايش مع العبث، وهو مفضل بالنسبة إلي. تعريفه للحرية هو في الأساس صورة عكس التعريف الفلسفي التقليدي، حيث يمكن للمرء أن يختار على أساس القيم التي يحتفظ بها ذلك الشخص بعينه. تتجاهل نسخة كامو أساساً القيم التي يزعم أنها ستشكل تصورات مسبقة يجب على المرء اتباعها. لتحقيق حرية عبثية حقيقية، يتعين على المرء أن يتخلى عن تلك التوقعات الموجودة مسبقاً وأن يعيش الحياة كما هي.

هذا يقودنا إلى طريقته المقترحة للتعامل مع الوجودية والاستنتاج الذي وصل إليه - التمرد والحرية والعاطفة. بالنسبة إلى كامو، فإن الانتحار هو مجرد قبول للصراع، بينما تعيش العبثية ضد العبث. مع الحرية على النحو المحدد أعلاه، يجب على المرء أيضاً أن يعيش بشغف، ومواصلة تحدي العالم، والعيش في الحياة الحالية والعيش على أكمل وجه مع إدراك عدم جدوى كل شيء. على حد تعبير كامو، «أن تكون على دراية بحياة الفرد، تمرّده، حريته، وإلى أقصى حد، تعيش وتحيا إلى أقصى حد». من الممتع أن نرى كيف ينتقل كامو من الوجودية إلى استنتاج يشبه كليشيات العديد من كتب المساعدة الذاتية.

اسكتشات الرجل العبثي

على عكس الادعاءات الشائعة بأنه بعد بعض الحب الحقيقي المتجاوز، يقترح كامو أن يتمتع دون جوان ببساطة بتجربة الإغواء ويكرس حياته لفعل ذلك فقط في هذا، على الرغم من إدراكه لعدم جدواه. ومن الأمثلة على ذلك الجهات الفاعلة في المسرح التي تجسد هذه الفلسفة من خلال التعايش مع شدة الحياة وتنوعها، والتي لا تحمّلها الشهرة والسعي وراء الفرح العابر. مثال آخر يقدمه هو أولئك الذين يعترفون بأن «العمل في حد ذاته عديم الفائدة». في حين أن تضمين مثل هذه الأشياء يوفر أشكالاً مادية من كائنات بريئة وغير أخلاقية تعانق العبث تماماً، أود إن أقول إن الشخصيات في أعمال كامو الأخرى مثل الطاعون، تمثل بشكل أفضل رؤية كامو كرجل عبثي.

أسطورة سيزيف

تجسيد مثالي لشخصية بطولية سخيفة هو سيزيف، الذي يعاقب بأن يدحرج صخرة إلى قمة جبل ثم يراقبها تسقط، ويكرر ذلك إلى الأبد.

يهتم كامو بشكل خاص بوعي سيزيف في نفس اللحظة التي تتدحرج فيها الصخرة قبل أن يتابع سيزيف رفع الصخرة. إنها حالة سيزيف في الوقت الحالي وهو يحرره من مصيره. كما يقول كامو، «إن الكفاح نفسه نحو المرتفعات يكفي لملء قلب الإنسان. يجب على المرء أن يتخيل سيزيف سعيداً».

أفكار أخيرة

بالمعنى الدقيق للكلمة، ليست أسطورة سيزيف عملاً فلسفياً، بل محاولة كامو لبناء إطار حول كيفية العيش. في هذا المعنى، ليس من الغريب أنه وصل إلى الاستنتاج الذي قام به. على الرغم من أنه ترك العديد من الأسئلة دون إجابة، إلا أن إجابته هي بالتأكيد إجابة عملية للبحث المستمر عن المعنى. يعجبني أن كامو نفسه يجسد تماماً فلسفته الخاصة بالمزيج الساخر من الانفصال والحياة العاطفية، وربما هذا هو أفضل ما يمكن للفيلسوف أن يفعله.

الهروب من الوجود

دانيال ميسلر

في الفلسفة العبثية، ينشأ العبث من التنافر الأساسي بين بحث الفرد عن المعنى وعدم معنى الكون. ككائنات تبحث عن معنى في عالم لا معنى له، يكون لدى البشر ثلاث طرق لحل المعضلة. يصف كيركيغارد وكامو الحلول في أعمالهما، «المرض حتى الموت» (١٨٤٩) لكيركيغارد، و«أسطورة سيزيف» لكامو (١٩٤٢):

الانتحار أو «الهروب من الوجود»: حل ينهي فيه الفرد حياته. كل من كيركيغارد Kierkegaard وكامو Camus يرفضان صلاحية هذا الخيار. يقول كامو إنه لا يتعارض مع العبث، لكنه يصبح أكثر عبثية فقط لإنهاء وجود الفرد.

الاعتقاد الديني أو الروحي أو التجريدي في عالم أو كائن أو فكرة متعالية: حل يؤمن فيه المرء بوجود حقيقة تتجاوز العبثية، وعلى هذا النحو، يكون له معنى. صرح كيركيغارد أن الإيمان بأي شيء يتجاوز العبث يتطلب قبولاً دينياً غير عقلاني، وربما ضروري في مثل هذا الشيء غير المادي وغير القابل للتجريب (يشار إليه الآن باسم «قفزة الإيمان»). ومع ذلك، يعتبر كامو هذا الحل، وغيره، بأنه «انتحار فلسفي».

قبول العبث: حل يُقبل فيه العبث ويستمر في العيش رغم ذلك. أيد كامو هذا الحل، اعتقاداً منه أنه من خلال قبول العبث، يمكن للمرء أن يحقق الحرية المطلقة، وأنه من خلال الاعتراف بأي قيود دينية أو أخلاقية

أخرى، والتمرد ضد العبث بينما قبوله في وقت واحد على أنه لا يمكن وقفه، يمكن للمرء أن يكون راضياً عن المعنى الشخصي في هذه العملية.

هذه هي أقرب فلسفة حتى الآن، وأعتقد أن ما يتطلبه الأمر هو إطار أخلاقي يستند إلى برتراند راسل وسام هاريس، يساعد في توجيه الإنشاء الوجودي لأطر معانينا الخاصة. في حين أن المصطلح الأصلي ينطبق على البحث عن المعنى، أعتقد أنه يمكن وينبغي تطبيقه على نطاق أوسع. وأود توسيع تعريف كامو ليعني «الصراع غير القابل للتوفيق بين التجربة الإنسانية والواقع الأساسي».

إن البحث الأصلي لكامو عن المعنى النهائي، موجود في هذا، لأنه شيء يتوق إليه البشر كجزء من تجربتهم، لكنه لا يمكن تحقيقه. ولكن هناك العديد من الأمثلة الأخرى على ذلك أيضاً، والتي أستكشفها في كيفية تطبيق العبثية في الحياة اليومية.

بعض الأمثلة تشمل:

* حب البقاء على قيد الحياة من فحص علم الأعصاب والبيولوجيا التطورية.
* محاولة «أن تكون شخصاً أفضل» عندما تدرك الإرادة الحرة، هو وهم.
* وفي نهاية المطاف، العالم على استعداد أن يكون مختلفاً عما هو عليه.

هذه كلها تصادمات، لا يمكن للبشر المتقدمين تجنبها، لأن معرفة الحقيقة الكامنة وراء هذه الأحاسيس، لا يمنعنا من تجربتها.

إن العبثية، إذاً، هي بالضبط هذا الاصطدام بين الخبرة والواقع - والاختيار لاحتضان إنسانيتنا بحماس رغم معرفة الحقيقة.

هذا هو التمرد الذي يدعو إليه كامو.

العبث والانتحار

«لا يوجد سوى مشكلة فلسفية خطيرة واحدة وهي الانتحار». إذا حكمنا على أهمية مشكلة فلسفية من خلال العواقب التي تنطوي عليها، فإن مشكلة معنى الحياة هي الأهم بالتأكيد. الشخص الذي يحكم على أن الحياة لا تستحق العيش سوف ينتحر، وأولئك الذين يشعرون أنهم قد وجدوا بعض المعنى للحياة، قد يميلون إلى الموت أو القتل للدفاع عن هذا المعنى. المشاكل الفلسفية الأخرى لا تنطوي على مثل هذه العواقب الوخيمة.

يقترح كامو أن الانتحار هو بمثابة اعتراف بأن الحياة لا تستحق العيش. يربط هذا الاعتراف بما يسميه «الشعور بالعبث». بشكل عام، نمر بالحياة بإحساس بالمعنى والغرض، مع شعور بأننا نقوم بالأشياء لأسباب جيدة وعميقة. ومع ذلك، في بعض الأحيان، قد نأتي إلى رؤية تصرفاتنا وتفاعلاتنا اليومية على النحو الذي تمليه في المقام الأول قوة العادة. نتوقف عن رؤية أنفسنا كعاملين أحرار، ونأتي لنرى أنفسنا كطائرات بدون طيار تقريباً. من هذا المنظور، تبدو جميع أفعالنا ورغباتنا وأسبابنا عبثية ولا معنى لها. يرتبط الشعور بالعبث ارتباطاً وثيقاً بالشعور بأن الحياة لا معنى لها.

يربط كامو أيضاً بين الشعور بالعبث والشعور بالنفي، وهو موضوع مهم ليس فقط في مقال «أسطورة سيزيف»، ولكن أيضاً في الكثير من الأعمال. كأعضاء عقلانيين في المجتمع البشري، نشعر غريزياً أن الحياة لها نوع من المعنى أو الغرض. عندما نتصرف بموجب هذا الافتراض، نشعر بأننا في المنزل. نتيجة لذلك، يشعر العبثيون بأنهم غرباء في عالم محروم من العقل. إن الشعور بالعبث يعزلنا عن وسائل الراحة المنزلية نحو وجود حقيقي.

يرتبط الشعور بالعبث بفكرة أن الحياة لا معنى لها، وأن عمل الانتحار مرتبط بفكرة أن الحياة لا تستحق العيش. السؤال الملح في هذا المقال، إذاً، هو ما إذا كانت فكرة أن الحياة بلا معنى تعني بالضرورة أن الحياة لا تستحق العيش. هل الانتحار حل للعقل؟ يقترح كامو ألا ننخدع بحقيقة أنه لا يوجد سوى نتيجتين محتملتين (الحياة أو الانتحار) - فهناك جوابان فقط محتملان على هذا السؤال. يواصل معظمنا العيش إلى حد كبير لأننا لم نتوصل إلى إجابة محددة لهذا السؤال. علاوة على ذلك، هناك الكثير من التناقضات بين أحكام الناس وأفعالهم. أولئك الذين ينتحرون، قد يكونون متأكدين من أن الحياة لها معنى، والكثير ممن يشعرون أن الحياة لا تستحق العيش، لا يزالون يعيشون.

وجهاً لوجه مع معنى الوجود، ما الذي يمنعنا من الانتحار؟ إلى حد كبير، يشير كامو إلى أن غريزة حياتنا أقوى بكثير من أسباب الانتحار: «نعود إلى عادة العيش قبل أن نكتسب عادة التفكير». نتجنب غريزياً مواجهة العواقب الكاملة لطبيعة الحياة التي لا معنى لها، من خلال ما يصفه كامو «بالخداع». يتجلى هذا الفعل المتمثل في التملص على أنه أمل. من خلال الأمل في حياة أخرى، أو على أمل العثور على معنى ما في هذه الحياة، فإننا نؤجل مواجهة عواقب العبث، وعدم معنى الحياة.

في مقال «أسطورة سيزيف»، يأمل كامو أن يواجه عواقب العبثية. بدلاً من أن يقبل تماماً فكرة أن الحياة ليس لها معنى، فهو يريد أن يأخذها كنقطة انطلاق لرؤية ما يتبع المنطق من هذه الفكرة. بدلاً من الهرب من الشعور بالعبث، إما عن طريق الانتحار أو الأمل، يريد أن يسكن معه ويرى ما إذا كان يمكن للمرء أن يعيش مع هذا الشعور.

كنقطة انطلاق، يتناول كامو مسألة ما إذا كنا، من ناحية أولى، أناساً لهم أرواح وقيم، أو إذا كنا، من ناحية أخرى، مجرد شيء يتحرك بثبات. التوفيق بين هذين المنظورين، اللذين لا يمكن إنكارهما على حد سواء، هو واحد من المشاريع الكبرى للدين والفلسفة.

واحدة من أكثر الحقائق وضوحاً - وواحدة من أكثر الحقائق المحيرة حول الوجود الإنساني، هي أن لدينا قيم. امتلاك القيم هو أكثر من مجرد الرغبة: إذا رغبت في شيء، فأنا ببساطة أريد ذلك وسأحاول الحصول عليه. قيمي تتجاوز رغباتي في ذلك من خلال تقييم شيء ما، أنا لا أرغب في ذلك ببساطة، لكنني أيضاً أحكم بطريقة أو بأخرى أن هذا الشيء يجب أن يكون مرغوباً فيه. عندما أقول إن شيئاً ما يجب أن يكون مرغوباً فيه، أفترض أن العالم يجب أن يكون بطريقة معينة. علاوة على ذلك، أشعر فقط أنه ينبغي للعالم أن يكون بطريقة معينة إذا لم يكن الأمر كذلك تماماً بالفعل: إذا لم يكن هناك شيء مثل القتل، فلن يكون من المنطقي بالنسبة إلي أن أقول إن الناس يجب ألا يرتكبوا القتل. وبالتالي، فإن وجود القيم، يعني أننا نشعر بأن العالم يجب أن يكون مختلفاً عن حالته.

إن قدرتنا على رؤية العالم كما هي، يجب أن تسمح لنا بأن ننظر إلى أنفسنا في مصباحين مختلفين للغاية. في أغلب الأحيان، نرى الآخرين وأنفسنا أشخاصاً راغبين وأحراراً، أشخاصاً يستطيعون التداول واتخاذ الخيارات، ويقررون ما هو الأفضل ويبحثون عن غايات معينة. نظراً لأن لدينا قيماً، فمن المنطقي أن نرى أنفسنا أيضاً قادرين على تجسيد تلك القيم. لن يكون هناك أي فائدة في تقييم بعض الصفات إذا كنا غير قادرين على العمل لتحقيق تلك الصفات.

بينما نأخذ هذه النظرة بشكل عام، هناك أيضاً نظرة العالم، أي محاولة رؤية العالم كما هو تماماً. من الناحية العلمية، هذا عالم مزعج من القيم، ويتألف ببساطة من المادة والطاقة، حيث تتفاعل الجسيمات المنتشرة بطرق محددة سلفاً. لا يوجد سبب للاعتقاد بأن البشر مستثنون من قوانين العلوم. مثلما نلاحظ سلوك النمل، باتباع نوع من الروتين الميكانيكي، يمكننا أن نتخيل أن العلماء قد يلاحظوننا أيضاً، ونستنتج أن سلوكنا قابل للتنبؤ وموجه بشكل روتيني.

هذه رؤية عالمية موضوعية تماماً تنظر إلى الأمور بكل بساطة كما هي. لا علاقة للقيم بهذه النظرة إلى العالم، وبدون القيم يبدو أنه لا معنى ولا غرض لأي شيء نفعله. بدون قيم، لا معنى للحياة ولا يوجد ما يحفزنا على فعل شيء بدلاً من شيء آخر.

على الرغم من أننا ربما لم نحاول أبداً ترشيد هذا الشعور من الناحية الفلسفية، إلا أن الشعور بالعبث هو الذي عشناه جميعاً في مرحلة ما من حياتنا. في لحظات الاكتئاب أو عدم اليقين، قد نتساءل: «ما الفائدة من فعل أي شيء؟». هذا السؤال هو في الأساس اعتراف بالعبث، إدراك أنه من وجهة نظر واحدة على الأقل، لا فائدة من فعل أي شيء.

غالباً ما يشير كامو مجازاً إلى الشعور بالعبث كمكان للنفي. بمجرد أن ندرك صحة منظور العالم بدون قيم، والحياة بدون معنى، لن يكون هناك عودة إلى الوراء. لا يمكننا ببساطة أن ننسى أو نتجاهل هذا المنظور. العبث يلقي ظلاله على كل ما نقوم به. وحتى لو اخترنا أن نعيش كما لو أن الحياة لها معنى، كما لو كانت هناك أسباب لفعل الأشياء، فإن العبث سيستمر في عقولنا باعتباره شكاً مزعجاً بأنه ربما لا يوجد أي معنى.

من المفترض عموماً أن هذا المكان من المنفى - العبث - غير صالح للسكن. إذا لم يكن هناك سبب لفعل أي شيء، فكيف يمكننا فعل أي شيء؟ الطريقتان الرئيسيتان للهروب من الشعور بالعبث هما الانتحار والأمل. يخلص الانتحار إلى أنه إذا كانت الحياة لا معنى لها فلا تستحق العيش. الأمل ينكر أن الحياة لا معنى لها عن طريق الإيمان الأعمى.

كامو مهتم بإيجاد بديل ثالث. هل يمكننا الاعتراف بأن الحياة لا معنى لها دون الانتحار؟ هل يجب أن نأمل على الأقل أن يكون للحياة معنى حتى نعيش؟ هل يمكن أن تكون لدينا قيم إذا اعترفنا بأن القيم لا معنى لها؟ في الأساس، يسأل كامو ما إذا كانت الثانية من النظرات العالمية الموضحة أعلاه قابلة للعيش.

العالم في عيني كامو

لارا مارلو

أصبح كامو واحداً من أفضل كتاب القرن العشرين والحائز على جائزة نوبل، وصار أشبه بالمعجزة. وُلد ألبير كامو قبل ١٠٠ عام، في ٧ نوفمبر، في زاوية نائية من الجزائر المستعمرة، حيث كان والده يعمل في مزرعة. عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، انضم والده لوسيان كامو إلى فوج مشاة زواف. قُتل بعد أسابيع، في معركة المارن.

كانت والدة كامو، كاترين، ابنة لمهاجرين إسبانيين، نصف صماء وعانت من عائق في النطق. قامت بتنظيف المنازل لرعاية ابنيها. احتفظت العائلة بقطعة من الشظايا التي قتلت لوسيان في شقتهم المكونة من غرفتين في بيلكورت، وهو حي من أحياء الطبقة العاملة في الجزائر العاصمة. لم يكن للشقة حمام.

كان شقيقه يعمل بدوام كامل كفتى مهمل في سن ١٤ عاماً. وكان المصير نفسه سيصيب ألبير لو لم يقنع معلمه لويس جيرمان جدّة كامو بالسماح له بمحاولة الحصول على منحة دراسية. أعطى جيرمان كامو ساعتين من الدروس الخاصة يومياً مجاناً. في ديسمبر ١٩٥٧، خصص كامو خطاب قبول جائزة نوبل لمعلمه السابق.

على الرغم من الصعوبات الشديدة، تذكر كامو طفولته باعتزاز. «لقد ولدت فقيراً ومن دون دين، تحت سماء سعيدة، وشعور بالوئام، وليس

العداء، في الطبيعة». كتب في عام ١٩٤٨: «لم أكن أشعر أنني معدم، وإنما في حالة وفرة».

روى كامو طفولته في رواية سيرته الذاتية التي لم تكتمل بعد، والتي ظلت غير منشورة لمدة ٣٤ عاماً بعد وفاته في عام ١٩٦٠. «إليك أنت التي لن تتمكني من قراءة هذا الكتاب»، كان الإهداء المكتوب بخط اليد لأمه الأمية.

خطة من ثلاث نقاط

كانت خطة تكمن في ثلاث مراحل متتالية: العبث؛ التمرد الذي رآه الخلاص من العبث؛ والحب. قبل وقت قصير من وفاته، قال إنه أكمل فقط ثلث خطته. على الرغم من أنه كتب على نطاق واسع عن العبث والثورات، إلا أنه بالكاد طرح موضوع الحب.

في صداقاته الذكورية، بدا كامو يبحث عن والد لم يعرفه أبداً. بناءً على نصيحة أستاذ الفلسفة في الجزائر، جان جرينير، انضم لفترة وجيزة إلى الحزب الشيوعي الجزائري. تم طرده بعد عام، وعضويته اللاحقة في الحزب الشيوعي الفرنسي لم تدم طويلاً. كتب لاحقاً: «أنا منبوذ من السياسة، لأنني غير قادر على الرغبة أو قبول موت الخصم».

ومع ذلك يوصف كامو في كثير من الأحيان بأنه الضمير الأخلاقي لجيله. لم ينس قط دمه الإسباني، وكان معارضاً مدى الحياة لديكتاتورية فرانكو. خلال الحرب العالمية الثانية، انضم إلى مجموعة المقاومة القتالية في باريس.

كان كامو من أوائل المفكرين الغربيين الذين أدانوا القصف الأمريكي لهيروشيما. في مقالة افتتاحية في مجلة «كومبات» المقاومة، نشرت في ٨ أغسطس ١٩٤٥، كتب عن «المناظر المرعبة للبشرية». قام بحملة ضد

عقوبة الإعدام. أثنت لجنة نوبل على «الإنتاج الأدبي الهام لكامو، والذي يسلط الضوء بجدية واضحة على مشاكل الضمير الإنساني في عصرنا».

تشخيص مرض السل

تم تشخيص إصابة كامو بالسل في سن ١٧ عاماً، وقد أصيب بصدمة في القلب بسبب اضطراره للتخلي عن منصبه كحارس مرمى في فريق كرة القدم بجامعة الجزائر. كان يعاني من الانتكاسات من مرض السل طوال حياته.

بدأ شغف كامو الدائم بالمسرح في عام ١٩٣٦، عندما أسس مسرحاً في الجزائر العاصمة. اثنان من عشيقاته الأربع، ماريا كاساريس وكاثرين سيلرز، قامتا بدور لاحق في مسرحياته في باريس. عندما سئل عن سبب كتابته وإخراج المسرح، أجاب كامو: «ببساطة لأن المسرح هو أحد الأماكن في العالم التي أشعر بالسعادة فيها... من خلال المسرح، أهرب من ما يضايقني في مهنتي ككاتب».

في رواياته ومسرحياته ومقالاته، كافح لإيجاد معنى في عدم المعنى. على الرغم من أنه أظهر شهوة للحياة ووحدة مع الطبيعة، إلا أن السعادة كانت مسعى لا يلين. «البطل يمكن الوصول إليه»، كما كتب. «السعادة أكثر صعوبة».

في عام ١٩٤٣، التقى كامو مع جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار في بروفة من مسرحية سارتر، الذباب. من مكانهم في «كافيه دو فلور» Café de Flore في Saint-Germain-des-Prés، هيمن الثلاثة على الحياة الفكرية الفرنسية خلال العقد التالي.

في كتابه «المتمرد» عام ١٩٥١، ندد كامو بالشمولية السوفييتية. كان سارتر شيوعياً مؤيداً للسوفييت، فأطلق عليه «كلاب» مناهضة للشيوعيين. قام سارتر بكتابة مراجعة قاسية لكتاب «المتمرد» في «الأزمنة الحديثة»، المجلة المؤثرة التي قام بتحريرها. احتج كامو في رسالة إلى هيئة التحرير، والتي رد عليها سارتر برسالته المكونة من ١٩ صفحة. لقد اختلفا وافترقا بشكل كامل. في كتابها «المثقفون» عام ١٩٥٤، انهالت دي بوفوار على كامو وكأنه شخصية بغيضة.

كان كامو يؤكد دائماً أنه لم يلتزم بالوجودية، تلك الفلسفة التي ابتكرها سارتر. وعندما سئل فيما إذا كان مثقفاً يسارياً، أجاب: «لست متأكداً من كوني مثقفاً. أما بالنسبة إلى الأمر الآخر، فأنا أعمل من أجل اليسار، رغم نفسي ورغم اليسار».

وفي عام ١٩٥٤ أيضاً، حاولت فرانسين زوجة كامو، التي عانت بشدة من خياناته، الانتحار من خلال القفز من نافذة. في رواية «السقوط» The Fall، والتي هي ربما أروع روايات كامو، يروي جان بابتيست كلامنس، وهو محام متخصص في الدفاع عن القضايا النبيلة، حياته خلال نزهة ليلية عبر أمستردام، التي تستذكر قنواتها المركزية دوائر جحيم دانتي. يعترف كلامنس/ كامو بأنه لا يمكن أن تمر امرأة جميلة في الشارع من دون أن ينظر إليها. تطارده ذكرى امرأة ألقت نفسها من على جسر في باريس، ولم يحاول إنقاذها.

السياسة الجزائرية

خلال الحرب الجزائرية ١٩٥٤-١٩٦٢، رفض كامو الاختيار بين العرب الجزائريين، الذين دافع عن حقوقهم في كثير من الأحيان، والأوروبيين.

إن دعواته إلى اللاعنف والجزائر الفدرالية حيث يتعايشان في سلام، أغضبت الجانبين. بعد حفل جائزة نوبل في السويد، استقبله جزائري شاب وقال له، بنبرة من الغرابة: «أنا أؤمن بالعدالة، لكنني سأدافع عن والدتي قبل العدالة».

اشترى كامو، من مبلغ جائزة نوبل، منزلاً في لورمارين، بروفانس، ذكّره بالجزائر. في ٢٨ ديسمبر ١٩٥٩، كتب إلى أستاذه السابق، جان جرينير، أن «ظروف العمل بالنسبة إلي كانت دائماً ظروف الحياة الرهبانية: العزلة والركود. باستثناء الدَّين، فهي تتعارض مع طبيعتي، لدرجة أن هذا العمل هو عنف أطبقه على نفسي».

بعد ستة أيام، قرر كامو العودة إلى باريس مع ميشيل غاليمارد، ابن أخ ناشره، في سيارة غاليمارد فاسيل فيغا الرياضية.

انحرفت السيارة عن الطريق واصطدمت بشجرة. قتل كامو على الفور. توفي غاليمارد بعد خمسة أيام. تم العثور على تذكرة قطار كامو غير المستخدمة في جيب معطفه. كما قال في كثير من الأحيان بعض الأصدقاء، إن موت كامو في حادث سيارة، كان ذروة العبث.

العبثيات الثلاث

عرف كامو العبث بأنه عدم وجود إجابات لأسئلة الإنسان عن حاله. كتب «لقد استخلصت العبثيات الثلاث: ثورتي وحريتي وشغفي».

كتب كامو «الغريب» و«كاليجولا» و«أسطورة سيزيف» (والتي أشار إليها باسم «العبثيات الثلاث») في وقت متزامن في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات. وهي تشمل أنواع - الرواية والمسرح والمقالات.

تمت ترجمة «الغريب» إلى خمسين لغة، وهي رواية كامو الأكثر شهرة. في هذه الرواية يقوم ميرسول، وهو فرنسي يعيش في مستعمرة الجزائر العاصمة، والتي تغمرها أشعة الشمس على الشاطئ، بإطلاق النار على عربي. لا يحاول ميرسول أن يشرح ما فعله، ويدينه المحلفون أكثر لأنه فشل في البكاء على جنازة والدته، أكثر من كونه قد قتل عربياً.

قبل وفاته، يقبل ميرسول «اللامبالاة الكاملة بالعالم» وتأمل أن يحضر العديد من المتفرجين إعدامه «حتى أشعر بالوحدة».

في أكثر أحداث كامو أداء، غرق الإمبراطور الروماني كاليجولا في الجنون بعد وفاة أخته وحبيبته. سبب تعاسة كاليجولا: «الرجال يموتون وهم ليسوا سعداء».

في «أسطورة سيزيف»، يقارن كامو الجنس البشري بالملك اليوناني الذي أدانته الآلهة لرفع الصخرة الأبدية أعلى التل، فقط حتى تسقط إلى الأسفل. الجهد – وليس الانتحار – هو الرد المناسب على العبثية. «يجب على المرء أن يعتقد أن سيزيف سعيد»، كما يستخلص كامو.

البراءة في عالم عبثي

روبرت سي. سولومون

لقد استعار كامو من هيدغر إحساسه بأنه «مهجور» في العالم، وتشارك مع سارتر بمعنى أن العالم لا يقدم معنى للأفراد. لكن بينما انضم سارتر إلى هيدغر في الإصرار على وجوب جعل المرء ذا معنى، خلص كامو إلى أن العالم «عبثي»، وهو مصطلح أصبح (عن طريق الخطأ) يمثل كامل التفكير الوجودي. في الواقع، أحد الأخطاء المستمرة في الفهم الشعبي للوجودية، هو الخلط بين تأكيده على «لا معنى» للكون، مع الدعوة إلى اليأس أو «القلق الوجودي». يصر كامو على أن العبث ليس رخصة لليأس.

في بداية الحرب العالمية الثانية، نشر كامو رواية بعنوان «الغريب» ١٩٤٢، وكانت أول ترجمة لها باللغة الإنجليزية تحت عنوان «اللامنتمي» The Outsider، 1955؛ اشتهرت باسم The Stranger، ومقال بعنوان «أسطورة سيزيف» Le Mythe de Sisyphe 1942. مع هذين الكتابين، أصبح متحدثاً عن الأخلاق الحديثة الجديدة، والقدرة على مواجهة الحياة في وجه «العبث»، وهو شعور ميتافيزيقي بالمواجهة بيننا وبين «عالم غير مبال». تعدّ «أسطورة سيزيف» ظاهرياً إعادة سرد لقصة سيزيف، الذي تمت إدانته بأن يقوم إلى الأبد بدفع صخرة إلى أعلى جبل، ثم يتراجع بعد ذلك تحت ثقلها. اقترح كامو بأن هذا هو مصير كل واحد منا. نحن ننفق كل طاقتنا في دفع وزننا ضد العبث والإحباط. يقدم كامو مسألة ما إذا كانت الحياة

تستحق العيش، أو بعبارة أخرى، ما إذا كان يتعين علينا الانتحار. سيزيف كامو يلقي بنفسه في مشروعه بلا معنى، وبالتالي يجعله ذا معنى. «يجب على المرء أن يعتبر سيزيف سعيداً»، كما يقول كامو، وكذلك، من خلال الاعتراف بأنفسنا ورمي أنفسنا في عبث حياتنا.

على النقيض من ذلك، يقبل بطل الرواية «الغريب» عبثية الحياة من دون التفكير فيه كثيراً. هل قبولنا للعبث مشوب بالمرارة والاستياء؟ كامو يبدو ممزقاً بين القبول والتحدي. في رواية كامو الأخيرة، La Chute؛ «السقوط» ١٩٥٦، تجسد الشخصية المنحرفة المسماة جان بابتيست كلامنس تنويجاً لكل المرارة واليأس التي رُفضت معظمها من قبل شخصياته السابقة وفي وقت سابق في المقالات. يرفض كلامنس، مثل ميرسول، الحكم على الناس، لكن كلامنس يجعل رفض الحكم مبدأ فلسفياً. «من بيننا بريء؟» في الواقع، كيف يمكن أن يكون المرء بريئاً في عالم عبثي؟

نجت الوجودية اليوم من ثلاثين سنة من ما بعد الحداثة، وتحول مركز الفلسفة من أوروبا إلى أمريكا. الحماس لكيركيغارد، نيتشه، هيدغر، وسارتر، يتفاقم بشكل عظيم كما كان في أي وقت مضى، وفلسفة الاختيار والمسؤولية لا تزال حجر الزاوية في الكثير من الفلسفة الأمريكية، حتى بين أولئك الذين لن يعترفوا بدينهم للوجوديين.

كامو صوت العقل

آدم سيتسر

«ليست هناك شخصية تمثل الفكر في منتصف القرن العشرين أكثر من ألبير كامو».

عندما كنت أصغر سناً، اعتدت أن أنظر إلى رجال متفوقين مثل ألبير كامو، كما لو أنهم بطريقة ما، بسبب افتقارهم إلى العمل، قد جلبوا فلسفة سيئة وآراء عالمية محبطة على أنفسهم. في وقت لاحق، عندما أصبحت الحياة محبطة حقاً، نظرت إليهم من جديد بإحساس من القرابة والفتنة. يمكنني أن أتواصل معهم، وأرى الحقيقة فيما قالوا. نعم، هم مخطئون، ونعم، غالباً ما يكونون مخطئين، لكن هل أنا مختلف؟ والآن، بعد أن مررت بهذه المرحلة الاكتئابية في حياتي، أنظر إليهم بمزيج من الشفقة والحزن الحقيقيين، لأنني أرى فيهم الكثير من نفسي.

ألبير كامو هو أحد هؤلاء الفلاسفة القريبين من قلبي، لأنه ساعدني على رؤية نفسي بشكل أكثر وضوحاً، وبالتالي ساعدني على الخروج من مكان مظلم للغاية. أنا ممتن جداً لكامو لأنه صوت العقل الذي يقول بصدق ما يفكر فيه الإنسان الحديث حقاً، إذا كان قادراً على أن يكون صادقاً مع نفسه. وهو معروف على نطاق واسع بأنه الفائز بجائزة نوبل في الأدب ومنشئ العبثية، فلسفته في الحياة. أنا هنا أريد فقط تشريح هذه الفلسفة وشرح سبب الثورة في فهمي للحياة، والحياة المسيحية أيضاً.

العبثية كنتيجة طبيعية للحداثة

وُلد كامو في عالم عبثي (مثلنا جميعاً)، ولكن عبثية الحياة الكامنة كانت في صميم نظرته إلى العالم، لأنه كان جزءاً من الجيل الأول الذي خاض معركة مع ما بعد الحداثة. وُلد في عام ١٩١٣، أي بعد ٢٠ إلى ٥٠ عاماً من ذروة الثورة الحداثية - كانت ذروتها هي نظرية التطور - وهكذا كان هو وزملاؤه من الذين تركوا ووضعوا مرة أخرى في حالة من الفراغ - وهم متخوفون من معنى الحياة - في عالم (على ما يبدو) بلا معنى على نحو متزايد.

الأسئلة التي كان على كامو يجيب عليها كانت نتيجة للمفكرين التطوريين مثل تشارلز داروين (١٨٠٩-١٨٨٢) وفريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) وكارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)، الذين حققت إنجازاتهم التطور، «الله مات»، والشيوعية، على التوالي. كان كل واحد يحاول فهم العالم من دون إله في مجالات العلم والدين والسياسة، على التوالي.

التنوير

كانت تلك المجموعة من المفكرين - التي نسميها «التطوريين» - تحاول جميعها الإجابة عن الأسئلة الأساسية التي طرحها أجدادهم، رجال التنوير (لذا نعم، كل هذا كان رداً على التنوير). كانت أسئلة المفكرين مثل إيمانويل كانت وجان جاك روسو تستند إلى افتراضات أن البشر هم وحدهم في العالم وعليهم اكتشاف الأمور بأنفسهم. كان عصر التنوير هو الفترة التي اعتقد فيها الجميع أن ذلك ممكن.

عصر النهضة (من القرن ١٤ إلى ١٧)

الحداثة هي نظام الفكر الذي يستطيع البشر القيام به، ويجد جذوره في عصر النهضة، حيث بدأ الإنسان، لأول مرة، بشكل منهجي مع نفسه يحاول أن يفهم كل الحياة من حوله. (قبل كل ذلك، كان لديك رؤية للعالم ما قبل الحديث والتي تؤمن أساساً بإله متعال يتفهم ويتحكم أكثر مما يتخيل البشر، ولذا يجب أن نثق به ونرى العالم كنظام مفتوح يفوق بكثير قدرتنا على فهمه، لكنني لن أعود إلى هذا الحد، لذلك أنا أستطرد).

ما بعد الحداثة (القرن العشرون)

لقد عدت للتو إلى الوراء عبر التاريخ لإظهار التراث الفكري لأناس عصريين (بما في ذلك كامو) لإظهار المشاكل التي يتعامل معها كامو. قلت في وقت سابق إن التطوريين (داروين، نيتشه، ماركس) كانوا يحاولون الإجابة على أسئلة التنوير. حسناً، لقد فشلوا، وبدلاً من ولادة نظام فلسفي جديد أفضل، أدخلوا ما يسمى «ما بعد الحداثة». يطلق عليه ذلك لأنه لم يقدم أي شيء جديد؛ كان رد فعل فقط على ما جاء من قبل بطريقة أضعف بكثير.

وُلد كامو في هذا العالم، عالم يخبره أن ١) الحياة نظام مغلق، لذا فإن الأمر متروك لك لمعرفة الأشياء؛ ٢) الله ميت، حتى تتمكن من نسيانه؛ ٣) الحياة إذاً لا معنى لها، إلا إذا استطعت استحضار بعض المعاني لنفسك؛ ٤) بالمناسبة، بما أن «أمل» التطور هو التقدم المستمر للبشرية، فالأمر متروك لكم، للإنسان التكنولوجي الحديث. لذا واجه كامو هذه المشكلات غير القابلة للحل، والسبب في أنني أؤيده جيداً، هو أنه يقول نفس الأشياء عن الحياة. ثقافتي تخبرني بالأشياء نفسها، لأن التاريخ قادنا جميعاً إلى هذه

النقطة. هذا منطقي. استبعد بقية التاريخ البشري المسجل لكل خيار بالنسبة إلينا حتى لا يتبقى لنا سوى خيارين: ١) نداء إلى الله في «قفزة الإيمان» العمياء، أو ٢) أن تقنع نفسك بأن الانتحار ليس خياراً (أي، لماذا يجب ألا تنتحر). هذا هو سعي كامو العبثي للإجابة.

هناك سؤال فلسفي مهم واحد فقط: الانتحار. إن تقرير ما إذا كانت الحياة تستحق العيش هو الإجابة على السؤال الأساسي للفلسفة. كل شيء آخر... هو لعب أطفال؛ يجب علينا أولاً الإجابة على السؤال.

الرد على الانتحار

بدأت الحداثة القديمة مع الله، وشكلت الحياة من وجهة نظره. بدأت الحداثة مع الإنسان، وأنتجت كل البدع التطورية التي لدينا اليوم، وما بعد الحداثة هي عندما تنفد قوة الإنسان، ويدرك أنه دعم نفسه في زاوية حيث لا يعني أي شيء بعد الآن. هذه عدمية (والتي، مرة أخرى، يمكنك أن تشكر عليها نيتشه). إنها نظرة عالمية لا تخلو من المعرفة أو السعادة أو الخير أو الشر، ولكن من المعنى. نحن البشر طردنا الله من النظام، واستغرق الأمر ما يقرب من خمسمائة سنة حتى ندرك أن فعل ذلك كلفنا حرفياً كل شيء. إذا لم يكن هناك شيء ذو معنى بعد الآن، فلا شيء له غرض أو قيمة.

النظرة إلى العالم التي يكون فيها الانتحار هو الجواب، هي النظرة العالمية التي تستند إلى العدمية، وهذا هو معظم عالمنا اليوم.

الوجودية

تم ترك كامو ومعاصروه مع سمّ العدمية باعتباره السبيل الوحيد لإيجاد إجابات نهائية، وبما أنهم كانوا مقتنعين بأن هذا هو أفضل الأفكار التي قدمها

تاريخ البشرية (بفضل التطور)، فقد أُجبروا على العيش خارج حياتهم بأكملها وهم يحاولون العثور على ترياق. جوابهم: الوجودية. الوجودية هي الاعتقاد بأنه على الرغم من أن الله قد لا يكون موجوداً وأن الحياة قد تحدد وضمن نظام مغلق، فإن تجربة الإنسان للحياة في ما بعد الآن، هي كل ما يمكن أن نأمله. الإنسان يركز على نفسه ووجوده ويستمد المعنى والفرح من ذلك. ومن الأمثلة على ذلك أن معنى الحياة يأتي من قدرتنا على إسناد القيمة إلى حياتنا الفردية، وليس من بعض الأحاسيس المطلقة التي تتجاوز الزمان والمكان.

هناك نوعان أساسيان من الوجودية خرجا في تلك الفترة: العلمانية والدينية. لقد سعى الوجوديون العلمانيون، مثل جان بول سارتر وألبير كامو نفسه، إلى فهم أن الحياة عبثية وبلا معنى ومن دون إله، بينما أضاف الوجوديون الدينيون، مثل سورين كيركيغارد، الله في هذا المزيج. يقتبس جيمس سير من كامو حول هذا الموضوع، ويضيف تعليقاً رائعاً:

«أدب اليأس هو تناقض... في أحلك أعماق العدمية لدينا، سعيت فقط من أجل إيجاد طرق لتجاوز العدمية».

هنا يتم تلخيص الهدف الأكثر أهمية للوجودية في عبارة واحدة - لتجاوز العدمية.

مكتبة
t.me/t_pdf

العبثية

في مقالة السيرة الذاتية عن كامو، نقلت هذا المقطع الذي، في اعتقادي، يلخص تجربة كامو في عبثية الحياة:

[في أحد الأيام، أصيب طفل في حافلة وترك ميتاً] مشياً على الأقدام، التفت كامو نحو منظرِ البحر الأزرق والسماء. وأشار بإصبعه نحو السماء قائلاً: «كما

ترى، إنه لا يقول شيئاً». كان فوشيت [صديقه] متأكداً من أن كامو ليس لديه أي اعتراض أساسي على الدين، على الرغم من أنه وجد أن وضع الإنسان في مواجهة المعاناة والموت، وحده في صمت من السماء، أمر لا يطاق.

هذا العبث هو التناقض الظاهر المتأصل في الحياة. في لحظة واحدة لديك طفل جميل بريء، وبعد ذلك كومة من الدموع والنحيب. ومع ذلك، يستمر العالم في التحول كما لو لم يحدث شيء. شخص ما في مكان ما يواصل الضحك - وربما الكثير من الناس. في عالم بلا إله (أو على الأقل، في حالة كامو، عالم بلا إله نشط على ما يبدو)، فإن هذه الأجزاء من الحياة لا معنى لها على الإطلاق. إنهم عبثيون للغاية. ومع ذلك، هذه هي الأشياء المصنوعة من الحياة؛ لذلك ربما تكون الحياة نفسها عبثية. استمع إلى ما قال كاتب سيرة هذا العبث:

«يحدث ذلك عندما تتحطم حاجتنا للمعنى ضد اللامبالاة المطلقة في العالم. نتيجة لذلك، فإن العبث ليس حالة مستقلة؛ إنه غير موجود في العالم، بل يتم التعبير عنه بالهاوية التي تفصلنا عن عالم صامت. «هذا العالم في حد ذاته غير معقول، هذا كل ما يمكن قوله. لكن ما يبعث على العبث هو مواجهة هذا التوق غير المنطقي والوحشي من أجل الوضوح الذي تردد صداه في قلب الإنسان. العبث يعتمد على الإنسان بقدر ما يعتمد على العالم. في الوقت الحالي، هما مرتبطان معاً»».

كانت مهمة كامو تتمثل في فهم فلسفة «العدم» التي تنتقل إليه، وبالنظر إلى بيانات وتجارب الحياة من حوله، فهو يحدد عالماً بدون سبب واضح، وكلما زاد الفصل الذي يراه بين توقعاته حول كيف يجب أن تكون الأمور، وكيف هي الأمور في الواقع، كلما زاد العبث:

العبث هو طفل. ينهض أمامنا عندما تكون توقعاتنا أقل من الواقع. من أبسط الحالات إلى أكثرها تعقيداً.

كلما كان كامو يبحث عن المعنى، كلما وجده أقل. هذا هو عبث الحياة. هذا طريق مسدود لما بعد الحداثة في كل مجده المكتئب العبثي.

إنجيل العبثية

في مواجهة هذا العبث، فإن الطريقة الوحيدة للمضي قدماً هي: «ينبغي على الأفراد أن يتبنوا الشرط العبثي للوجود الإنساني مع الاستمرار في البحث عن المعنى واكتشافه».

إن إنجيل العبثية هو الحفاظ على البحث، والتحدي حتى النهاية. ومرة أخرى، فإن الانتحار ليس هو الحل (على الرغم من أنه يبدو منطقياً في هذه النظرة إلى العالم):

بالنسبة إلى السؤال الفلسفي الوحيد الذي يستحق التساؤل - ما إذا كان الانتحار يجب أن يكون ردنا على عالم عبثي، كان رد كامو واضحاً: لا يمكن ولا يجب أن يكون كذلك. وإذا كان الأمر كما كتب في «أسطورة سيزيف»: «الثورة تعطي الحياة قيمتها»، فإن الانتحار يقبل - بل يحتضن حتى - حياة وعالماً خالياً من المعنى والأهمية. وأكد أنه من الضروري «أن تموت بدون مصالحة وليس بمحض إرادك. الانتحار هو نبذ. لا يمكن للرجل العبثي أن يستنزف كل شيء إلى أن يصل إلى النهاية المريرة... إن العبث هو توتره الشديد، الذي يحافظ عليه باستمرار بجهد فردي، لأنه يعلم أنه في هذا الوعي وفي ذلك التمرد اليومي، يقدم دليلاً على حالته الوحيدة الحقيقية، التي هي التحدي».

لذلك في نهاية المطاف، فإن السبب الوحيد الذي يجعل الحياة ذات قيمة، هو أنها أصبحت قيمة بسبب النضال الذي واجهته ضد العبثية. أن نستسلم للعبثية، هذا يعني الفشل.

التعاطف مع كامو

أستطيع الآن أن أكتب لعدة أيام عن مدى عمق هذه الفلسفة في تأصيلها في نفسيتنا الثقافية، لكنني أريد أن أنهي بعض الأفكار العملية حول سبب اعتقادي أن هذا الأمر يغير الحياة. اسمحوا لي أن أطلق عليك بعض طلقات الرصاص:

١. نحن نمثل ما بعد الحداثة في وجهات نظرنا العالمية، حتى لو ذهبنا إلى الكنيسة كل يوم أحد. إننا جميعاً ننضوي تحتها، إنها في صميمنا، نحن نكافح مع هذه القضايا نفسها. عندما تبدأ في الشك في أن حياتك لها معنى، فقد توجهت للتو إلى ما بعد الحداثة. المعنى لم يكن مشكلة قبل التنوير. اعتاد الناس أن يقاتلوا من أجل المعرفة، ولكن الآن نحن نحارب من أجل المعنى. نحن لا نمتلكه أو نرتبط بأي شيء.

٢. مات كامو في هذا الظلام. قضى حياته كلها يقاتل من أجل ما كان يعتقد أنه صحيح. أنت وأنا نفعل نفس الشيء؟ لمجرد أن الله قد أطلعنا نحن المسيحيين على رؤية ومعرفة الحقيقة، فهذا لا يعني أننا أفضل منه. في الواقع، كما هو الحال في كثير من الأحيان، ربما كان كامو رجلاً أفضل من معظم المسيحيين هذه الأيام، لأنه كان عليه في الواقع أن يقاتل من أجل فهم الحياة، بدلاً من مجرد الثقة في يسوع، لجعل الحياة أفضل.

٣. تعرف على المزيد حول الطريقة التي تعمل بها الأفكار، لأنه يتطلب بذل جهد لمكافحة ما بعد الحداثة في نفوسنا، وليس هناك الكثير في العالم

الفوضوي المحيط بنا. الاكتئاب والغضب وأي خطيئة أخرى هي نتيجة لأفكارك التي تصطدم بالطريقة التي تسير بها الأمور حقاً. شاهد العلامات وتعلم كيف تفسرها، ثم تعلم استخدام الكتاب المقدس كما كان من المفترض استخدامه: كخريطة للعالم، مع الإشارة إلى الطريق من خلال شبكة الأفكار المعقدة التي قام شيطان بمدها لكي يقبلك ويأكلك وأنت على قيد الحياة.

السبب وراء تغيير كامو لحياتي، هو أنه بعد عدة سنوات من مرضي وارتباطي بالكرسي، بدأت أتذوق المرارة، وبدأت أؤمن بالرضا. بدأت أعتقد بالأكاذيب التي أهدرها الألم، وأن الله ليس جيداً، وأن الحياة مزحة كونية (في لغته هي «العبثية»)، وكانت حياتي وستظل دائماً بلا معنى. لقد بدأت في شراء كل شيء، أثناء قراءة كتابي المقدس يومياً وأصلّي وأخدم الكنيسة، وقد سحقني هذا تقريباً. لقد حررتني دراسة ألبير كامو، لأنني رأيته فيها وأدركت كم كنت مخطئاً، وأين أخطأت، وكيف أراد الله أن أفكر جيداً. عندما تقاتل يومياً، فأنت بحاجة إلى الأدوات المناسبة. الأفكار هي أدواتك. لا تشترِ خردة العالم؛ فليكن ألبير كامو علامة تحذير لنا جميعاً على الحياة العبثية التي أنقذناها من الإله المسيحي، من مكاننا كبشر صغار محاصرين بين النضال الكوني الرهيب وبين الله والشيطان، وفي هشاشة القلب البشري المميتة عائق لفهم أي شيء على الإطلاق.

القلق والاغتراب

كتب الفيلسوف ألبير كامو في كتابه «أسطورة سيزيف» ما يلي عن روتين العديد من الناس في العصر الحديث:

«الخروج، ركوب الترام، أربع ساعات في المكتب أو المصنع، الوجبة، الترام، أربع ساعات من العمل، الوجبة، النوم، والاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس والجمعة على الإيقاع ذاته».

هذا النمط من الحياة، على الرغم من أنه مرهق وغير متعب في كثير من الأحيان، يتبعه معظم الأفراد في معظم الأوقات دون سؤال. ومع ذلك، يمكن للتجربة المثيرة للقلق من حين إلى آخر، أن توقظ تجربة واحدة من سبات اليقظة هذا - سواء كان شعوراً بالعزلة عن الآخرين وانفصالاً عن الواقع، أو إدراكاً لطبيعة الوقت السريعة، أو إدراكاً حيوياً للموت الذي ينتظر في مكان ما في المستقبل.

مثل هذه التجارب تثير مشاعر القلق والاغتراب والاستياء من الحياة، ما يؤدي إلى مواجهة الأسئلة المتعلقة بطبيعة الوجود الإنساني والهدف منه.

كتب كامو: «لكن في يوم من الأيام ينشأ «السبب»، وكل شيء يبدأ من ذلك التعب الذي تشوبه الدهشة».

يعتبر كامو هذا «السبب» بمثابة «توق للوحدة»، والذي يمكن اعتباره رغبة في فهم طبيعة الكون، والحاجة إلى الاتحاد مع الحياة، وبالتالي تحسين الإحساس في كل مكان بالوحدة الذي يكمن في قلب الحالة الإنسانية:

«أعمق رغبة للعقل»، كما كتب، «حتى في عملياته الأكثر تفصيلاً، يوازي شعور الإنسان اللاواعي في وجه كونه: إنه إصرار على الألفة، شهية للوضوح... هذا الحنين إلى الوحدة، تلك الشهية للوحدة المطلقة، يوضح الدافع الأساسي للدراما الإنسانية».

في الماضي، تشربتُ هذا الحنين إلى الوحدة من قبل مختلف النظم الأسطورية والدينية والفلسفية التي بررت الوجود الأرضي وأعطته معنى.

ومع ذلك، ولد كامو في عصر كان يصارع موت الله، لم يستطع كامو أن يؤمن بصحة أي من هذه النظرات الميتافيزيقية للعالم.

«إذا كان يجب كتابة التاريخ المهم الوحيد للفكر الإنساني، فإنه يجب أن يكون تاريخ أسفه المتتالي وعجزه».

على عكس العديد من وجهات النظر الفلسفية والدينية التي تزيد من ألوهية العقل الإنساني، لم يعتقد كامو أن لديه القدرة على الإمساك بأي حقيقة أو معنى متعال.

«لا أعرف ما إذا كان هذا العالم له معنى يتجاوزه. ولكني أعلم أنني لا أعرف هذا المعنى، وأنه من المستحيل بالنسبة إلي الآن أن أعرفه».

هذا يعدّ مشكلة مقلقة لكامو. إن إدراك أن الوجود الإنساني عبارة عن عبث بلا جدوى لا نهاية له سوى الموت، يحفز الرغبة في الوضوح - الرغبة في فهم مبادئ الأمر المطلقة والغرض من وراء الكون. لكن السبب لدينا يقتصر على الأدلة من خلال تجربتنا، وبالتالي عندما يتعلق الأمر بوسائل الراحة الروحية التي نتوق إليها، فلا يمكن أن يكون هناك أي تأكيد على الإطلاق.

نحن مثل تانتالوس Tantalus، الذي تمت إدانته بالخلود بالوقوف في بركة من الماء تحت الثمار المتدلية التي تنحسر في كل مرة يصل إليها. سيبقى توقنا الأبدي العميق إلى أبعد من تبرير هذا الوجود الأرضي دون تحقيق، وفي ظل تدفق الوجود اليومي، سنشعر في جوهرنا بأننا غرباء في عالم غريب. لهذا السبب خلص كامو إلى أن الوجود الإنساني أمر عبثي:

«الرجل يقف وجهاً لوجه مع غير العقلاني. يشعر بداخله بشوق للسعادة والسبب. ولدت هذه العبثية من هذه المواجهة بين الحاجة الإنسانية والصمت غير المعقول في العالم».

ليس الأمر أن الكون في حد ذاته عبثي، بل ينشأ عن العبث من علاقتنا بالكون - إنه موجود داخل التوتر بين توقنا للوحدة وعدم مبالاة هذا التوق. بكلمات كامو «العبث يعتمد على الإنسان بقدر ما يعتمد على العالم».

ما الذي يجب فعله عند مواجهة إدراك أن الوجود الإنساني أمر عبثي؟ في أسطورة سيزيف، وضع كامو استراتيجيتين أوليتين للتعامل مع هذا الوعي: الانتحار الجسدي والانتحار الفلسفي:

يقوم بعض الأشخاص بالانتحار الجسدي عند إدراكهم أن الحياة عبثية، معتقدين أنه إذا لم يكن للحياة معنى، فلا يجب أن تستحق العناء.

في حين أن الانتحار الجسدي هو «حل»، إلا أن الكثير يميلون إلى ما أسماه كامو بالانتحار الفلسفي. في محاولة للفرار من الوعي المقلق بعبثية الحياة، يفرون من خلال الإيمان والأمل. على الرغم من عدم وجود دليل، يتبنى مثل هؤلاء الأشخاص الاعتقاد بأنه وراء هذا الوجود الأرضي يوجد وئام مطلق أو نيرفانا أو معنى أو الله.

نظر كامو لكلا النوعين من الانتحار - الجسدي والفلسفي - كردين محتملين للوعي بأن الحياة عبثية:

«هل تتطلب عبثيتها [الحياة] أن يفلت منها أحد من خلال الأمل أو الانتحار - وهذا ما يجب توضيحه، ومطاردته. هل يفرض العبث الموت؟».

رغم الاعتراف بالانتحار كرد محتمل على العبث، خلص كامو إلى أن أولئك الذين يختارون ارتكاب الانتحار الجسدي أو الفلسفي، يفشلون في إدراك أن الحفاظ على الوعي بالعبثية دون اختيار الموت، يمثل إنجازاً - حالة وعي عليا. ليكون على بينة من العبث والمصير المدمر الذي يحاول كامو أن يتفوق عليه. مثل هذا الكامو الفردي يسمى «البطل العبثي».

يميل الحفاظ على الوعي الواضح بعبثية الحياة إلى تحفيز «التمرد» بشكل طبيعي، والشعور بالغضب والاحتجاج على الحالة المأساوية للمرء، ورفض التحدي لكسرها.

«إنها مواجهة مستمرة بين الإنسان والغموض. إنه إصرار على الشفافية المستحيلة. إنه يتحدى العالم من جديد كل ثانية... إنه ليس طموحاً، لأنه يخلو من الأمل. هذه الثورة هي اليقين من مصير ساحق، دون الاستسلام الذي يجب أن يصاحب ذلك».

الثورة هي قول «لا» لوجود العبثية، و«نعم» لبعض الأشياء الأخرى، المرغوبة أكثر.

هذا التأكيد الضمني على التمرد يؤدي إلى التمرد، وهو محاولة لإعادة تشكيل الوجود الإنساني من خلال جهود الفرد:

«في كل تمرد يتم العثور على السؤال الميتافيزيقي للوحدة، واستحالة الحصول عليها، وبناء عالم بديل. التمرد، من وجهة النظر هذه، هو معادٍ للأكوان».

على الرغم من الدافع الأولي الصحيح، لا يؤدي التمرد دائماً إلى تغيير البناء.

في الواقع، كان كامو يعتقد أن أشكال التمرد المدمرة أو ما أسماها «عدمية» شائعة، خاصة في العصر الحديث. كامو، الذي عاش في خضم بعض أسوأ الأنظمة الاستبدادية والإبادة الجماعية في القرن العشرين، تأكد بأنها شكل من أشكال التمرد ضد العبثية. عند الاعتراف بعدم وجود «ما وراء» تبرير هذا الوجود، أعلنت هذه الحركات عن كراهية للحياة ورغبة، في عالم بلا إله، للعب دور كل من الله والشيطان:

«مع الإطاحة بعرش الله، يدرك المتمرد الآن أن الأمر متروك له لإنشاء... هذه العدالة، هذا النظام، هذه الوحدة... وبقيامه بذلك، يبرر سقوط الله. ثم تبدأ الجهود اليائسة لخلق إمبراطورية الإنسان، بثمن الجريمة إذا لزم الأمر».

جميع أشكال التمرد العدمية تبرر القتل والدمار اللذين تفرضهما على العالم من خلال الادعاء بأنه عالم عبثي، إذا لم يكن هناك شيء صحيح، ولا توجد قيم أخلاقية، فكل شيء مسموح به:

«إذا كنا لا نؤمن بأي شيء، وإذا لم يكن لأي شيء معنى، وإذا لم نتمكن من تأكيد أي قيم على الإطلاق، فكل شيء ممكن وليس له أي أهمية».

كان كامو يعتقد أن التمردات العدمية تمثل إغراءات مستمرة، وتناشد «التوق إلى الوحدة» العالمية المشتركة بين الجميع. تحولت الحركات الاشتراكية الكبرى في القرن العشرين، على سبيل المثال، بدءاً من إدراك العبث وفقدان الإيمان بالله، نحو التاريخ من أجل الخلاص من خلال الدفاع عن اليوتوبيا.

«الاشتراكية هي إذاً مشروع لتأليه الإنسان، وتفترض بعض خصائص الأديان التقليدية».

عندما يُفترض وجود الحقيقة والعدالة والوئام - المدينة الفاضلة - في المستقبل، يصبح تحقيق هذه المدينة الفاضلة في «نهاية التاريخ» هو المقياس الوحيد للقيمة وأي وسيلة يُعتقد أنها تسهم في تحقيقها ما يبررها؛ سواء كان ذلك إنكاراً للحرية الفردية أو تعذيباً أو حتى إبادة جماعية:

«إذا كان من المؤكد أن المملكة ستأتي، فما أهمية الوقت؟ المعاناة ليست مؤقتة للإنسان الذي لا يؤمن بالمستقبل. لكن مائة عام من المعاناة تتلاشى في عيني الإنسان الذي يتنبأ، على مدى السنة الأولى والمدينة الأولى».

تتميز هذه التمردات «العدمية» بما أسماه كامو الرد على كل شيء، سعياً إلى تحقيق المستحيل من خلال القضاء التام على عبثية الوجود الإنساني وتحقيق اليوتوبيا، التي تحطم الفوضى والمعاناة في العالم باسم الوهم.

«الكل، في الواقع، ليس سوى حلم الوحدة القديم المشترك بين المؤمنين والمتمردين على حد سواء، ولكن هذا تم تنفيذه على أرض لا وجود للإله فيها».

على النقيض من التمردات العدمية، التي تلوث المعنى الأصلي والحقيقي للتمرد، دافع كامو عما اعتقد أنه شكل حقيقي من أشكال التمرد، الذي يعترف بضرورة القيم المجتمعية المشتركة، ومحاولات تحقيق التضامن والحرية الفردية والانسجام بين البشر:

«إذا كان الناس لا يستطيعون الإشارة إلى قيمة مشتركة، معترف بها من قبل الجميع على أنها موجودة في كل واحد، فسيكون الإنسان غير مفهوم لدى الإنسان».

يعتقد كامو أن مثل هذه القيم المشتركة يمكن تحقيقها من خلال الاعتراف بأن جميع البشر هم أبناء العبث. إنه إخضاع لمصير مأساوي مشترك واحتجاج على حالتنا التي توحدنا وتربطنا في «سلسلة متضامنة». كتب كامو «أنا متمرد»، «لذلك نحن موجودون».

مع إدراك أن عبثية الوجود الإنساني التي لا يمكن القضاء عليها تماماً، فإن التمرد الحقيقي لا يسعى إلى تحقيق يوتوبيا بالوسائل المدمرة، كما تفعل التمردات العدمية، ولكنه يعترف بكرامة وحقوق الآخرين ومحاولات تنفيذ الوحدة بين الأفراد:

«لا شك أن المتمرد يطالب بحرية معينة؛ ولكن في أي ظرف من الظروف يطلب، إذا كان ثابتاً، الحق في تدمير شخص وحرية شخص آخر. إنه لا يحط من قدر أحد؛ إنه يطالب بحرية الجميع؛ إن ما يرفضه هو منع الآخرين من ممارسة حياتهم. إنه ليس مجرد عبد يعارض سيده، بل هو إنسان يعارض عالم السيد والعبد».

متحداً مع صراع مشترك في ظل ظروف عبثية، تصور كامو مجتمعاً ينهض ويتمرد ضد شرور العالم وظلمه. ومع ذلك، لم يكن كامو متفائلاً تماماً في مثل هذا الموقف.

استكشف في كتابه «السقوط» إمكانية وجود عالم لا يواجه فيه أحد التحدي المتمثل في محاربة الظلم، حيث لا يتحقق التضامن والسلام النسبي والانسجام. كان اهتمام كامو راسخاً.

في أيامنا هذه، تتضاءل الحرية في العديد من مجالات الحياة، وتجمع الحكومات في جميع أنحاء العالم الناس للتضحية بالحريات الشخصية من أجل الوعد بالسلام والأمن في المستقبل. إذا استمر هذا الاتجاه، فقد قدم كامو بعض النصائح القديمة لأولئك الذين يرفضون السير في هذا الخط، لكنهم يفضلون الحرية:

«الطريقة الوحيدة للتعامل مع عالم غير عادل»، كما كتب، «هي أن تصبح حراً للغاية، لدرجة أن وجودك ذاته هو عمل تمرد».

حدود العبث

روبرت زاريتسكي

قبل سبعين عاماً، وصل ألبير كامو إلى مدينة نيويورك. كانت هذه أول زيارة قام بها مؤلف كتاب «الغريب» إلى الولايات المتحدة. قضى كامو معظم وقته في مدينة نيويورك، كما اعترف، التي هزمت فهمه. كانت تجربته، بكلمة واحدة، عبثية. للاحتفال بالذكرى السنوية للزيارة، نظمت المجموعة الأدبية المسماة باسم ألبير كامو، سلسلة من القراءات والعروض والمناقشات في جميع أنحاء المدينة. الممثل فيجو مورتنسن، المغني وكاتب الأغاني باتي سميث، المغني الشعبي إريك أندرسن، والعلماء موريس ديكشتاين وأليس كابلان من بين الفنانين والكتاب.

في ٢٥ مارس/ آذار من عام ١٩٤٦، واجه عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي شتراوس، بعد أن غادر الغابات المطيرة في البرازيل إلى الأخاديد الإسمنتية لمدينة نيويورك، بنية اجتماعية معقدة وقاسية مثل تلك التي وجدها في الغابات المطيرة في البرازيل. تلقى ليفي شتراوس زيارة غير متوقعة من مجموعة من الركاب الفرنسيين الذين وصلوا للتو على متن سفينة شحن أمريكية، أوريغون. قام مسؤولو الهجرة باحتجاز رجل فرنسي لأنه رفض ذكر أسماء الأصدقاء الذين ينتمون إلى الحزب الشيوعي. أرسل ليفي شتراوس زميلاً له، وأُفرج عن الزائر الفرنسي الذي أصيب بالإحباط والاكتئاب في النهاية.

مع هذا الحدث العبثي، بدأ ألبير كامو زيارته الوحيدة إلى أمريكا.

لم يكن كامو سائحاً عادياً. لقد أرسلته وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية كممثل رسمي للبلد الذي تم تحريره مؤخراً. من الأفضل التحدث إلى الجماهير الأمريكية حول تجربة فرنسا في الاحتلال والتحرير؟ بحلول عام ١٩٤٤ وتحرير باريس، لم يكن الكاتب الفرنسي الجزائري الشاب مجرد مؤلف كتابي «الغريب» و«أسطورة سيزيف»، اللذين نُشِرَا كلاهما وتمت الإشادة بهما من قبل النقاد في باريس المحتلة. وكان أيضاً رئيس تحرير صحيفة «المقاومة» Combat، الصحيفة السرية الأكثر نفوذاً أثناء المقاومة الفرنسية. المفاجأة التي أقلقته، أنه أصبح الشيء الوحيد القابل للتسويق إلى بلد ملطخ بالدماء والوحشية: المفكر الفرنسي الذي كانت الأفكار بالنسبة إليه مسألة حياة أو موت.

كان صديقه، جان بول سارتر، قد سبقه إلى نيويورك في عام ١٩٤٥. وهو يلعب دور الوجودي يوحنا المعمدان، وتحدث سارتر بإسهاب عن كامو لمراسل من الطبعة الأمريكية من صحيفة «فوغ». وأشاد سارتر بالأدبيات الجديدة التي ترسخت في أرض فرنسا المحررة، وأعلن أن «أفضل ممثل لها هو ألبير كامو، البالغ من العمر ثلاثين عاماً». تحت ضغط الاحتلال والمقاومة، لاحظ سارتر أن العبث الميتافيزيقي الذي ميز رواية ومقال كامو، قد تحول إلى شكل من أشكال العبث السياسي. وبينما أوضح ذلك الطبيعة المتشائمة لعمل كامو، فقد مثل أيضاً ترياقاً لليأس. «لقد فقد كل الأمل في أن يجد الرجل نفسه، لأنه يعلم حينها أنه لا يستطيع الاعتماد على نفسه»، هذا ما أوضحه سارتر. وتابع: «إن الوجود المستمر للموت،

والتهديد الدائم بالتعذيب، جعل الكتّاب مثل كامو يقيسون صلاحيات وحدود الإنسان».

كما جعل كامو يقيس قوى وحدود المشاهير. عندما تابع عرض سارتر الافتتاحي في العام التالي، بدا أنه مهيأ لدور البطولة. نظراً لأن كامو كان محبوباً وذكياً وسلساً، فقد صدم أكثر من مراقب بصفته بوغارت - وهي مقارنة أسعدت الكثير من الفرنسيين، وليس كامو. لكن بعد أن كان من بلد دمرته الندرة المادية، لم يكن يرتدي ثياباً مناسبة. عندما دعا الصحفي النيويوركي أ. ج. ليبلينغ كامو في اليوم التالي لوصوله، اندهش من «الدعوى العبثية» للفرنسي، التي بدا أنها سبقت التحطم العظيم.

ولكن ليبلينغ سُحر أيضاً بدفء وفكاهة الزائر. لقد تحدثا عن الحرب التي انتهت لتوها - كان ليبلينغ في فرنسا من أجل تحريرها - وبدأ السلام للتو، في باريس ونيويورك. حتماً، سأل ليبلينغ كامو عن عمله الخاص، وبشكل خاص عن أسطورة سيزيف، التي تقدم صورة البطل اليوناني المحكوم عليه بدفع صخرة إلى أعلى الجبل إلى الأبد. «بالنسبة إلى الإنسان فقد وصل إلى مثل هذا الاستنتاج القاتم»، هذا ما قاله ليبلينغ في مقالته «حديث البلدة»، وتابع: «بدا كامو مبتهجاً من دون سبب لذلك». عندما سأل ليبلينغ عن السبب، أجاب كامو: «لمجرد أن لديك أفكاراً متشائمة، فلا يتعين عليك التصرف بشكل متشائم. على المرء أن يعبر الوقت بطريقة أو بأخرى. انظر إلى دون جوان».

في نهاية المقابلة، يجب أن نتخيل ليبلينغ Liebling سعيداً. وهناك حاجة إلى القليل من الخيال لرؤية سعادته عندما طُلب منه أن يقوم بدور منسق

الاحتفالات بعد يومين في مسرح مكميلين، حيث كان من المقرر أن يدلي كامو بحديث. تدفق أكثر من ١٢٠٠ شخص إلى القاعة. بعض الموجودين، كانت لديهم معرفة هشة باللغة الفرنسية، ولكنهم مع ذلك فهموا أهمية الحدث. على الرغم من أنه بدا مرتاحاً للبيلينغ قبل يومين، إلا أن كامو شعر الآن بأجواء الترقب في القاعة الممتلئة. لقد توقف مؤقتاً، وللحظة فقط، إذ تغلبت عليه هيبة المسرح.

لكن هذه الأزمة الصغيرة أفسحت المجال لأزمة أكبر، أثرت علينا جميعاً. في كتابه «La crise de l'homme» أو «Crisis of Man» «أزمات الإنسان»، وضع كامو على عاتقه مهمة هائلة. دخل إلى قاعة مكتظة تضم بعض الأميركيين الشباب، ليتحدث عن عواقب الأحداث التي، على الرغم من أنها بالكاد تلمس جمهوره، فقد خربت أوروبا. بدأ كامو كلامه: «الرجال والنساء من جيلي، وُلدوا قبل أو أثناء الحرب العالمية الأولى، ووصلوا إلى فترة المراهقة في فترة الكساد العظيم، وتحولوا إلى سن العشرين عندما تولى هتلر السلطة. وفي فترة تعليمنا، فرضت علينا الحرب الأهلية الإسبانية رميونيخ وحرب عالمية أخرى تلتها الهزيمة والاحتلال والمقاومة».

وخلص كامو إلى أن هذه التنشئة، هي التي صنعت «جيلاً مثيراً للاهتمام». في مواجهة عبثية هذه الأحداث، كان على جيله إيجاد أسباب للمقاومة والتمرد. أين، رغم ذلك، يمكن العثور عليها؟ لم يقدم الدين ولا السياسة التوجيه، في حين أن الأخلاق التقليدية كانت «نفاقاً وحشياً». في قارة اجتاحها القتل الجماعي والإرهاب، عالم غارق في

العدمية، كان جيل كامو يندفع إلى أكثر التناقضات فظاعة. «لقد كرهنا كل من الحرب والعنف، لكن كان علينا أن نقبل كلاً منهما». لقد واجهوا، باختصار، أزمة الإنسان.

على سبيل التوضيح، عرض كامو المقالات القصيرة التي تحكي عن الحياة في ظل الاحتلال النازي. يوجد بوّاب في مبنى الجستابو Gestapo في مكان ما في أوروبا يدخل إلى شقة حيث يتم تقييد رجلين، مشتبه في قيامهما بنشاط مقاوم، نشاط دموي. عندما يطلب أحدهما المساعدة، يجيب بكل فخر: «لا أمانع أبداً مساعدة سكان المبنى الخاص بي». وهناك أحد مرتادي المطعم الذي يرتاده كامو، تم في اليوم السابق اقتلاع أذنيه. يسأل الضابط، الذي أشرف على التعذيب، متعاطفاً: «قل لي، كيف حال أذنيك؟». أخيراً، هناك أم يونانية تعلم أن الجنود الألمان الذين أخذوا أبناءها الثلاثة كرهائن على وشك إطلاق النار عليهم. تتوسل الضابط لتجنيبهم الموت، وهو يقدم حلاً وسطاً: يمكن إطلاق سراح ابن واحد، وعلى الأم أن تختار واحداً منهم. إنها تشير إلى الأكبر، فيحكم على ولديها الآخرين بالموت.

يخبر كامو مستمعيه أنه لم يختر هذه القصص بسبب قسوتها، وإنما لأنها توضح أزمة الإنسان التي يواجهها العالم الآن. إن الأزمة، بكل بساطة، هي ثمرة عالم لا يمارس فيه التعذيب فحسب، ولكنه يثير أكثر من مجرد عدم مبالاة الجلادين. عندما يكون ردنا على قتل أو تعذيب إنسان آخر غير الرعب والغضب؛ عندما نعتبر التطبيق المتعمد للألم أكثر إثارة للقلق من الوقوف في طابور لنيل حصصنا الغذائية اليومية؛ عندما وصلنا إلى هذه النقطة، يجب علينا أن نقبل أن العالم لن يتحسن لمجرد وجود هتلر. في

القاعة، أعلن كامو: «نحن جميعاً مسؤولون، ونحن ملتزمون بالبحث عن أسباب الشر الرهيب الذي لا يزال يعصف بروح أوروبا».

ضد هذا التشخيص القاتم لحالتنا، قدم كامو وصفة طبية قاتمة. رغم عدم وجود سبب للأمل، إلا أن هذا لم يكن سبباً لليأس. وأعلن أنه لا يمكننا حل هذه الأزمة إلا «بالقيم التي لا نزال نمتلكها - بكلمة واحدة، الوعي بعبثية حياتنا». كان كامو يستشهد بالمواضيع الفلسفية والأخلاقية التي شكلت عالم «الغريب» و«أسطورة سيزيف». على الرغم من عدم ترجمة أي منها إلى اللغة الإنجليزية، إلا أن الكثيرين من الجمهور يجب أن يكونوا على دراية بالخطوط الافتتاحية للكتاب الأخير. هناك سؤال فلسفي مهم واحد فقط: الانتحار. إن تقرير ما إذا كانت الحياة تستحق العيش، هو الإجابة على السؤال الأساسي للفلسفة. كل شيء آخر هو لعب أطفال؛ يجب علينا أولاً الإجابة عن السؤال. هذا السؤال يواجهنا اليوم الذي نجد فيه أنفسنا في «عالم محروم فجأة من الضوء»، ومع ذلك فإننا نصر على المعنى. إذا ما قوبل «شوقنا غير المنطقي والوحشي للوضوح» بـ«الصمت غير المعقول في العالم»، يتساءل كامو، هل الانتحار هو الرد الوحيد المعقول؟ هل من الممكن، كما طالب، «العيش دون توسّل»؟

لكن الجمهور ربما لم يكن يعلم أن كامو انتقل إلى ما بعد هذه الأعمال المبكرة. على الرغم من أن الكتب قد نالت استحساناً كبيراً عندما تم نشرها في عام ١٩٤٢، رأى كامو أن الأحداث فاقت معنى تمردات ميرسول Meursault وسيزيف Sisyphus الفردية. لقد حان الوقت لإعادة تقييم حدود العبثية. ما الذي سوف يصنعه العالم، كما سأل في مجلته، عن مفكر أعلن: «حتى الآن كنت أسير في الاتجاه الخاطئ. سأبدأ من جديد»؟

لم يكن هذا كل ما طرحه كامو الآن. بدلاً من النظر إلى أنفسنا فقط، وإلى سيزيف أو ميرسول، يجب أن ننظر إلى الآخرين. في النهاية، نحن محكومون بالعيش معاً في عالم محفوف بالمخاطر. كتب كامو في المجلة: «بؤس وعظمة هذا العالم: أنه لا يقدم أي حقائق، لكن الأشياء فقط من أجل الحب». «العبث هو السيد، لكن الحب ينقذنا منه». الحب ينقذنا من العبث.

بعد أربع سنوات، عندما صعد إلى المسرح في مكميلين، ترك كامو العبثية وراءه. ما كان يكمن أمامه هو التمرد. كان قد أكمل بالفعل رواية «الطاعون» - التي نشرها في العام التالي - وبدأ بالمقال الذي سيصبح كتاب «المتمرد». في حديثه، رسم الموضوعات التي من شأنها أن تصبح نص الكتاب. وذكر أنه في عالم خال من المعنى، يصل الكثير من الناس إلى أن من نجح كان على حق، وأن كل ما هو صواب يقاس بالنجاح. بالنسبة إلى أولئك الذين قاوموا هذا الاستنتاج، بالنسبة إلى أولئك الذين لا يرغبون في العيش في عالم من الضحايا والتعذيب، لم يقدم الإيمان ولا الفلسفة معيناً لهم. بدلاً من ذلك، فإن المصدر الوحيد للتبرير «كان في فعل التمرد». وخلص كامو إلى أن ما قاتلنا من أجله «كان شيئاً مشتركاً ليس لنا فحسب، بل لجميع البشر. وهي أن هذا الإنسان ما زال له معنى».

ولكن ماذا يمكن أن يعني هذا الادعاء حول المعنى، حسناً، في أمريكا؟ في هذا البلد السعيد، كما اقترح كامو، لم يستطع جمهوره «رؤية» ما خضعت له أوروبا. لكنهم احتاجوا إلى معرفة أنه كان هناك رجال ونساء «رأوا هذا الشر لسنوات، ولا يزالون يشعرون به في جسدهم ويرونه في وجوه من يحبونهم». وحذر من أنهم «ينهضون الآن» في تمرد مروع يخاطر بحمل كل

شيء بعيداً. «لكن هؤلاء المتمردين، كما أوضح كامو، يشكلون سلالة معينة. إنهم لا يرفضون الميتافيزيقيا فحسب، بل أيضاً العبث السياسي: أي إصرار الدولة على إعطاء معنى للمعاناة غير المبررة التي تلحقها بمواطنيها. لا يقول هؤلاء المتمردون «لا» فقط لكون لا يوصف، بل وأيضاً «لا» لحاكم ظالم. إنهم لا يحاولون التغلب على الأمر، بل على مواجهة عالم لا معنى له ومواجهة أولئك الذين ينكرون إنسانيتهم».

والأهم من ذلك هو أن المتمردين يفرضون حداً على نفسها. التمرد فعل دفاعي، وليس هجومياً؛ إنها قوة موازنة، وليست تهمة جنونية ضد أحد المعارضين، إنها تهمة تستدعي الاهتمام بإنسانية الفرد وكذلك بإنسانية الآخرين. كما أن العبث لا يصرح أبداً باليأس، ولا يصل إلى العدمية، فإن أفعال الطاغية لا تسمح أبداً للفرد بأن يصبح طاغية بدوره. المتمرد، من خلال اعتناق «فلسفة الحدود»، لا ينكر سيده كإنسان، ينكره فقط كسيد له؛ وهو يقاوم الإغراء الذي لا مفر منه لتجريد سيده السابق من الإنسانية. في النهاية «يطمح التمرد إلى الاقتراب، ويفترض وجود حد يحدد فيه مجتمع الإنسان».

في نهاية كلمته، دعا كامو الجمهور للانضمام إلى هذا المد المتصاعد من التمرد. وأعلن أن «هذا الجيل من المتمردين الأوروبيين، فيما يتعلق بالشباب الأميركيين الذين يستمعون إلينا، يحترمون الإنسانية التي تحفزكم والحرية والسعادة المنعكسة في وجوهكم. إنهم يتوقعون منكم ما يتوقعونه من جميع الأشخاص ذوي النوايا الحسنة: مساهمة مخلصة في الحوار الذي يرغبون في إقامته في هذا العالم». لم يختتم حديثه إلا بعد أن كشف مسؤول في جامعة

كولومبيا عن أن سارقاً اقتحم مكتب التذاكر وسرق أموال في المساء، وكلها كانت مخصصة لدور الأيتام في فرنسا. من بين الجمهور، اقترح صوت أن يدفع الجميع مرة أخرى أثناء خروجهم. بحلول الوقت الذي غادر فيه آخر شخص القاعة، كان هناك المزيد من المال أكثر من المرة الأولى. وعزا جاستن أوبراين، أستاذ اللغة الفرنسية في جامعة كولومبيا ومترجم كامو الأمريكي، هذه النتيجة السعيدة إلى «كلمات كامو المقنعة».

إذا تركت هذه الكلمات علامة على الأمريكيين قبل ٧٠ عاماً، هل ما زال بإمكانها فعل ذلك؟ ماذا، إن وجد، من شأن كامو أن يفكر فيه حول عبث مناخنا السياسي الحالي؟ من المستحيل التكهن، بالطبع، لكن الأمر المؤكد إلى حد ما، هو أنه سيكون في حيرة اليوم حول الأميركيين كما كان في عام ١٩٤٦. رد فعل الجمهور على السرقة في كولومبيا أثار إعجابه بشدة؛ في مذكراته أشار إلى «الكرم الأمريكي». وكتب أن ما وجده أفضل ما فينا هو «الود والدفء التلقائي».

لكن السمات الأخرى لم تعجبه كثيراً. بينما أثنى على كرمنا، إلا أنه قلق بشأن سذاجتنا. رغم أنه أشاد بدورنا في تحرير فرنسا، إلا أنه انتقد قرارنا بتحرير الذرة. جذبه كرم ضيافتنا، وصدته سطحيتنا. «سر الحديث هنا»، حسب اعتقاده، هو «التحدث من أجل ألا يقول شيئاً». في العمل المنشور الذي يستند إلى زيارته للولايات المتحدة، مقال قصير بعنوان «أمطار نيويورك»، اعترف بأنه بعد عدة أسابيع من مكوثه في المدينة، كان لا يزال [لا يعرف] أي شيئاً عن نيويورك، ما إذا كان المرء يتحرك بين المجانين هنا، أو بين أكثر الناس عقلانية في العالم؛ ما إذا

كانت الحياة سهلة كما تقول كل أمريكا، أم أنها فارغة هنا كما تبدو أحياناً؛ [...] ما إذا كان سيرك Madison Square Garden يخدم أي غرض حين يقدم عشرة عروض متزامنة في أربع حلقات مختلفة، بحيث تكون مهتماً بها جميعها ولا يمكنك مشاهدة أي منها.

لقد أصبح ارتباك كامو حول الأمريكيين تشويشاً لنا، في حين أن ملاحظاته تقلصت بعمق اليوم كما فعلت قبل ٧٠ عاماً. الحلقات الأربع من سيركنا السياسي، بمزيجها من الجنون والعقل، وسهولة الحديث عن التعذيب وفراغ التحليلات من قبل وسائل الإعلام لدينا: كل هذا يحمل أصداء من تلك الليلة في مسرح مكميلين. لن ينتهي هذا الالتباس قريباً، ولكن ما يجب أن يبدأ، كما قال كامو لجمهوره، هو وزن كلماتنا. وصرح قائلاً: «نحتاج إلى تسمية الأشياء بأسمائها الصحيحة، وفهم أننا نقتل ملايين البشر عندما نسمح لأنفسنا بالتفكير في بعض الأفكار».

مكتبة
t.me/t_pdf

الحياة بعد الموت

دهانانجاي خديلكار

توفي ألبير كامو، أحد الكتاب الأكثر نفوذاً في القرن العشرين، في حادث سيارة في ٤ يناير ١٩٦٠، عن عمر يناهز ٤٦ عاماً. بعد مرور ستين عاماً، يتحدث آر إف آي إلى البروفيسور روبرت زاريتسكي، خبير التاريخ الفرنسي في جامعة هيوستن وكاتب سيرة كامو، حول الإرث الفرنسي-الجزائري الاستثنائي.

- ما هي الأفكار الأساسية لفلسفة كامو؟

«بالنسبة إلى كامو، فإن عدم المعنى أو العبثية هو نتيجة لقوتين: تعطش البشرية للمعنى، وصمت العالم. بغض النظر عن مدى إصرار طلبنا على المعنى، بصوت عالٍ أو متحمس، فإن استجابة العالم أو الكون، كما أطلق عليها كامو أكثر من مرة، هي لامبالاة طفيفة. لذا فإن التقارب بين حاجتنا للمعنى ورفض العالم لتقديم أي شكل من أشكال المعنى، يؤدي إلى حالتنا العبثية. والاعتراف بعبثية العالم بالنسبة إلى كامو، يعني أننا نحتاج إلى مساندة بعضنا البعض وإلى العمل الجماعي من أجل المعنى».

«في دورة أعماله الأولى، التي سماها دورة العبثية، ثلاثة أعمال: الغريب، أسطورة سيزيف وكاليجولا. خلال الحرب العالمية الثانية، عندما أصبح رئيس تحرير صحيفة المقاومة Combat، وفي السنوات التي تلت الحرب مباشرة، أراد أن يعرف ما يجب أن يكون عليه ردنا على هذا الشرط العبثي. يتحول بالتالي إلى دورة ثانية من الأعمال. في دورة العبث، أعطانا تشخيص العبث. بينما في الدورة

الثانية، التي سماها التمرد، يقدم وصفة لما ينبغي أن يكون ردنا. تضم هذه الدورة أيضاً ثلاثة أعمال: الطاعون، المتمرد، والرجل الأول.

في تلك الدورة، يرى المقاومة، نوعاً من الاعتدال الشديد، كرد فعلنا على عدم المعنى أو الحالة العبثية. في «المتمرد» The Rebel، قام بتعديل فكرة رينيه ديكارت René Descartes الشهيرة «أنا أفكر، إذاً أنا موجود». بالنسبة إلى كامو، تصبح «أنا متمرد، إذاً أنا موجود». باختصار، هذا هو تشخيص كامو وعلاجه لحالتنا العبثية».

– هل فلسفة كامو المتمثلة في عدم المعنى محبطة أم أنها متحررة؟

«إنه الاثنين. موقف كامو هو أنه لا يوجد سبب للأمل، ولكن هذا ليس سبباً لليأس. بعبارة أخرى، كما تعلمنا في نهاية الطاعون، لن نكون قادرين على هزيمة الطاعون مرة واحدة وإلى الأبد. الطاعون يمكن أن يمثل أشياء كثيرة. في الأربعينيات من القرن العشرين، كان يمثل الاحتلال النازي لفرنسا. كان التفسير الأكثر وضوحاً وفورياً لروايته. ولكن يمكن أن يعني أيضاً الأنواع الجديدة من الشمولية أو الاستبداد أو أشكال الشعوبية التي نرى الآن أنها تتجذر في أوروبا والولايات المتحدة».

«كما فهمت الشخصيات الموجودة في الكتاب، فإن انتصارها على المرض ليس دائماً. عاجلاً أم آجلاً، ستنهار تحت تأثير الأحداث الجديدة. لكن هذا ليس سبباً للتوقف عن المقاومة. يجب أن نواصل ما فعلناه دائماً. لذا، على الرغم من أن كامو ليس متفائلاً، إلا أنه يصر على أنه من خلال إصرارنا على الحفاظ على كرامتنا كبشر، والانضمام إلى الآخرين عندما نتعرض للتهديد، فإننا نستمر في استثمار حياتنا مع المعنى. بطريقة ما، هذا أمر جيد أن يحصل».

– ما مقدار التأثير الذي ترعرعت عليه تربية كامو في تطوره الفلسفي؟

كان لطفولته وتجاربه المبكرة في الجزائر الفرنسية تأثير هائل على الطريقة التي رأى بها العالم. يمكنك الإشارة إلى العديد من العوامل المختلفة. على سبيل المثال، توفي والده عندما كان عمره عاماً واحداً فقط. ولد كامو في عام ١٩١٣. تم تجنيد والده في الجيش الفرنسي في عام ١٩١٤ في بداية الحرب العالمية الأولى وتوفي في نفس العام. لذلك لم يعرفه كامو أبداً. كان والده من فرنسا، لكنه انتقل إلى الجزائر الفرنسية عندما كان شاباً وأصبح عاملاً في مزرعة. بعد وفاة والده، نقلت والدته، المولودة في مايوركا، كامو وشقيقه إلى الجزائر.

«لقد رعتهم أم كامو وأصبحت ربة منزل. لذلك كانت تربيتهم سيئة للغاية. كان لدى والدته مفردات من بضع مئات من الكلمات وكانت أميّة. وكذلك كانت جدته (في منزلهم الذي عاشوا فيه). أحد العناصر التي أجدها مقنعة في روايات كامو وكذلك في فلسفته، هو وجود الصمت الذي هو انعكاس لصمت طفولته».

«لقد أثرت طبيعة فقر طفولته تأثيراً عميقاً في كتاباته وسياسته وفي كثير من النواحي على موقفه من الحياة. لقد أصبح متحدثاً رسمياً لأولئك الذين حرموا من حقوقهم وأصيبوا بالضعف وأولئك الذين لم يكن لهم صوت، كما قال في خطاب جائزة نوبل. ترى هذا ليس فقط في كتاباته ولكن في تصرفاته خلال حياته».

- هل يمكن تنفيذ أفكار كامو في حياتنا اليومية؟

«نعم بالتأكيد. بالنسبة إلي، ربما كانت فكرة التمرد أهم جانب في فلسفته. إنه يقارن التمرد بالثورة. من خلال التمرد، يفهم، كما اقترحت سابقاً، نوعاً من الاعتدال الشديد. عندما نقاوم من أجل كرامتنا ضد شخص ما أو أي شيء آخر، فإننا نقاوم، لا. لكن فعل المقاومة لا ينبغي أن

يؤدي بنا إلى أن نصبح مثل الظالمين. يجب أن نصر دائماً ليس فقط على كرامتنا، وإنما أيضاً على كرامة من يعارضوننا».

«أرى أن هذا يجري في الجزائر اليوم من خلال حركات الاحتجاج ضد السلطات في الجزائر. إنها رائعة جداً. إذا كان كامو على قيد الحياة اليوم، فسوف ينبهر بشدة بالطريقة التي يتمرد بها الملايين من الجزائريين باعتدال ضد الحكم العسكري. لذلك فإن أهم عنصر أود أن آخذه من حياة كامو وفكره هو فكرة التمرد هذه، كنوع من المقاومة اللاعنفية ضد قوى القمع والاستبداد والشعبية التي نشهدها في جميع أنحاء العالم».

- لو عاش كامو لفترة أطول، ما هي الكتابة التي تعتقد أنه كان سيقوم بها؟

«عندما توفي في عام ١٩٦٠، كان قد بدأ بالفعل في الدورة الثالثة من أعماله في الكتابة. كان قد بدأ بالفعل الرواية التي ستكون جزءاً من دورته، وكان يحمل مخطوطة للرواية في السيارة التي مات فيها. كانت تلك المخطوطة عبارة عن «الرجل الأول» The First Man. من خلال منظور الرجل الأول، غالباً ما أرغب في رؤية كامو اليوم.

ما زال يعترف بحالتنا العبثية والحاجة إلى التمرد. ولكن في هذه المرحلة من الحياة، أراد أن يؤكد على الحاجة إلى الحب. عن طريق الحب، لا يعني أي شيء عاطفي. عن طريق الحب، كان يعني الالتزام تجاه مجتمع الفرد والآخرين، وكرامة جميع البشر والالتزام بالطبيعة. إذا قرأت مقالاته الغنائية، فسترى أنها تعبر عن ارتباط غير عادي بالعالم الطبيعي. هذا هو عالم الجزائر تقريباً - السواحل والجبال والسهول. لو لم يمت في عام ١٩٦٠، فإنني أرى كامو يتحول في اتجاه العمل البيئي. لقد كان منارة، أحد الأصوات العظيمة للسياسات الخضراء».

من العبث إلى الثورة

جون فولي

خلال البحث في غوغل بشكل متزامن عن «ألبير كامو» و«عبثي»، ستجد ما يقرب من مليونين ونصف مليون زيارة، في حين أن استبدال كلمة «عبثي» بكلمة «تمرد» وتشغيل البحث مرة أخرى، يكشف عن عدد أقل بكثير من الزيارات - ما يزيد قليلاً عن مائة ألف. على الرغم من أن نتائج مثل هذا الاستعلام قد تكون غير علمية، فربما كان من المحتمل أن يؤدي تصفح الويب إلى واحد على الأقل من استنتاجين بسيطين. إما اشتهار كامو (١٩١٣-١٩٦٠) بأفكاره المتعلقة بالعبثية الموجودة في «أسطورة سيزيف» 1942 The Myth of Sisyphus من تلك التي تنطوي على التمرد في «المتمرد» The Rebel، 1951، أو - وربما لا علاقة لهذا بالموضوع - على الرغم من ضخامة ونطاق المقال الأخير والعلاقة الشهيرة مع سارتر، والذي يعزى إلى حد كبير إلى الموقف الذي اتخذه كامو في هذا العمل الفلسفي الرئيسي الثاني - كتابات كامو حول الالتزام الشخصي بالثورة يظل أقل تقديراً و/ أو مفهومة من قبل الذين يعالجون العبثية. في كلتا الحالتين، نظراً للاختلاف الساحق في عدد مرات الدخول، هناك أيضاً افتراض ثالث وربما أكثر أهمية - وهو أنه على الرغم من أن العبث مستشهد به جيداً ويثار كثيراً فيما يتعلق بكامو، إلا أنه لم يكن كثيراً مرتبطة بمسألة التمرد في كتابة كامو.

يتناول كتاب جون فولي كل النوايا والأغراض التي يرى أنها العلاقة التي أسيء فهمها في كثير من الأحيان بين العبث والتمرد في كتابات كامو. ولدى التشكيك في الخلاف النقدي الذي حصل مؤخراً من قِبل آفي ساغي وريتشارد كامبر، والذي رفض كامو في نهاية المطاف العبث لصالح الثورة، يقترح فولي إظهار «التواصل الفكري» الذي يربط بين الاثنين. علاوة على ذلك، فإن إدراك ما يسميه «التماسك العميق بين هذين المفهومين»، كما يقول فولي، يسمح لنا بالتفاوض بشكل أفضل على الفروق الدقيقة في ارتباطات كامو السياسية والفلسفية. يهدف هذا المنظور إلى تزويد القراء بفهم أكثر استنارة للقضايا العنيفة، مثل عقوبة الإعدام والاستقلال الجزائري وشرعية العنف السياسي، التي واجهها كامو في حياته. نتيجة لذلك، حيث قام منتقدو كامو (بدءاً من سارتر ودي بوفوار إلى كونور كروز أوبراين وإدوارد سعيد) بتسوية تهم تتعلق بالهدوء السياسي وعدم اليقين والليبرالية البرجوازية والمثالية العاجزة، فإن قراءات فولي الوثيقة والمنح الدراسية الشاملة تقدم اعتذاراً عما فسره البعض على عجل على أنه تناقضات كامو الفاضحة وصمته الذي لا يغتفر.

ينقسم الكتاب إلى ستة فصول، لا تشمل المقدمة والخاتمة. يبدأ الفصل الأول بدراسة العبث كما تم تقديمه وتطويره بواسطة كامو في «أسطورة سيزيف»، ثم تتبعه مناقشات «الغريب» و«كاليجولا». في الجزء الأول، يهتم فولي بشكل خاص بتمييز وصف كامو للعبثية في التقليد الوجودي المسيحي لكيركيغارد وياسبيرز وشيستوف. ولأن

الإيمان بالله يوفر لهؤلاء المفكرين الوسائل اللازمة للتغلب على العبثية، يصور كامو «قفزة الإيمان» الناتجة عن ذلك بـ«الانتحار الفلسفي». لا العالم ولا البشر عبثيون. بدلاً من ذلك، فمن علاقتهما ينشأ العبث. وبالتالي، لأن العالم يتناوم الوضوح الذي يسعى إليه البشر، لا يمكن التغلب على حالة العبث. وفقاً لكامو، يجب أن يُفهم إدراك العبث كنقطة انطلاق يجب على الفرد الواعي أن يواجه منها «التماسك الجذري الذي يُعتقد أنه يقع في قلب العلاقة بين الذات والعالم». يجادل فولي لاحقاً بأنه بالنسبة إلى كامو، فإن العبث «هو في الأساس ادعاء معرفي يلبي حاجة أنطولوجية» وأنه «من هذا المنطلق، يوسع كامو تدريجياً المنظور العبثي ليشمل نقداً لكل الحقائق أو القيم المتسامية».

فيما يتعلق بنقطة الانطلاق هذه بالتحديد – أي تحقيق كامو اللاحق فيما يتعلق بما إذا كان من الممكن الاستجابة إيجابياً للعبث أم لا – يطرح فولي القضية الحاسمة المتمثلة في الحدود التي عادت إلى الظهور في «المتمرد»، ويشكل استمرارية الفكر السياسي والفلسفي لكامو. على هذا المنوال، يلجأ فولي إلى «الغريب» و«كاليغولا»، مؤكداً أن العبثية كما عبر عنها كامو ليست مقدمة غير مرنة للعدمية، وليست طريقاً محدداً سلفاً للأمل «اللانهائي» – وهو مفهوم يقدمه فولي مرادفاً للانتحار الفلسفي الكيركيغاردي Kierkegaardian، وأنه في قراءته يتم تحديه على النحو الواجب في «الغريب» The Stranger من قبل البطل العبثي بامتياز، ميرسول، الذي تميز «بصدقه المثالي» في «عالم مجرد من المعنى المتعالي».

في الجزء الأخير، يختار فولي التمييز بين ما يسميه الأمل «غير المحدود» والأمل «المحدود»، وتعريف المصطلح الأخير بأنه «أمل دنيوي في عالم غير عقلاني». ليس من الواضح إلى حد ما لهذا القارئ سبب اختيار فولي لما يبدو أنه مصطلح شاق ومربك لا لزوم له من أجل تحديد ما يعينه كامو بوضوح في المقالة. بعد كل شيء، عند إعلان التفاوض الضروري بين هذين المطلقين - الانتحار (العدمية) وقفزة الإيمان (الأمل الديني) - في أسطورة سيزيف، يؤكد كامو:

«الحياة تبقي العبثية حية. إن إبقائها على قيد الحياة هو، قبل كل شيء، التفكير فيها. على عكس يوريديس Eurydice، فإن العبث لا يموت إلا عندما نبتعد عنه. واحدة من المواقف الفلسفية الوحيدة المتماسكة هي التمرد. إنه مواجهة مستمرة بين الإنسان وغموضه. إنه إصرار على الشفافية المستحيلة».

وهكذا ينتخب فولي مصطلح معقد إلى حد ما، من عبثية القدر، هو النقطة المحورية في مناقشته. ربما يرجع ذلك إلى حقيقة أن فولي يشير أيضاً إلى أن التمرد في القضية هنا هو «قبول [لحقيقة العبث] المليء بالازدراء والتحدي والمعاناة» وأننا «ما زلنا غير واضحين بشأن كيفية الانتقال من صورة التمرد الانفرادي إلى مفهوم التضامن، وهو أمر ضروري للثورة حتى يكون لها أي أهمية سياسية أو اجتماعية». إن ما يسمح لفولي بـ«إنقاذ سيزيف من نفيه المتشائم» هو إعادة تأكيد العبث باعتباره «تفكيكاً منهجياً لافتراضات عامة، بما في ذلك تلك المتعلقة بالأخلاق والسياسة». ومع ذلك، بالنظر إلى أن التمرد ينهض بشكل بارز - إلى جانب الحرية والعاطفة

- كواحد من ثلاثة عواقب مقبولة من العبث، فإنه يبدو من المنطقي الإشارة إلى ذلك بشكل أكثر وضوحاً، ليس فقط لمعالجة أولئك الذين وجدوا المصطلحين. يبدو أن إدخال الأمل «المحدود» في المعادلة يطمس عواقب اللامبالاة والتطور اللاحق للمعنى الذي سيجلبه مصطلح «الثورة» في عقل كامو وأعماله.

إن ما يبرز في تقييم فولي لـ«ثلاثية العبث» التي وصفها كامو، هي النغمات السائدة للتضامن التي ينسبها إلى كل من الغريب وأسطورة سيزيف. تفسير موقف ميرسول Meursault على أنه مثل رجل صادق حكم عليه بالإعدام من قبل النظام القضائي الفرنسي بسبب صدقه الوحشي (أي لرفضه الكذب حول مشاعره)، يدحض فولي ما يسميه «أخلاقيات اللامبالاة» التي استخدمها النقاد في وصف الرواية. بدلاً من ذلك، يرى «الغريب» بعكس ذلك تماماً على أنه «نداء لحقوق الفرد ضد المطابقة الاجتماعية وضد الدولة». وبالمثل، فإنه يشكك في الطبيعة الشائنة لسعادة سيزيف، مما يوحي بأن التزامات كامو الشخصية في ذلك الوقت - مثل الانضمام إلى المقاومة الفرنسية في عام ١٩٤٣ وتسلم رئاسة تحرير صحيفة «المقاومة» السرية - تسمح لسيزيف أن يتمرد على الآلهة «ليصبح [بوضوح] بمثابة خطوة محددة أولى نحو تصور أكثر عمومية للالتزام والمقاومة السياسية والاجتماعية». مثل هذه القراءات مثيرة للاهتمام على أقل تقدير، لكنها ستكون في النهاية أكثر إقناعاً إذا كانت مدعومة بمزيد من التحليل والنقاش النصي.

يتناول الفصل الثاني بعنوان «كامو والمقاومة» Camus and Combat، الكتابة السياسية لكامو خلال الفترة التي تفصل بين

إصداري «أسطورة سيزيف» The Myth of Sisyphus و«المتمرد» The Rebel. بالعودة إلى القضية الأساسية المتعلقة بالحدود والمطلقات التي نشأت أولاً في المادتين السابقتين، يعترض فولي على التفرد المتبادل الذي يعزى غالباً إلى الأخلاق والسياسة عند تقييم التزامات كامو السياسية، وهو بذلك يدافع عن صورة كامو الكاتب النشط والسياسي على حد سواء. إن التحليل المفصل لرسائل كامو الأربع إلى صديق ألماني (١٩٤٤-١٩٤٥) بالإضافة إلى العديد من المقالات المكتوبة لـ«المقاومة» ١٩٤٤-١٩٤٧ وتلك التي تضم «لا ضحايا ولا جلادين» (١٩٤٦) تعمل على توضيح التزام كامو المستمر بالسياسة. على وجه الخصوص، يوضح فولي ببراعة من خلال التحليل النصي الدقيق، مدى تعامل هذه الكتابات مع «نقطة البداية» العبثية للغاية كما حددها كامو في «أسطورة سيزيف». تكشف رسائله إلى صديق ألماني، على سبيل المثال، عن سعيه إلى خلق أخلاقيات تحسينية تقوم على التضامن الإنساني بدلاً من أخلاقيات التعالي المطلقة التي تتميز بالكراهية والعبثية الأخلاقية، التي يقوم عليها الحليف الخيالي للنازيين. تبرز الصفحات المميزة من «المقاومة» Combat بالتفصيل مواقف كامو المتغيرة أثناء البحث عن أخلاقيات سليمة. على سبيل المثال، بينما كان يدعم في البداية إعدام بيير بيتشو، وزير في حكومة فيشي، استغرق كامو أقل من عام لتغيير رأيه في التطهير بشكل جذري، والدعوة إلى جانب فرانسوا مورياك من أجل سياسة ضميرية أخلاقية. دفعت الفجوة التي لا مفر منها في السياسة التي أثارها موريس ميرلو بونتي عام ١٩٤٦ «اليوغي والبروليتاري»

«Le Yogi et le Prolétaire» (نُشرت لاحقاً تحت عنوان «الإنسانية والإرهاب») لكامو إلى كتابة سلسلة من الردود التي تحمل عنواناً جماعياً «لا ضحايا ولا جلادين»، وهي تصور طوباوي مفترض للماركسية و«منطق التاريخ» الخاص بميرلو بونتي، يحدد بوضوح شكل وموضوع «المتمردين».

يركز الفصل الثالث في مجمله على المتمردين. تمشياً مع أطروحته الشاملة، فولي يسرع لإظهار أن «كامو لا يدحض ولا ينقح العبث الموجود في أسطورة سيزيف». بعد كل شيء، وجد كامو أن إدراك العبثية لا يمنع بأي حال من الأحوال الاهتمام بالعنف السياسي. على العكس من ذلك تماماً، نظراً لضرورة العبث في حياة الإنسان، فإن الحالة العبثية تعادل بشكل أساسي الحالة الإنسانية، مما يجعل الحياة جيدة لجميع الناس. بعد مناقشة موجزة عن التمرد الميتافيزيقي والتمرد التاريخي، يلجأ فولي إلى تعامل كامو مع هيغل وماركس. في حين أن كامو حكم على هيغل سلباً لأنه قلل من السبب في التاريخ، فإنه ينظر إلى الماركسية بعين انتقادية بنفس القدر، نظراً لما يعتبره الحتمية التاريخية. لإدراكه الخطأ مع القيم المطلقة بدلاً من القيم النسبية التي تعمل على توجيه كل طريقة من طرق التفكير، يقترح كامو أن التمرد يجب أن يستلزم بالضرورة «فلسفة الحدود» حيث، كما يقول فولي «الإجراءات والمذاهب السياسية مشروعة إلى أقصى حد، فهم يدحضون الحكم المطلق ويعكسون احتياجات الأفراد والمجتمعات فيما يتعلق بظروفهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة». في التعبير الواضح عن

موقف كامو فيما يتعلق بالاعتدال، يجسد فولي السبب في أن الكثير من النقاد قد أساؤوا فهم فلسفته للحدود على أنها فشل سياسي. بنفس القدر من الأهمية، تم توضيح ذلك بجلاء في تحليل فولي إلى أي مدى كان كامو نفسه على دراية ومعالجة الانتقادات، وبأن المعايير الغامضة لمثل هذا التمرد سيتحملها بلا شك.

يتناول الفصل الرابع «كامو والعنف السياسي» من خلال دراسته «القتلة الحقيقيون» للحزب الثوري الاشتراكي الروسي (كما تمت مناقشته في المتمرد وتم تصويره في القتلة The Assassins) ثم الانتقال إلى «تأملات في المقصلة» «Reflections on the Guillotine». في صميم الفصل - وفي نهاية المطاف في قلب كل من الأزمات الكبرى التي كان يجب على كامو مواجهتها في السنوات القادمة - تكمن المعضلة المتعلقة بالعنف السياسي المشروع. وتجدر الإشارة على وجه الخصوص إلى أن قائمة فولي تضم ما يعتبره الظروف الضرورية التي يجب الوفاء بها من أجل اعتبار جريمة القتل مسموحاً بها من قِبل كامو، كما يتضح في «القتلة» و«كاليجولا». إن توضيح هذه الشروط بأكبر قدر ممكن، لا يخدم فقط إثبات أن كامو لم يكن «مسالماً متردداً» كما ادعى بعض النقاد، ولكن المعايير التي أسس عليها تبرير مثل هذا العنف كانت غامضة بشكل متعمد وغير مقصودة. أدى قبول الحدود والالتزام بالاعتراف بالخطأ، إلى أن يكون كامو حذراً من الأفراد أو الدول التي تعلن عن الموضوعية المطلقة وتوضح عزمه النهائي على أن عقوبة الإعدام غير مبررة.

يبحث الفصل الخامس، «كامو وسارتر»، في وجهات النظر المتباينة بين الرجلين، بما في ذلك قائمة مقارنة بالشروط التي تعتبر ضرورية لإضفاء الشرعية على الإرهاب وفقاً لسارتر، ومناقشة حول معنى وجود أيد قذرة لكل إنسان في سياق العنف السياسي. بعد الانتهاء من قراءة إجابات فرانسيس جينزون وسارتر على «المتمرد» The Rebel، يقترح فولي أن الاختلافات بين سارتر وكامو، على الرغم من أنها ربما تكون غير علنية إلى حد ما لأسباب مختلفة قبل نشر «المتمرد»، يمكن إرجاعها إلى اختلافات جوهرية في المناصب المعنية على العبث.

إن ما بدأ كنقد لكتاب ودفاع مؤلفه الثمين ضد منتقديه، يصبح نقداً عميقاً للكتاب كاملاً. ما يشرع سارتر في إثباته هو أنه، بالنظر إلى فرضية كامو العبثية، تطورت أعماله حتماً نحو نوع من الإنسانية الحرجة التي توجت بالعمل التاريخي والرجعي العميق «المتمرد».

متهماً بتقمص شخصية «الروح الجميلة» الهيغلية (الحسناء) التي «تفضل البقاء نقية وغير ملوثة من اتصالها بالواقع»، يحكم على كامو بأنه يفتقر إلى الفكر السياسي الفعال على أساس تمسكه بالأفكار المجردة. ومع ذلك، يعترض فولي بإسهاب على أن كلا من جينزون وسارتر يخفقان في معالجة الحجة الرئيسية المتمثلة في «المتمرد» - أي مناقشة كامو النقدية للتاريخية الماركسية - ويدعون أن القيام بذلك كان من شأنه إبطالها أو على الأقل مناقضتها.

في الفصل الأخير، «كامو والجزائر»، يجدد فولي دفاعه عن أجندة كامو السياسية، ويصف بإسهاب الحالات العديدة التي تحدث فيها

للتعبير عن استيائه ورعبه فيما يتعلق بالعنف من حوله واقتراح سلمي للصراع الفرنسي الجزائري. يُظهر فولي كيف يتم إعادة صياغة فكرة كامو عن «إنسانية البحر الأبيض المتوسط»، الموجودة بأشكالها المبكرة منذ عام ١٩٣٧. علاوة على ذلك، فإنه يتحدى منتقدي «كامو» في مرحلة ما بعد الاستعمار مثل أوبراين وإدوارد سعيد، كما يؤكد فولي، بالإضافة إلى الانتقائية النصية و/ أو الاختزالية في منهجيته. يقول فولي إن هذا المنظور معيب بطبيعته، لأن «انتقاد فشل كامو في دعم الاستقلال الجزائري مستمد، جزئياً، من حقيقة استقلال الجزائر بعد عام ١٩٦٢». نقلاً عن اثنين من معاصري كامو في النضال من أجل استقلال الجزائر، عمار أوزيغان وألبرت ممي، يوضح فولي أنه، بعيداً عن «الصمت» فيما يتعلق بالسؤال الفرنسي الجزائري، كان كامو في الواقع قد توقع إلى حد ما الخطورة اللاحقة للنزاع المتصاعد منذ عام ١٩٤٥، عندما أعرب عن أسفه لعدم اتساق السياسة الاستعمارية الفرنسية و«أصر على ضرورة الاعتراف بحقيقة وجود أزمة سياسية في الجزائر».

عندما يستمر فولي في الاستخلاص من سلسلة المقالات التي نشرها كامو في «المقاومة» Combat بعد الحرب العالمية الثانية (حول جرائم القتل الجماعي التي قام بها الجيش الفرنسي لآلاف المسلمين في سطيف، وويلمة، ورحلة كامو التي وصلت إلى ١٥٠٠ ميل حول الجزائر) في الواقع يبدو من الصعب تصديق أن انتقادات ما بعد الاستعمار مثل نقد أوبراين وسعيد قد أخذت على محمل الجد. بإثارة المشكلة الأساسية للسياسة الجزائرية «المشوهة بالتحامل والجهل»، ظل كامو ينتقد بشدة

الطريقة النفاقية التي استمرت بها فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية في معاملة السكان المسلمين. كان من الأهمية بمكان بالنسبة إليه ألا تستجيب سياسة الحكومة الفرنسية «بالإدانات، [بل بالأحرى] تحاول أن تفهم أسباب مطالبهم وتحتج نيابة عنهم بنفس المبادئ الديمقراطية التي نطالب بها لأنفسنا». ولعل عجز كامو عن تغيير المناخ المشحون في عصره، هو الذي يسمح في نهاية المطاف بالنقد المتعلق بـ«تقاعسه» أو «صمته» حتى يومنا هذا. في معالجة هذه القضية، يقوم فولي بربط مناقشته لكامو والجزائر بالعبث والتمرد من خلال «تدخل كامو الأكثر أهمية في الصراع»، الهدنة المدنية، وفقاً لما دعا إليه كامو. أي أن تتفق جميع الأطراف على عدم إلحاق الأذى بالسكان المدنيين، بغض النظر عن الظروف.

اقترح كامو «كلمات الشجاعة والذكاء» في مواجهة ما يعتقد أنه الأيديولوجيات القاتلة والمتناقضة في العصر الحديث، وقد كتب فولي تحقيقاً موثقاً جيداً لكتابات كامو من أجل توضيح ما يدافع عنه البعض - أي بالتحديد أكبر منتقدي كامو - يناقشون فقط المثالية السياسية غير الفعالة و/ أو الصمت فيما يتعلق بالموضوعات المذكورة أعلاه. من ناحية أخرى، يولي فولي اهتماماً سريعاً في بعض الأحيان بالأعمال الأدبية لتأكيد النقاط التي أثيرت في مكان آخر، إلى جانب ما يمكن أن يكون نقاشاً أكثر شمولاً إلى حد كبير حول كيف ولماذا يشعر أنه يجب علينا أن نعزو أهمية سياسية و/ أو اجتماعية إلى (معنى) التمرد في أسطورة سيزيف، وجعل أساس حجة «الاستمرارية الفكرية» صعبة المتابعة

بعض الشيء. على الرغم من أن الذكرى السنوية الخمسين لوفاة كامو والذكرى المئوية لولادته، فإن كتاب فولي يحتل مكانة جيدة بين المساهمات الأخيرة في تعزيز فهمنا لكيفية تفكير كامو والتزاماته التي لا جدال في قيمتها اليوم.

فرانز كافكا وألبير كامو

جون ساذرلاند

من الصعب قراءة الأدب العبثي. خذ على سبيل المثال قصّة كافكا القصيرة، «التحول»، التي تتحول فيها الشخصية الرئيسية إلى صرصور عملاق. أنتج النقاد نظريات مختلفة لا تعد ولا تحصى لشرح أهمية تحول غريغور سامسا - وهذا التنوع في المعاني التفسيرية، يقترحه جون ساذرلاند في «القليل من تاريخ الأدب»، هو النتيجة المتناقضة لنوع من الأدب الذي يأخذ معنى الحياة كأنه فرصية. في المقتطف التالي، يقدم ساذرلاند مهمة كافكا الأدبية لتأكيد عدم جدوى الأدب، ويناقش تأثيره على كاتب آخر تصارع باستمرار مع مشاكل الوجودية والعبث، ألبير كامو.

إذا قمت بعمل قائمة من أكثر الأسطر الافتتاحية في الأدب، فمن المؤكد أنك ستجعلها في المراكز العشرة الأولى:

«عندما استيقظ غريغور سامسا في صباح أحد الأيام من أحلام مضطربة، وجد نفسه قد تحول في فراشه إلى حشرة عملاقة».

إنه مقطع من رواية قصيرة، «التحول»، لفرانز كافكا (١٨٨٣-١٩٢٤). من المحتمل أن كافكا لم يهتم كثيراً سواء قرأنا هذه الجملة أو أي شيء كتبه. أصدر تعليماته إلى صديقه ماكس برود بحرق تراثه الأدبي «ويفضل أن يكون غير مقروء» بعد وفاته، فقد توفي قبل الأوان، في عمر أربعين عاماً،

بسبب مرض السل. ماكس برود، لحسن الحظ، تحدى الوصية. كافكا يتحدث إلينا رغم وصية كافكا.

الحالة البشرية، بالنسبة إلى كافكا، تتجاوز المأساوية أو الاكتئاب. إنه «عبثي». كان يعتقد أن الجنس البشري كله كان نتاجاً لأحد «أيام الله السيئة». لا يوجد «معنى» لفهم حياتنا. ومن المفارقات أن عدم المعنى يسمح لنا بقراءة روايات كافكا مثل «المحاكمة» The Trial (التي تدور حول «عملية» قانونية لا تعالج أي شيء)، أو قصصه مثل «التحول»، مهما كانت المعاني التي نرغب فيها. على سبيل المثال، نظر النقاد إلى تحول غريغور سامسا إلى صرصور، على أنه رمز لمعاداة السامية، وهي توقعات قاتمة بالإبادة الإجرامية في سباق «زائف». (كان كافكا يهودياً، وأكبر بقليل من أدولف هتلر). وغالباً ما يتنبأ الكتاب بمثل هذه الأشياء قبل الآخرين. «التحول» الذي نُشر عام ١٩١٥، يُنظر إليه أيضاً على أنه ينذر بانهيار الإمبراطورية النمساوية المجرية في عام ١٩١٨، بعد الحرب العالمية الأولى. عاش كافكا وزملاؤه في بوهيميا، في براغ، تحت ظل هذه الإمبراطورية الشاسعة. استيقظوا فجأة ليجدوا أن هوياتهم قد اختفت. قرأ آخرون القصة فيما يتعلق بعلاقة كافكا الإشكالية مع والده، وهو رجل أعمال. الأب يحتقر ابنه.

لكن أي «معاني» كهذه تنهار لأنه لا يوجد معان أكبر أو ضمني في عالم كافكا لدعمها. ومع ذلك، لا يزال لدى الأدب العبثي مهمة - وهي التأكيد على أن الأدب، مثل كل شيء آخر، لا طائل منه. وضع تلميذ كافكا، الكاتب المسرحي صموئيل بيكيت، الأمر بشكل جيد: الكاتب «ليس لديه

ما يعبّر عنه، لا شيء يمكن التعبير عنه، لا سلطة للتعبير، لا رغبة للتعبير، مع الالتزام بالتعبير».

[...]

إن اقتراح ألبير كامو الافتتاحي في مقالته الأكثر شهرة، «أسطورة سيزيف»، يقول إن «هناك مشكلة فلسفية خطيرة حقاً وهي الانتحار». إنها تعبر عن قول مأثور لكافكا القاتم: «العلامة الأولى لبداية التفاهم هي الرغبة في الموت». لماذا لا، عندما تكون الحياة بلا معنى؟ تُظهر مقالة كامو الحالة الإنسانية في شخصية سيزيف الأسطورية، التي حُكم عليها أن تدحرج صخرة إلى أعلى التل إلى الأبد، ومن ثم تسقط مرة أخرى. بلا هدف. هناك إجابتان فقط عمليتان في مواجهة مصير الرجل السيزيفي: الانتحار أو التمرد. ألحق كامو ملاحظة طويلة - «الأمل والعبث في أعمال فرانز كافكا» - في مقالته سيزيف، احتفالاً بالكاتب الذي كان مديناً بتأثيره.

يتضح تأثير كافكا في تحفة كامو الروائية «الغريب»، التي كُتبت ونشرت تحت رقابة الاحتلال النازي. يفتح السرد بشكل قاتم: «ماتت أمي اليوم. أو ربما بالأمس: لا يمكنني أن أكون متأكداً». إن ميرسول يعترف بأنه «فقد عادة ملاحظة مشاعره». لسبب معين، يطلق النار على عربي. إن التفسير الوحيد الذي قدمه، وليس لكي يخرج بتفسيرات لإنقاذ حياته، هو أنه كان يشعر بالحر الشديد في ذلك اليوم. إنه يذهب إلى المقصلة، ولا يهتم بذلك. إنه يأمل أن يراقبه حشد الناس حين يتم إعدامه.

كان رفيق كامو في الفلسفة، جان بول سارتر، قد أدرك، بكل وضوح، الأشياء الجذرية التي فعلها كافكا. بشكل عام، كما كتب سارتر في روايته

«الغثيان» Nausea ١٩٣٨، فإن الرواية تفترض أن تكون منطقية، وتدرك تمام الإدراك أن الحياة ليست منطقية. «سوء النية» هذا، هو «قوتها السرية». قال سارتر إن الروايات هي «آلات تفرز معنى زائفاً في العالم». إنها ضرورية، لكنها غير شريفة في جوهرها. ماذا لدينا في الحياة بخلاف «المعاني الزائفة» التي نخترعها؟

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة
telegram @t_pdf

ألبير كامو

العبثية - الوجودية الانتحار

في أواخر أيامه، كتب ألبير كامو في يومياته: «أولئك الذين يفضّلون مبادئهم على سعادتهم، يرفضون أن يكونوا سعداء خارج الشروط التي يبدو أنهم قد حدّدوا بها سعادتهم». في الواقع، تميل مبادئنا إلى التمسُّك بالعادات، وعلى الرّغم من أن العادات تُعدّ شكلاً لحياتنا الداخلية، إلا أنها يمكن أن تتحوّل إلى جمود روتيني وتخلق نوعاً من الزخم الذي، بدلاً من أن يوسّع قدرتنا على السعادة، فإنه يضيّقها. في نشوة الروتين والمبادئ، ينتهي بنا المطاف بإظهار حيواتنا اليومية أثناء غيابنا عنها».

أشياء قليلة تُخرجنا من روتيننا وتنبّهنا إلى جوهر السعادة الحيّة بقوة أكبر من السفر. عرف كامو هذا. قبل عقود، عندما كان في الثانية والعشرين من عمره، وكان لا زال بعيداً عن أن يصبح ثاني أصغر فائز بجائزة نوبل في الأدب، استكشف هذه الحيرة الإنسانية بأناقة فكرية لا مثيل لها ونعمة روحية في مقال رائع بعنوان «حب الحياة»، أدرج في نهاية المطاف في مجموعته المنشورة بعد وفاته بعنوان المقالات الغنائية والنقدية.

ISBN 978-9933-38-278-0
9 789933 382780
نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
شركة مدبولي MADBOULY COMPANY
أهوار للنشر والتوزيع